من روائع البيان في سور القرآن

في البلاغة واللغة والنحو والتفسير وغير ذلك

جمع وإعداد وتصنيف

المهندس مثنى محمد هبيان

قدم له:

د. زكريا توفيق إسماعيل

المجلد العاشر

من سورة لقمان وحتى سورة يس

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

1435 - 1436 هـ

2014 م

E-mail: info@darlfikr.com
Email: darlfikr@cyberia.net.lb
E-mail: dar.elfikr@yahoo.com
Home Page: www.darlfikr.com

دار الفكر

الفرع الأول: حارة حريك - شارع عبد النور - برقياً: فكسي – ص ب:11/7061
هاتف: 559900 - 559901 - 559902 - 01-559903 فاكس: 00961 1 559904
الفرع الثاني - ضهر المغارة - الشارع العام - الشوف - لبنان:
هاتف: 985675 - 985674 - 985673 - 985672 - 985671 - 00961 7 985888

بيروت لبنان

سورة لقمان

أولاً ـ تناسب خواتيم الروم مع فواتح لقمان:

١ ـ قال سبحانه في أواخر سورة الروم: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الروم:٥٨].

وقال في أول سورة لقمان: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [لقمان:٢ -٣].

فكلتا الآيتين في القرآن الكريم.

فقد قال في آية الروم: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾.

ووصفه في آية لقمان بأنه حكيم.

فالذي فيه من كل مثل إنما هو كتاب حكيم.

٢ ـ قال في أواخر سورة الروم:

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الروم:٥٩].

وقال في أول سورة لقمان:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [لقمان:٦-٧].

والذي ذُكر في آية لقمان إنما هو مطبوع على قلبه بغير علم، فقد ذكر أنه يضل الناس بغير علم، كما قال في آية الروم: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

٣ ـ قال سبحانه في آخر آية الروم:

﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

وقال في أول لقمان:

﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾.

وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾.

فذكر في آية الروم الذين لا يوقنون، فقال: ﴿ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾.

وذكر الذين يوقنون في آية لقمان، فقال: ﴿ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ وبيّن من هم وما صفاتهم.

وقال في آية الروم: ﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾.

وذكر ذلك في آية لقمان، فقال: ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ﴾.

جاء في (البحر المحيط): ((مناسبتها لما قبلها أنه تعالى قال: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ فأشار بقوله ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾.

وكان في آخر تلك ﴿ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ ﴾ وهنا ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا ﴾ و(تلك) إشارة إلى البعيد، فاحتمل أنْ يكون ذلك لبعد غايته وعلو شأنه.. .)).

ثانياً ـ هدف السورة: تربية الأولاد

سورة لقمان سورة مكيّة، وهي تمثّل بحق أفضل طرق تربية الأولاد وجاءت آياتها فيها رقة وحنو ولطف وهدوء، ولقمان ينصح ابنه بكل مودة ولطف ورقّة، ويكثر من استخدام كلمة (يا بني)، وقد أوصاه بوصايا هي قمة الآداب الاجتماعية والأخلاق الحميدة.

١ـ أوصاه بعدم الشرك بالله: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان:١٣].

٢ـ بر الوالدين: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان:١٤].

٣ـ عبادة الله وحسن الخلق ومعرفة حقيقة الدنيا بالصبر: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان:١٧].

٤ـ الآداب والأخلاق: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان:١٨].

٥ـ الذوق وخفض الصوت: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان:١٩].

٦ـ وضع هدف للحياة وأهمية التخطيط: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان:١٩]؛ لأنّ معنى القصد قد يكون هدفاً في الحياة.

فهذه السورة تضع للآباء أسلوب وعظ الأبناء بحبّ ورقة حنان وتركز على أنّ الإسلام يرفض الاتباع الأعمى للآباء: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ﴾ [لقمان:٢١].

لكنْ على الآباء أنْ يساعدوا أبناءهم ويشرحوا لهم حقيقة الحياة ويعظوهم لما فيه خيرهم بأسلوب رقيق لطيف.

وتختم السورة: بالتأكيد على علم الله تعالى وقدرته في الكون: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان:٣٣-٣٤].

وهذا ما يجب أنْ يربّي الآباء أبناءهم عليه، فلا يغتروا بالحياة الدنيا وينسوا من وهب هذه الحياة ومن خلق الكون ابتداءً. وذكرت الآية الأخيرة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان:٣٤] خمس غيبيات لا يعلمها إلا الله تعالى: علم الساعة، إنزال الغيث، علم ما في الأرحام، الرزق والكسب، وساعة الموت ومكانه.

ثالثاً ـ اللمسات البيانية فى السورة :

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في الآية الأولى من سورة البقرة.

السؤال الثاني :

لماذا لم يلتزم القرآن بنفس الأحرف المقطعة في كل السور؟وهل هناك مناسبة بين تلك الأحرف والآية التي تليها حيث ذكر الكتاب أو القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين دلالة كلمة الكتاب والقرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢.

السؤال الرابع :

ما القواعد العامة لذكر الكتاب والقرآن في أوائل السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة؟

وهل هناك جدول إحصائي يربط بين التناسب في ذكر الكتاب أو القرآن في أول السورة من ناحية وما يتردد من نفس الألفاظ في نفس السورة من ناحية أخرى؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢.

السؤال الخامس :

المطلوب إجراء مقارنة بين آيات بداية سورة البقرة و آيات بداية سورة لقمان؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٥.

❁❁❁❁

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما لهو الحديث؟ وما أهم دلالات هذه الآية؟

الجواب:

قيل في أسباب النزول: إنّ النضر بن الحارث كان يخرج تاجراً إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم فيرويها ويحدث بها قريشاً ويقول لهم: إنّ محمداً يحدثكم بحديث عادٍ وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم والأكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن.

والآية لا تخص واحداً بعينه، بل تعم كل من ينطبق عليه الوصف.

١ـ اللهو: هو كل باطل ينهي عن الخير. و ﴿لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ هو السمر بالأساطير والأحاديث مما لا خير فيه من الفحش والخنا وساقط القول والخرافات والغناء.

٢ـ الأصل بالإنسان أنْ يشتري ما هو في صالحه وما فيه نفع له وربح وليس ما فيه خسارته وهلاكه.

٣ـ قوله تعالى: ﴿مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾يحتمل أنْ يكون المعنى: قسم يشتري بغير علم فهو لا يعلم ماذا يشتري، وهوغير بصير بالتجارة، وقسم يضل الناس بغير علم فيضلهم وهو لا يعلم ماذا يفعل وهذا من باب التنازع، أي الاثنين معاً، أي يشتري بغير علم ويضل بغير علم ، فالأول خاسر، والثاني خسارته مضاعفة وكونه لا يعلم لا يعفيه من المسؤولية.

٤ـ جاء باللام في قوله تعالى: ﴿لِيُضِلَّ﴾وعطف بدون لام في ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾؛ والسبب أنهما ليسا بمنزلة واحدة، فالأولى: يسافر ويشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله، وأمّا الهزء فيمكن أنْ يهزأ بمكانه ولا يحتاج أنْ يسافر ويتاجر ويشتري. فأكد الأولى باللام؛ لأنها الآكد، وحذف اللام من الثانية؛ لأنها أقل توكيداً.

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ﴾الضمير فيها يعود على آيات الله أو على السبيل.

٦ـ بدأ بالإفراد ﴿ وَمَنَ﴾ وانتهى بالجمع ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ والسبب أنه لما قال: ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ جاء التهديد له ولمن يضلهم فجمعهم في زمرته فأصبحوا جماعة. ووصف العذاب بأنه مهين؛ لأنه استهان بآيات الله واستهزأ بها واستكبر فجعل له عذاباً مهيناً.

السؤال الثاني :

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۝٦﴾عطف بدون اللام، مع أنه في موضع آخر في القرآن عطف باللام، في مثل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ۝١٢﴾ [الإسراء:١٢]

فما اللمسة البيانية في هذه الآية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الإسراء ١٢.

السؤال الثالث :

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ [لقمان:٦] جاءت كلمة (يتخذُها) مرفوعة بقراءة ورش، فلماذا؟

الجواب :

إذا كانت في المصحف بالرفع فهي قراءة، (يتخذُها) بالرفع تكون معطوفة على (يشتري)، وإذا كانت بالنصب تكون معطوفة على (ليضلَّ) وكلاهما صحيح فصيح.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال (إذا) دون (إن) في الآية؟

الجواب :

١ـ (إذا) في اللغة أقوى من (إنْ). (إنْ) تستعمل للأمور المحتملة الوقوع والمشكوك في حصولها ولافتراض الأمور التي قد لا تقع أو إذا وقعت فهي أقل، أمّا (إذا) فلا تستعمل إلا فيما هو واجب الوقوع، أو في الذي يقع كثيراً مع أنّ كليهما شرط.

* شواهد قرآنية على (إنْ) :

ـ ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ﴾

فهذا أمر مشكوك فيه، وليس بالضرورة أن يستقر.

ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾ [القصص:٧١] هذا افتراض.

ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القصص:٧٢]

هذا أمر افتراضي غير واقع في الحياة.

ـ ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحُجُرات:٩] هذا ليس أمراً يومياً، وإنما قلّما يقع.

- ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ٣٣﴾ [الرحمن:٣٣]. هذا افتراض وتحدٍّ.

- ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾ [الأنفال:٦١]. هذا افتراض.

- ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ [البقرة:٢٣].

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾[الأحزاب:٢٨] هذا افتراض

- ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا﴾ [النور:٣٣] هذا افتراض.

* شواهد قرآنية على (إذا):

- ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الجمعة:١٠] الصلاة كثيرة الوقوع.

- ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ١٨٠﴾ [البقرة:١٨٠] الموت لا بدّ من حضوره.

- ﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف:١٧] الشروق والغروب يحدث في كل يوم.

- ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ﴾ [التوبة:٥] ولا بدّ أنْ تنسلخ.

- ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الجمعة:١٠] لا بدّ أنْ تنقضي.

- ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ﴾ [النساء:٨٦] التحية كثيرة الوقوع.

- ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا﴾ [لقمان:٧] القراءة حاصلة.

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة:٦] الوضوء يتكرر.

- ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَـٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾[النساء:٢٥] الإتيان مشكوك فيه وقليل.

٢ـ ويظهر الفرق في الاستعمال بين (إذا) و (إنْ) عندما يكونان في نفس الآية، نحو قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾ [البقرة:٢٨٢]

التعامل بالدَّين كثير؛ فاستعمل (إذا) وأما حالة ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ [البقرة:٢٨٢] فهذه أقل من الأولى، فاستعمل (إنْ).

٣ـ ولذلك كل أحداث يوم القيامة تأتي بـ (إذا)، ولا يصح أن تأتي بـ (إنْ) لأنها واقعة لا محالة ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾﴾ [التكوير:١-٨].

٤ـ (إذا) و(إنْ) تدلان على الشرط، لكن (إذا) أقوى من (إنْ) من حيث الوقوع، وقد وردت في القرآن ٣٦٢ مرة ولم يرد في موطن واحد في افتراض أنها لم تقع، بينما (إنْ) في افتراض يمكن تقع أو لا تقع.

٥ ـ هناك فرق بين (إنْ) الشرطية و(إنْ) النافية، كما في الآية: ﴿إِنِ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ [المُلك:٢٠].

(إنْ) النافية بمعنى (ما) ونميز الشرطية بفعل الشرط وجواب الشرط وإذا دخلت على المضارع تجزم، وهي مختصة بالدخول على الأفعال بينما (إنْ) النافية تدخل على الأسماء والأفعال.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين (إذا) و(إذ)؟

الجواب :

١ـ (إذ) ظرف للماضي في الغالب ولا يعدونها من أدوات الشرط.

* شواهد قرآنية:

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡ﴾ [الأعراف:٨٦].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ﴾ [الأحزاب:٩].

والنحاة يقولون: (إذ) للماضي و(إذا) للمستقبل. والأصوب أنْ نقول: (إذ) في الغالب للماضي، وهي ليست شرطية. بينما(إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب لجوابه مبني على السكون.

٢ـ وقوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ﴾ [غافر:٧١]. هذا للمستقبل في جهنم (سوف) يسحبون في الحميم، وإنْ كان هناك تأويل أنه مستقبل منزَّل منزلة الماضي؛ لذلك (إذ) في الغالب هي للماضي، كما أنّ (إذا) في الغالب للمستقبل ، لكن قد تكون في الماضي، كما في قوله تعالى:﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ﴾ [يونس:٩٠] فهو أدركه الغرق بالفعل.

وكذلك في الآية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الكهف:٨٦].

وحتى في آية الجمعة ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة:١١] هذه الآية نزلت بعد ما وقع الأمر.

والنحاة لا يقولون (غالباً)، ولكنهم يقولون: إنّ أدوات الشرط كلها في الاستقبال.

السؤال الثالث :

قال في الآية (تتلى) بصيغة المضارع: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ ولم تأت بالماضي، مع أنه قال: ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ فما دلالة استعمال الفعلين: الماضي والمضارع مع الشرط؟

الجواب :

١ـ الفعل الماضي في الشرط على الأغلب يفيد حصول الحدث مرة واحدة، والمضارع يفيد تكرر الحدث.

* شواهد قرآنية :

أ ـ نلاحظ في آيتين متتابعتين ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾ [النساء:٩٢].

و ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء:٩٣].

القتل الخطأ ليس من المفروض أنْ يتكرر؛ لذا في القتل الخطأ قال: ﴿قَتَلَ﴾ وقال: ﴿يَقْتُلْ﴾ في القتل المتعمد لما كان فيه افتراض تكرر الحدث.

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ [الإسراء:١٩].

و قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [آل عمران:١٤٥].

(من أراد) الفعل ماض، و(من يرد) الفعل مضارع ويتكرر؛لأنّ الثواب يتكرر، وكل شيء متعلق بالثواب يتكرر، أمّا الآخرة فواحدة.

ج ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ [الأنفال:١٩] ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء:٨].

لو لاحظنا قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ﴾ قالها في كفار قريش بعد وقعة بدر، وهم عادوا فعلاً، بينما قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ هذه في بني إسرائيل وقد ذكر أنهم يفسدون في الأرض مرتين، إحداهما ذهبت وتبقى الأخرى.

د ـ قوله تعالى: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ [الكهف:٧٦] بقي له سؤال واحد، ثم تنقطع المصاحبة.

بينما قوله تعالى: ﴿إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾ [محمد:٣٧]هذا متكرر؛ لأنه في الأموال.

٢ـ الماضي والمضارع مع الشرط يدلان على الاستقبال، لكنّ الماضي يكون قليلاً أو مرة واحدة، والمضارع يكون فيه توقع حدوث مرات كثيرة.

٣ـ ولذلك هنا في آية لقمان قال: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ دلالة على تكرار التلاوة، والذي يفترض أنْ يؤدي ذلك إلى التأمل والتفكر والانتباه، وهذا بخلاف ما لو قال :(تليت عليه) ففيه احتمال أنْ تكون قد تليت مرة واحدة.

٤ـ وقال: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا ﴾ قال (آياتنا) بإضافة الآيات إلى ضمير التعظيم لله تعالى لتعظيم فعله هذا والتشنيع عليه، فهوعند ذكر آيات الله يستهزئ بها ويولى مستكبراً كأنْ لم يسمعها.

السؤال الرابع :

قال تعالى في آية سورة لقمان: ﴿كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ وفي الجاثية تحدث عن هذا المعنى بصورة مختلفة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ⁽⁷⁾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ⁽⁸⁾﴾ [الجاثية: ٧ – ٨].

ولم يقل: كأن في أذنيه وقراً، فلِم في آية لقمان بالتحديد وردت﴿كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾؟

الجواب :

نقرأ الآيات في سورة لقمان ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ⁽⁷⁾﴾ [لقمان:٧]، وفي الجاثية ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ⁽⁷⁾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ⁽⁸⁾﴾ [الجاثية: ٧ – ٨] كيف يكون في أذنيه وقر وهو يسمع كلام الله؟

في لقمان لم يقل (يسمع آيات الله)، بل قال: (تتلى عليه)، لكنه لم يقل (يسمعها). أمّا في الجاثية فقال: (يسمع آيات الله تتلى عليه) فكيف يقول (في أذنيه وقراً)؟

لذلك عندما لم يقل (يسمع) ناسب أنْ يقول: ﴿كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ في لقمان. والسماع يأتي من التلاوة، وهناك من يتلو حتى يسمع. أمّا الوقرفهو المانع الذي يمنعه من السماع؛ لأنّه يوجد شيء في أذنه يجعله لا يسمع جيداً.

السؤال الخامس :

يلاحظ أن الفعل (فبشره) في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ جاء بضمير الإفراد، ولم يجمع الضمير، مع أنه سبق في الآية التي قبلها الخطاب بالجمع ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، فلماذا؟

الجواب :

قال سبحانه: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ نلاحظ هنا أن الله تعالى ذكر الشخص وحده، ولم يذكر معه أحداً آخر، ونلاحظ أنّ الآية كلها تتكلم عن شخص واحد، بينما الآية التي قبلها جمع فيها الشخص الذي يتكلم عنه وعمن أضلّه ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾ لذلك أصبح هناك جماعة له ولمن يضله، فقال: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ بالجمع وليس له وحده.

فإذن هناك كان التهديد للجمع ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ له ولمن يضله، وهنا في الآية السابعة لمّا كان الكلام عنه وحده أفرد وقال: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مع أنّ البشرى لا تكون إلا في الخير، لكنّ هذا استهزاء به وسخرية منه.

السؤال السادس :

ختمت الآية السابعة بقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وفي الآية السادسة قبلها قال: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ فما الفرق بين العذاب المهين والعذاب الأليم؟

الجواب :

١ـ الإهانة تكون إذا وقعت أمام الآخرين. ويكون العذاب مهيناً إذا كان هناك من يشهد العذاب، أمّا إذا لم يكن هنالك من يشهد فالإهانة ليست ظاهرة، وكلما كان المشاهدون والحاضرون أكثر كانت الإهانة أكثر.

٢ـ ذكر في الآية السادسة من يُضلهم وقال: ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾؛ لأنه يشهد بعضهم هذا الذي أضلهم وسيعذب أمامهم فهي إذن إهانة له، وهؤلاء أيضاً كلهم سيعذبون، وكل منهم يشهد عذاب الآخر، فهم في عذاب مهين.

٣ـ أمّا في الآية السابعة فهو وحده له عذاب أليم، فلا ينطبق عليه (مهين). والعذاب المهين قد يكون أليما أيضاً، والإهانة بحد ذاتها قد يكون فيها إيلام للآخرين، فجمع الله تعالى له بين الإهانة والألم.

٤ـ وقد لا يكون العذاب المهين مؤلماً جسدياً ويكون مؤلماً نفسياً، أمّا هنا فجمع له بين العذابين: الإهانة والإيلام في مجموعهما (أليم ومهين)، وليس مهيناً فقط من دون إيلام.

٥ـ قد يعذب شخص في سبيل الإسلام، لكن لا يرى فيه إهانة، بل يرى فيه فلاحاً وثباتاً وعزة وصلاحاً وحسنة. بينما هنا جمع له عذاباً مهيناً وأليماً كما استهزأ بالآخرين وأهانهم وآلمهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾

السؤال الأول :

مادلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ بعد أنْ ذكر الله سبحانه الكافرين، وأنّ لهم عذاباً أليماً ومهيناً، ذكر ما يقابلهم، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذكر أنّ لهم جنات النعيم فأضاف الجنات إلى النعيم، بمقابل ما يلقاه المضِل من عذاب مهين وأليم.

٢ـ ثم في تقديم الجار والمجرور ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ هذا من باب الاختصاص، أي: لهم لا لغيرهم، للذين آمنوا وعملوا الصالحات لا ينعم أحد في الجنة غير هؤلاء حصراً.

كل الجنات هي نعيم، وليس في الجنة بؤس ولا شقاء، وكلها نعيم بمقابل ما يلقاه ذاك في النار من الإهانة والعذاب.

٣ـ قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي ليس فقط لهم جنات النعيم، وإنما مع الخلود فيها. ومعنى الخلود: البقاء والدوام الطويل، لكنْ بالنسبة للآخرة لا ينقضي؛ ولذلك يقول أحياناً: (أبداً) أي ليس له نهاية، وعندما يقول: (خالدين فيها أبدا) يكون هذا تأكيداً للأبدية.

٤ـ ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾ ﴿وَعۡدَ﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف يعني: يعدكم الله وعده حقاً ووعد الله حقاً لا يتخلف.. و(حقاً) مفعول آخر مؤكّد لفعل محذوف.

٥ـ أكّد بالذين آمنوا، وأكّد بـ ﴿حَقّٗاۚ﴾ وأكّد بالمفعول المطلق، مع أنّ كلها أشياء طيبة في الجنات لبيان أنّ الأمر مؤكد فعلاً.

السؤال الثاني :

ما سبب اختيار ختام الآية (العزيز الحكيم)؟

الجواب :

١ـ العزيز هو الغالب الممتنع، و(الحكيم) قد يكون من الحُكم، ومن الحكمة.

والعزيز الحاكم هو الذي يفعل ذلك، ولا يمنع من تنفيذ وعده مانع؛ لأنه أحياناً يكون العزيز غير حاكم، والعزة درجات. وحتى في حياتنا الدنيا منتهى العزة أنْ تكون حاكماً. وكل حاكم عزيز، وليس كل عزيز حاكماً.

فهنا جمع تعالى منتهى العزة فهو العزيز الحكيم.

٢ـ والحكيم لها هنا دلالتان: الحكيم من الحُكم، ومنتهى العزة أنْ لا يمنعه مانع؛ لأنّ بيده كل شيء، ومن الحكمة أنْ يكون حكيماً في تصرفاته وإراداته؛ لأنّ الحاكم إذا لم يكن حكيماً كان ذلك تهوراً.

والحكمة المفروض أنّها من مستلزمات الحُكم، فالنمرود كان حاكماً لكنه لم يكن حكيماً. وهنالك كثير ممن نرى ونقرأ يكونون حاكمين لكن ليسوا حكماء ، وهذا حكمه سيكون وبالاً على الآخرين.

٣ـ في اللغة قد يأتي بوصف له أكثر من دلالة، وهي كلها مرادة إذا لم يكن قرينة سياقية تحدد معنى محدداً.

مثلاً قوله تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح:١٥] قليلاً من ماذا؟ قليلاً من الفقه أو قليلاً من الأمور؟ هي كلها مرادة؛ لأنه لو أراد لقال فقهاً قليلاً أو أمراً قليلاً.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ [التوبة:٨٢] هل هو قليل من الوقت أو قليل من الضحك؟ لذا عندما نعرب (قليلاً) نعربها: إمّا مفعولاً مطلقاً (ضحكاً قليلاً، حيث ناب عن المصدر صفته، وهذا مفعول مطلق) وإمّا ظرف زمان أي وقتاً طويلاً. ولم يحدد: وقتاً قليلاً أو ضحكاً قليلاً، وكذلك ﴿وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ أي بكاء كثيراً وزمناً كثيراً طويلاً، فجمع الاثنين.

وأمّا في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [الأحزاب:٤١] فحدد الذكر وليس الوقت.

٤ـ في (العزيز الحكيم) أراد العزة والحكم والحكمة. والعزيز الحكيم وردا بالتعريف، ووردا أيضاً نكرة في الآية ٢٧ من نفس السورة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. والعزيز الحكيم لا يمنعه مانع من تنفيذ وعده بالنسبة لأولئك وغيرهم؛ لأنه هو العزيز الحكيم.

٥ـ لو قرأنا الآية الأخرى في السورة نفسها ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان:٢٧] ليس فيها

وعد لأحد أومحاربة لأحد ولا جزاء لأحد، وليس هناك شخص معاند، ولم يذكر محارباً ، بينما ذكر محارباً ومعانداً في الآية الأولى، فلم يقتض هذا الشيء.

إذن في الآية السابعة تعقيب بالعزة والحكم؛ لأنه ذكر جزاء وعقاباً جزاء للذين آمنوا وعقاباً للذين كفروا، ولا يمنعه مانع، هو العزيز الحكيم. أمّا في الآية ٢٧ فهي إخبار، وليس فيها تهديد ولا وعيد ولامحارب ولا جزاء ولا شيء، فلا يقتضي.

❁❁❁❁

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ١٠ ﴾

السؤال الأول :

على من يعود الضمير في ﴿تَرَوۡنَهَا﴾؟

الجواب :

١ـ هذا بحثه القدامى في الناحية اللغوية، وبحثه الفرّاء في كتابه معاني القرآن. وهذه تسمى بالتعبيرات الاحتمالية، وهي التي تحتمل أكثر من دلالة ولذلك هم قالوا: يحتمل هذا التعبير أنه خلق السموات بغير عمد، وها أنتم ترونها بغير عمد، فتكون (ترونها) جملة استئنافية.

والاحتمال الآخر (ترونها) صفة لعمد، يعني بغير عمد مرئية، ويعني خلقها بعمد غير مرئية.

٢ـ بعض علماء الإعجاز العلمي يقول: إنّ هنالك أعمدة، ولكن لا نراها. أيهما أدل على القدرة؟ أنْ تكون بغير عمد أو تكون بعمد؟ كلها قدرة، وهو سبحانه خلق الأسباب.

٣ـ هذا التعبير بهذا الشكل يسير على نهج العرب، وأصل الجمل في العربية على قسمين: تعبيرات ذات دلالة احتمالية، وتعبيرات ذات دلالة قطعية، نحو: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة:٢٧٥].

٤ـ إذن ﴿تَرَوْنَهَا﴾ الضمير يعود على السماء أو على العمد، وهو تعبير احتمالي، والناس في المستقبل قد يستنبطون أموراً جديدة ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فُصِّلَت:٥٣].

السؤال الثاني :

قال تعالى في سورة لقمان: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ وفي سورة الرعد قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ فما الفرق بين (رفع) و(خلق)؟

الجواب :

١ـ في الرعد قال تعالى: ﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾

فلمّا قال: ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ الإنزال إنما يكون من فوق؛ أي من مكان مرتفع، فناسبها رفع السموات.

ثم ذكر العرش ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ والعرش فوق السموات، إذن رفع السموات حتى تكون مرتفعة. ثم قال: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ وهي من الأجرام السماوية، وهي مرتفعة، إذن كل هذا يناسب رفع السموات.

٢ـ أمّا في لقمان فليس فيها شيء من ذلك، وقال بعد هذه الآية: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [لقمان:١١]خلق الله مناسب لخلق السموات ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾.

إذن السياق في الرعد يناسبه رفع السموات، والسياق في لقمان يناسبه خلق السموات، وبعدها ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾

فكان كل تعبير في مكانه.

السؤال الثالث :

ما دلالة الآية: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ ﴾؟ ألم تكن الجبال مخلوقة من قبل؟

الجواب :

هذا سؤال يجب أن يُوجّه إلى المعنيين بالإعجاز العلمي. لكنْ نلاحظ أنه تعالى يقول أحياناً:(ألقينا) وأحياناً يقول: (جعلنا) في الكلام عن الجبال بمعنى أنّ التكوين ليس واحداً. وقد درسنا أنّ بعض الجبال تُلقى إلقاء عن طريق البراكين والزلازل(جبال بركانية)، أو قد تأتي بها الأجرام السماوية على شكل كُتل. وهذا يدل – والله أعلم – على

أن هناك أكثر من وسيلة لتكوين الجبال. وكينونة الجبال تختلف عن كينونة الأرض، فالجبال ليست نوعاً واحداً، ولا تتكون بطريقة واحدة.

قال تعالى في سورة النمل: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقال في سورة الرعد ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾.

والله أعلم.

السؤال الرابع :

مرة يقول تعالى: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ومرة لا يقولها. فما اللمسة البيانية فيها؟

الجواب :

١ـ وردت كلمة (الجبال) في القرآن الكريم أكثر من (٣٠) مرة، كما وردت كلمة (رواسي) في تسعة مواضع في القرآن في آيات [الرعد ٣ـ الحجر ١٩ـ النحل ١٥ـ الأنبياء ٣١ـ النمل ٦١ـ لقمان ١٠ـ فصلت ١٠ـ ق ٧ـ المرسلات٢٧] وقد ورد تعبير﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ مع الرواسي في ثلاثة مواضع في آيات [النحل ١٥ـ الأنبياء ٣١ـ لقمان ١٠] بينما لم يأت هذا التعبير في المواضع الستة الأخرى، كما لم يأت أيضاً مع كلمة (الجبال).

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي: كراهة أنْ تميد بكم أو لئلا تميد بكم كما يقول النحاة، وكما في قوله تعالى ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود:٤٦] يعني: لئلا تكون من الجاهلين.

وكما في الآية: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة:٢٨٢] أي :كراهة أنْ تضل إحداهما، أو لئلا تضل.

٣ـ يبقى السؤال :أحياناً يقول: أنْ تميد بكم، وأحياناً لا يقول: أنْ تميد بكم كما في آية الرعد: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ [الرعد:٣] فما السبب؟

أ ـ إذا أراد الله تعالى بيان نعمة الله على الإنسان يقول: أن تميد بكم.

أي لبيان نعمة الله على الإنسان، فيقول: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ فهنا الغرض في بيان نعمة الله على الإنسان في هذه الرواسي.

وهذه الحكمة مرتبطة بقوله تعالى في بداية السورة: ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ وعدم ميد الأرض بهم أليس من الرحمة؟ بلى، إذن هي مرتبطة بالرحمة التي ذكرها في أول السورة.

وهي أيضاً مرتبطة بالآية السابقة ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [لقمان:٩] فعندما بيّن الله سبحانه حكمة إلقاء الرواسي في الأرض، وهي عدم ميد الأرض، دل هذا على أنها مرتبطة بالرحمة وبالحكمة. ففيها ارتباط مناسب من الجهتين.

ب ـ أمّا إذا أراد فقط أنْ يبين قدرة الله فيما صنع، فلا يقول هذا، لأنّ الكلام لا يتعلق بالإنسان، وإنما يتعلق بصنع الجبال والرواسي.

٤ـ الرواسي: يعني أنها ثابتة؛ أي الجبال تثبت الأرض، ولم يقل (جبال) في تثبيت الأرض، مع أنه استخدم كلمة الجبال في القرآن. قال: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾وأحياناً يقول: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰرًا﴾ و(ألقى) دلالتها متقاربة من (جعل).

والجبال قسم منها ملقى يسقط من فوق صخور، وقسم يخرج من البراكين ثم يسقط، واختيار الإلقاء هنا مناسب للعزيز الحكيم.

٥ـ ولمّا كان اختيار الرواسي بمعنى الثوابت لم يستخدمها يوم القيامة عند زوالها؛ لأنه لا يمكن الجمع بين الرواسي والتسيير؟ ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ [النبأ:٢٠] ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ [الحاقة:١٤]؛ ولذلك في يوم القيامة لا يستعمل الرواسي مطلقاً؛ لأنّه في يوم القيامة تكون الجبال فيها حركة ورفع ودك ونسف ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ [القارعة:٥].

والله أعلم.

السؤال الخامس:

يقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان:١٠]، وقال في آيات أخرى: ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [ق:٧]؟ ما الفرق بين كريم وبهيج؟

الجواب :

١ـ في الآية العاشرة قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا﴾ بإسناد الإنزال إلى نفسه سبحانه تعالى، وهذا يسمونه التفاتاً لأهمية الماء للإنسان. ولفظة ﴿وَأَنزَلْنَا﴾ فيها ضمير التعظيم، مع أنه قال: ﴿وَأَلْقَىٰ﴾ أول الآية، ثم التفت وتحول الضمير لبيان النعمة في إنزال الماء وإنبات ما ذكر من الأزواج، فقال: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

٢ـ ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ أي من كل صنف، فالزوج يأتي بمعنى الصنف، كما في الآيات: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾﴾ [الواقعة:٧] و ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الصافات:٢٢].

لكنْ لماذا اختار هنا (زوج كريم)، وفي مكان آخر اختار(زوج بهيج)؟

٣ـ الكريم هو بالغ الجودة والنفاسة وكثير الخير والمنفعة، والبهيج هو الذي يدخل البهجة على النفوس، لكنْ لماذا اختار هنا بهيج وهنا كريم؟

أ ـ في سورة لقمان ذكر الله تعالى أنه آتى لقمان الحكمة ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان:١٢].

والحكمة بالغة الخير والنفاسة ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩].

ب ـ قال تعالى في سورة ق: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾﴾ [ق:٦-٧]

فلمّا قال: (وزيناها) أليست الزينة لإدخال البهجة على النفوس؟ بلى، إذن كلمة (بهيج) مناسبة للزينة التي ذكرها في السماء ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ فهذه تدخل البهجة، والزينة تدخل البهجة.

٤ـ فالوصف بحسب السياق الذي ورد. فلمّا تكلم عن نفاسة الحكمة وما سيأتي من الخير الذي ذكره في الحكمة قال: ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ فهو مناسب لما سيذكر، ولَمَا ذكر الزينة والنخل الباسقات قال: ﴿بَهِيجٍ﴾ مناسبة للبهجة.

والموصوف قد يكون واحداً، لكنّ الصفات تختلف وتتعدد بحسب ما تريد أنْ تذكره أنت في السياق، فإذا أردت أن تصف شخصاً بالعلم تقول: هو عالم، وإذا كان الكلام عن الدين تقول: هو تقي، فالصفات تتعدد بحسب المقام والسياق.

❁❁❁❁

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾؟

الجواب :

كلمة (خلق) في الأصل مصدر، لكن هذا المصدر أحياناً يراد به اسم المفعول، الخلق بمعنى المخلوق.

والمصدر في اللغة أحياناً يراد به اسم الفاعل أو يراد به اسم المفعول. فمثلاً كلمة (الزرع) قد يراد به المزروع، وقد يراد به المصدر، تقول: زرعت الشجرة زرعاً، وهذا مصدر.

وقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ هنا تحتمل أنْ يراد بالمصدر اسم المفعول أي هذه مخلوقاته، ويحتمل أنْ يراد بها هذا صنعه، فيراد به المصدر كما ذكر.

وهذا من باب الاتساع في المعنى: هذا صنعه العجيب وفعله العظيم وخلقه المتقن وهذه مخلوقاته كما ترى. ولو قال: مخلوقاته لكان معنى واحداً لكنّ (خلق الله) تتسع لكل الخلق والمخلوق. و(هذا) إشارة للقريب.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في الآية: ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾؟ استخدم (ماذا) ولم يقل: (ما) مع أنّ كليهما للاستفهام، فما السبب؟

الجواب :

١ـ (ما) قد تكون للاستفهام، وقد تكون اسماً موصولاً (آكل ما تأكل وأشرب ما تشرب)، كما في الآيات :

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾ [ق:٢٣] بمعنى: الذي.

و﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء:٣].

لذلك (ما) تحتمل أنْ تكون اسم موصول، وتحتمل أنْ تكون استفهام.

٢ـ (ماذا) اسم استفهام قطعاً، ولا تحتمل الموصولية. والله أراد هنا الاستفهام؛ لأنهم قطعاً لم يفعلوا شيئاً، وقولك :أرني ماذا فعل فلان؟ هذا فيه دلالة على أنه لم يفعل شيئاً.

والتعبير هنا في الآية: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ أي :هذا خلقه الله تعالى فأروني ماذا خلق الآخرون؟ هذا صنعه الله تعالى وخلقه فأروني ماذا خلق الآخرون؟ إذن لماذا أنتم تشركون؟

٣ـ ثم ترقى من هذا السؤال إلى أمر آخرفي نهاية الآية فقال: ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ فانتهى إلى مسألة أنّ الظالمين في ضلال.

السؤال الثالث :

لماذا قال: ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾؟

الجواب:

١ـ لمّا قال: ﴿فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ أي الذين يُعبدون من دون الله، وهنا أراد أنْ يبين لهم أنّ الشرك ظلم عظيم.

٢ـ واختار الظالم؛ لأنّ المشرك ظالم لنفسه وظالم لغيره. والشرك مؤدّاه إلى الظلم؛ لأنه عبد ما لا يستحق أصلاً، والعبادة هي أعلى شيء، فأنت أهنت نفسك وعبدت ما لا يستحق وما هو دونك كالحجارة، ثم أنت ظلمت نفسك؛ لأنك توردها مورد الهلكة و ستدخلها النار، وهذا ظلم لها.

ثم أعطى ما لا يستحق شيئاً من أعظم الأشياء، هذا لا يستحق العبادة ولا يستحق أن يقدّر فأنت تعطيه العبادة؛ لذا قال بعد آيات: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]لماذا؟ لأنّ في ذلك ظلماً كبيراً لنفسه ولغيره.

وعندما تسوي بين القادر والعاجز، بين المنعِم المتفضل والمنعَم عليه، هل هذا عدل؟! ولو تقدّم أشخاص للامتحان للتعيين في دائرة من الدوائر فكان أحدهم قد أجاب عن كل الأسئلة بأبلغ كلام وأوفى تعبير وأحسن خط وآخر لم يحسن لا الكلام ولا التعبير ولا العلم ولم يحسن أنْ يكتب، وساويت بينهما، فسوف تكون ظالماً بدون شك. والفرق بين الخالق والمخلوق أكبر من هذا بكثير. إذن هو ظالم؛ لأن الشرك ظلم عظيم ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [لقمان:١١] فهو ضلال بيّن، ولا يحتاج أصلاً إلى إبانة.

٣ـ والضلال في القرآن يأتي بمعان عدة، كما وصف سيدنا يعقوب ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ۝٩٥﴾ [يوسف:٩٥]وضل الطريق؛ أي تنكّب الصراط وهوعكس الهداية.

❁❁❁❁

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ۝١٢﴾

السؤال الأول :

ما الحكمة؟ وما دلالة إسنادها إلى ذاته تعالى؟ ولماذا قال: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِ﴾ ولم يقل مثلاً: فاشكر لله؟

الجواب :

١ـ الحكمة هي وضع الشيء في محله في القول والعمل، أي إحسان القول والعمل وتوثيق القول بالعمل. إذن الحكمة لها جانبان: قولي وعملي فمن أحسن القول ولم يحسن العمل فليس بحكيم.

٢ـ نلاحظ أنّ ربنا سبحانه وتعالى أسند إيتاء الحكمة إلى نفسه﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾؛ وذلك لأنّ الله تعالى يسند أفعال الخير لنفسه، والحكمة لا يسندها قطعاً إلى غيره سبحانه وتعالى. حتى إنه لّما قال: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ قال: قبلها ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩] أسند إيتاء الحكمة لنفسه كما هو المعتاد في أفعال الخير.

٣ـ يبقى السؤال: لماذا قال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ ولم يقل: فاشكر؟ ما معنى ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾؟

هناك فرق بين (أنْ اشكر لله) و(اشكر لله)؟ وينبغي أنْ نعرف الفرق بين التعبيرين؛ حتى نفهم لماذا قال: أنْ اشكر، ولم يقل: فاشكر.

قسم يقول: (أنْ) تفسيرية، وأنْ التفسيرية يسبقها ما فيه معنى القول دون حروفه، مثل: أوصى وأوحى، نحو: أوصيناه أنْ افعل.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣١] هذه تفسيرية؛ أي تفسر ما سبق.

وفي الآية: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ماذا آتاه؟ ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾؟ لذلك قالوا: هل هي الحكمة أو هي من الحكمة؟ قسم ذهب إلى أنها ليست تفسيرية وإنما هي: وأوصيناه أنْ اشكر لله ، يعني أنّ هناك معطوفاً لمحذوف آتيناه وأوصيناه.

٤ـ هذا التعبير ﴿أَنِ ٱشْكُرْ﴾ يفيد :

أ ـ أنه آتاه الحكمة، فاشكر على ما آتاك. أي لقد آتاك الحكمة فاشكر لله على ما آتاك من نعمة؛ لأنّ الحكمة نعمة تستحق الشكر.

ب ـ أنه من الحكمة أنْ تشكر ربك. والشكر حكمة في حد ذاتها، ومن الحكمة أنْ تشكر ربك؛ حتى تستزيد من الخير في الدنيا والآخرة.

ج ـ وأوصاه بالشكر، وإنّ من الحكمة أنْ تشكر ربك ليزيد الخير﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم:٧].

و لو قال: فاشكر، فليس لها إلا معنى واحد، هو أنْ يشكر على إيتائه الحكمة.

٥ـ هذا كله في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾، ولو قال: فاشكر لله، لا تعطي هذه المعاني، وفيها ضعف.

٦ـ ثم يأتي ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ هل الفعل (شكر) متعدٍّ أو لازم؟

والجواب أنه في القرآن عندما يكون الشكر للمنعِم، نحو: (شكرت لفلان) يكون متعدياً باللام، كما في الآية: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان:١٤] فمع الشخص يتعدى باللام، تقول: شكرت لفلان صنيعه، شكرت لله نعمته، ولو شكرته على الفعل تقول: شكرت

عطاءك، فيكون متعدياً بذاته، وأصل الفعل الذي تشكره بسببه يكون متعدياً بذاته، أمّا إذا كان الشكر للمنعم فيتعدى باللام.

٧ـ لم يقل: أن اشكر لنا؛ لأنه أراد أنْ يبينَ من المتكلم ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ ويريد أنْ يبين من الذي آتاه الحكمة، فذكره باسمه الصريح، فقال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾.

كما أنه تعالى لم يذكر ضمير الجمع في موطن من المواطن في القرآن الكريم إلا إذا كان قبله أو بعده ما يدل على الإفراد؛ لئلا يتوهم الشرك أصلاً ويزيل أي شائبة من شوائب الشرك؛ حتى لا يتصور أنه إذا قال: آتينا يكون أكثر من إله، ولم يرد في القرآن موطن واحد في ضمير الجمع لله إلا سبقه أو كان بعده ما يذكر على أنه واحد، كما في الآيات:

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان:١٤] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾ [القدر:١-٤].

السؤال الثاني :

الشكر جاء في الآية بصيغة المضارع ﴿يَشْكُرُ﴾، بينما الكفر جاء بصيغة الماضي ﴿كَفَرَ﴾ فهل لذلك من لمسة بيانية؟

الجواب :

١ـ السؤال هو: لماذا قال: ومن (يشكر) بالمضارع ثم ومن(كفر) بالماضي؟ والجواب أنّ الشكر يتكرر وينبغي أنْ يتكرر؛ لأنّ كل نعمة تمر بك لا بد أنْ تشكرها، وينبغي أنْ تشكرها. إذن الشكر يتكرر، بينما الكفر ليس كذلك، ويمكن للإنسان أنْ يكفر ويبقى

على كفره ولا يضطر لأنْ يكفر ويكفي أنْ يكفر في المعتقد أو في شيء، وأمّا الشكر فيتكرر.

٢ـ من المعلوم أنه إذا ورد فعل الشرط مضارعاً فهو مظنّة التكرار، وإذا ورد ماضياً فهو ليس مظنة التكرار.

* شواهد قرآنية :

﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾ [النساء:٩٢] ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء:٩٣]

فرق بين المتعمد والخطأ.

﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ [الإسراء:١٩].

﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ [آل عمران:١٤٥]

الفرق هو بين الثواب وإرادة الآخرة .

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء:٨].

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى﴾ [الكهف:٧٦].

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾ [محمد:٣٧].

وهنا في الآية ورد مضارعاً بعد أداة الشرط، حيث إنّ (من) اسم شرط وجوابه (فإنما يشكر لنفسه)، فهو مظنة التكرار وينبغي أنْ يتكرر؛ لأنّ الشكر ينبغي أنْ يتكرر؛ لأنّ النِعم متكررة لا تنقطع، بينما الكفر ينبغي أنْ يُقطع أصلاً؛ ولذلك جاء به بالفعل الماضي، فخالف بين الفعلين.

المضارع فيه تجدد واستمرار في الغالب، أمّا الماضي فانقطع في الأصل، وإنْ كان النحاة يرون أنّ الماضي إذا وقع في فعل الشرط يدل على الاستقبال.

السؤال الثالث :

في سورة الروم قال: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الروم:٤٤]

فإذا قارنا بين هذه الآية وآية سورة لقمان ١٢ فما اللمسة البيانية بين الآيتين؟

الجواب :

هناك أكثر من اختلاف بين الآيتين:

١ـ نلاحظ أنه في آية الروم قدّم الكفر وأخّر العمل ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الروم:٤٤].

٢ـ ثم نلاحظ أنه ليس هذا فقط، وإنما ذكر عاقبة كلٍ من الفريقين في آية الروم فذكر عاقبة الكفر ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ وعاقبة الإيمان والعمل الصالح ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾، بينما في لقمان ذكر فقط عاقبة الشكر، ولم يذكر عاقبة الكفر ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان:١٢].

إذن صار الخلاف أيضاً من ناحية الجزاء، حيث ذكر في لقمان جزاء الشاكر ولم يذكر جزاء الكافر، وفي الروم ذكر جزاء الاثنين: الكافر والعمل الصالح.

٣ـ وفي الروم ذكر الفعلين بالماضي ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الروم:٤٤]. فذكر الكفر بمقابل العمل الصالح، وأمّا في لقمان: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ فذكر الكفر بمقابل الشكر.

فهي إذن ليست مسألة واحدة بين الآيتين، وإنما أكثر من وجه للاختلاف بينهما، والسياق هو الذي يحدد الأمر.

٤. السياق في سورة الروم هو في ذِكر الكافرين ومآلهم ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الروم:٤١-٤٤].

فالسياق في سورة الروم هو في ذِكر الكافرين فقدّمهم، وقال: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾.

وأمّا في لقمان فقال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ فبدأ بالشكر، فلمّا تقدم الشكر قال: ﴿وَمَن يَشْكُرْ﴾.

فالتقديم والتأخير كله بحسب المناسبة؛ لذلك نلاحظ أنه يقدّم الكلمة في موطن ويؤخّرها في موطن آخر بحسب السياق الذي ترد فيه.

السؤال الرابع :

الأفعال في سورة لقمان: ﴿وَمَن يَشْكُرْ﴾بين مضارع وماض، بينما في الروم بصيغة الماضي ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم:٤٤] فلِمَ التنوع في الصيغة الزمنية في الفعل؟

الجواب:

١ـ آية لقمان فيمن هو في الدنيا: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان:١٢]هذه كلها في الدنيا. قال: ﴿وَمَن يَشْكُرْ﴾هو يمكن أنْ يشكر طالما كان في الدنيا.

بينما آية الروم في الآخرة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الروم:٤٣-٤٤] هذا اليوم هو يوم القيامة وليس هنالك عمل، وسيأتي ما قدّم عاقبة من كفر ومن عمل.

٢ـ في الروم يتحدث باعتبار ما كان وما مضى ، أمّا في لقمان فيتحدث في الدنيا؛ ولهذا جاءت ﴿يَشْكُرْ﴾ في لقمان بالمضارع. فالكفر ينبغي أنْ يُقطع، وليس مظنّة التكرار، والكفر ليس كالشكر؛ لأنّ الشكر يتكرر.

٣ـ ذكر عاقبة الكفر في الروم ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ ولم يذكر عاقبة الكفر في لقمان.

والسبب أنه ذكر عاقبة الكفر في الدنيا وعاقبة ذلك في الآخرة، وقبلها قال: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾ وهذا من عقوبات الكفر وذكر العاقبة، فناسب ذكر العاقبة أيضاً في الكفر.

أي لّما ذكر عاقبتهم في الدنيا ناسب أنْ يذكر عاقبتهم في الآخرة. وأمّا في لقمان فلم يذكر ولم يرد هذا الشيء وذكر فقط الشكر؛ ولذلك ذكر عاقبة الكفر والعمل في آية سورة الروم؛ لأنّ هذا وقت حساب.

السؤال الخامس :

لِمَ قال في آية الروم ٤٤ : ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ ولم يقل: مهّدوا لأنفسهم؟

الجواب :

١ـ أحياناً نعبر عن المضارع للدلالة على المُضيّ، ويسمونه حكاية الحال الماضية، كما في الآيات :

﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٩١] أي: قتلتم.

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ [البقرة:١٠٢] أي: تلت.

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الكهف:١٨] أي: قلّبناهم.

أي يستخدم المضارع أحياناً للدلالة على المضي، وهذه تسمى حكاية الحال الماضية، وهي للأشياء المهمة التي يريد أنْ يركّز عليها، فيأتي بها بالمضارع.

٢ـ مثال ذلك: القتل أمر مهم جداً، فقال تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ﴾ بصيغة الفعل المضارع (تقتلون)؛ ليحدث نوعاً من أنواع لفت النظر.

وهم يقولون: عندما تأتي بالماضي فتضعه حاضراً للمخاطب كأنه يشاهده، فتنقل الصورة الماضية إلى الحاضر بصيغة فعل المضارع فيكون المخاطَب كأنما الآن يشاهده أمامه، أو أنك تنقل المخاطَب إلى الماضي فتجعله، كأنه من أصحاب ذلك الزمن فيشاهد ما حدث.

ومثل ذلك قول الشاعر:

فناديت أبا رافع فقال: نعم فأهويت عليه بالسيف فأضربه وأنا دهِش

قال (فأضربه) ليبرز حالة اللقطة، ولم يقل (فضربته).

السؤال السادس :

ذكر في لقمان بمقابل الكفر الشكر ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾، بينما في الروم٤٤ ذكر الكفر والعمل، فاختلفا، لماذا؟

الجواب :

١ـ الكفر لغةً له دلالتان:

أ ـ الكفر بما يقابل الشكر: كما في الآيات :

﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢].

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان:٣].

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ [الأنبياء:٩٤].

إذن شكر يقابلها كفر، وكفر النعمة؛ أي جحدها. والكفر هو الستر في الدلالة العامة، وعندما تأتي إلى التفصيل: شكر النعمة يقابلها كفر النعمة وكفر بالنعمة؛ أي جحد بها.

ب ـ والإيمان أيضاً يقابله الكفر، وهذه دلالة أخرى.

٢ـ إذن كلمة كفر إمّا تكون مقابل الشكر، وإمّا تكون مقابل الإيمان. فإذا كان الأمر متصلاً بالنعمة فهي مقابلة للشكر، وإذا كانت متصلة بالعقيدة فمقابلها الإيمان. وأمّا العمل فيأتي من متممات الإيمان، حيث إنه آمن بالقلب وصدّقه العمل، كما في الحديث الشريف: «**الإيمان ما وقر في القلب وصدّقه العمل**».

٣ـ في آية لقمان: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾. لأن مقابل الشكر هو الكفر قال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

٤ـ بينما في آية الروم ٤٤ ذكرمقابل الكفر الإيمان والعمل، وقد ذكر الكافرين والمشركين قبلها، فقال: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾ ومقابل هؤلاء مؤمنون ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الروم: ٤٤ - ٤٥].

فإذن قابل في لقمان الشكر بالكفر وهو يتحدث عن النِعم، أمّا في الروم فيتحدث عن العقيدة ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ فكان مقابل الكفر الإيمان والعمل. وكل واحدة بمقابلها.

ونحن لا نستطيع أن نفهم آية من آي القرآن الكريم إلا من خلال السياق العام الذي تتحدث عنه الآية؛ لذلك يقولون السياق هو أعظم القرائن.

٥ـ قوله تعالى في آية لقمان: ﴿فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ جاء بـ (إنما) للدلالة على الحصر؛ لأنها تفيد الحصر، أي سيشكر لنفسه حصراً؛ لأنه هو الذي سيستفيد؛ ولأنّ الله تعالى لا يستفيد من شكر الشاكرين، ولا يضره كفر الكافرين؛ لأنّ الشكر ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة. أي أنّ الشكر لا يفيد إلا صاحبه، أمّا الله فلا ينفعه شكر ولا تضره معصية، كما جاء في الحديث القدسي :

«يا عبادي، لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا

على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر »

لذلك قال ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾.

السؤال السابع :

في لقمان قال: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ ما دلالة الجمع بين غني وحميد؟ وما دلالة حميد في اللغة؟

الجواب :

١ـ الحميد هو ابتداءً الذي يستحق الحمد على الدوام. وقوله تعالى: ﴿غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ هو من ألطف الجمع في الدنيا؛ لأنّ الشخص عموماً في حياتنا الدنيا قد يكون غنياً، لكنه غير محمود، أوغنياً ولا يُحمد في غناه، و قد يكون بخيلاً ومحموداً غير غني. فإذا اجتمع أنه غني وحميد في آن واحد فهذا من الكمال. وكم من أناسٍ نعرفهم لم يكونوا أغنياء، لكنهم كانوا محمودي السيرة وكانوا يُمدحون، فلما اغتنوا تغيّرت طباعهم. فربنا جمع بين الغنى وأنه محمود على الدوام.

٢ـ هو محمود وحميد، لكنْ هناك فرق بين الصيغتين:

(حميد) على وزن فعيل، بمعنى (مفعول) على الأرجح، مثل(جريح وقتيل وكسير وأسير).

لكن ما الفرق بين هاتين الصيغتين (محمود وحميد)؟

عندنا قاعدة، وهي أنّ (فعيل) أبلغ من (مفعول)، و(محمود) هذه اسم مفعول، وليست صيغة مبالغة، و(حميد) اسم مفعول، أي: الذي يُحمد كثيراً وقد يقول البعض: إنها قد تكون بمعنى حامد. والأرجح في كتب اللغة أنّ حميد أي محمود هو الذي يُحمد على نِعَمه.

إذن كلاهما اسم مفعول، قتيل ومقتول كلاهما اسم مفعول، جريح ومجروح كلاهما اسم مفعول، لكنّ الوصف بين فعيل ومفعول: فعيل أبلغ من مفعول عموماً، ويعني كأنما الوصف أصبح في صاحبه ملازماً له خِلقة.

٣ـ ثم (مفعول) تحتمل الحال والاستقبال. وعندما تقول: أراك مقتولاً هذا اليوم وبعده فهولم يُقتل، وكما قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾ [الإسراء:١٠٢] ولم يكن قد وقع.

ولّما قال عبد الله بن الزبير: اعلمي يا أماه أني مقتول من يومي هذا. لذلك صيغة مفعول تقال لما حصل، أو لما لم يحصل بعد.

٤ـ ثم (فعيل) أبلغ في كيفية الحدث، يقولون: لا تقولوا لمن جُرِح في أُنملته جريح، وإنما مجروح.

(فعيل) يقال على وجه الاتساع والشمول ولما هو أبلغ. (جريح) يعني جرح بشكل بالغ، (مجروح) يقال للجرح البسيط أو البليغ، وهو عام، أمّا جريح (فعيل) فلا تقال إلا للوصف البليغ، جريح لا تقال إلا للمثخن بالجراح على وجه المبالغة والشمول والاتساع. إذن ربنا غني حميد.

السؤال الثامن :

ورد في سورة إبراهيم في الآية ٨: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ [إبراهيم:٨]، وفي لقمان في مكان آخرمن نفس السورة في الآية ٢٦ قال: ﴿ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [لقمان:٢٦]

وهنا في لقمان في الآية ١٢ قال: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ فما السبب؟

وكيف نفهم الفروق البيانية الدلالية الموجودة بين الآيات الثلاث ونظهر اللمسات البيانية فيها؟

الجواب :

١ـ ربنا سبحانه وتعالى قال في سورة إبراهيم على لسان موسى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ و قال في لقمان: ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾.

ففي لقمان أكد بـ (إنّ) وحدها فقال: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ بينما في إبراهيم أكد بإنّ واللام فقال: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ والسياق هو الذي يوضح هذا الأمر.

٢ـ لو نقرأ الآية في سورة لقمان ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ إذن قسّم العباد إلى قسمين قسم شاكر وقسم كافر، من يشكر ومن كفر، إذن قسّم العباد إلى قسمين.

بينما في سورة إبراهيم افترض كفر أهل الأرض جميعاً ولم يقسمهم إلى قسمين فقال: ﴿ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾.

إذن في لقمان افترض العباد قسمين، وفي إبراهيم افترض كفر أهل الأرض جميعاً، فنلاحظ الاختلاف بين التعبيرين في ثلاثة أمور:

أ ـ في لقمان جرى على التبعيض (بعضهم مؤمن وبعضهم كافر باعتبار من يشكر ومن كفر)، بينما في إبراهيم على الشمول شملهم كلهم ولم يستثن أحداً.

ب ـ نلاحظ في لقمان قال: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بالماضي، وفي إبراهيم قال: ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ﴾ بالمضارع، في لقمان فعل الشرط ماضٍ ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ وفي إبراهيم فعل الشرط مضارع ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ﴾ والفرق واضح؛ لأنه إذا كان فعل الشرط ماضياً كان فيه افتراض وقوع الحدث مرة، وإنْ كان مضارعاً ففيه افتراض تكرر الحدث. ففي إبراهيم قال: ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ﴾ يعني إذا داومتم واستمررتم على الكفر، ويعني أنكم تستمرون على الكفر وتداومون عليه وأمّا في لقمان فقال: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾.

ج ـ ثم قال في سورة إبراهيم: ﴿جَمِيعًا﴾ فجاء بالحال المؤكدة.

٣ـ إذن في سورة إبراهيم افتراض كفر أهل الأرض بلا استثناء ولم يجعلهم قسمين، ثم افتراض الكفر مستمر، ثم أكد ذلك بـ﴿جَمِيعًا﴾ فاقتضى ذلك زيادة التأكيد في إبراهيم فقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

٤ـ وربنا تعالى لم يؤكد (غني) في لقمان؛ لأنّ الناس فئتان، ولمّا كان الناس على ملة واحدة أكّده؛ لأنه تعالى لا يحتاج إليهم حتى لو كانوا كلهم كفاراً ويداومون ويستمرون على ذلك. وفائدة التأكيد أنّ الله تعالى غني عن العباد كلهم لو كفروا كلهم جميعاً واستمروا فربنا غني عنهم، فأكّد الغنى.

٥ـ في لقمان أيضاً في الآية ٢٦ قال تعالى: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[لقمان:٢٦] فجاء بضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ وعرّف الغني.

و ضمير الفصل يقع بين المبتدأ والخبر، وبين اسم إنّ وخبرها،أو بين اسم كان وخبرها، أو بين مفعولين، و يفيد التوكيد ويفيد الحصر أحياناً. فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ يعني ليس في الحقيقة غنيّ سواه.

٦ ـ في آية لقمان رقم ٨ لم يذكر الملك، وقال: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ كأنه يقول أنا غنيّ عنك وعن شكرك، كما إذا قلت لأحد: أعطني لأمدحك فيقول لك: أنا غني عن ذلك، وليس بالضرورة أنْ تكون مالكاً. قال الخليل لمّا أرسل له أمير الأهواز بِغالاً محمّلة وطلب منه أن يأتي إليه:

أبلــغ ســليمان أني عنــه في جِــدَةٍ وفي غنــى غــير أني لســت ذا مــال

وربنا لم يذكر في آية لقمان الأولى ٨ أنّ له ملكاً، بينما في الآية الأخرى ٢٦ ذكر له ملكاً، ولا شك أنّ الذي يملك هو الغني؛ لأنّ قوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ يعني أنه غني. والغنى درجات، والناس يتفاوتون في الغنى وعندما تقول: فلان غني، يعني هو أحد الأغنياء، وقد يكون هناك أغنياء آخرون، وقد يكون هناك من هو أغنى منه، وهو أحد الأغنياء. لكنْ (هو الغني)، أي لا أحد سواه بمثل غناه.

فلمّا ذكر ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لم يبق شيء للآخرين، فهو في الحقيقة

الغني وحده. فكل تعبير في مكانه أنسب، وأيّ واحد عنده شيء من البلاغة يضع كل تعبير في مكانه كما هو في القرآن، ولا يصح أنْ يضع (هو الغني الحميد) في مكان ليس فيه ملك، وإنما كل كلمة هي في مكانها المناسب.

❁❁❁❁

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ ﴾ هذه من حكمة لقمان.

و يعني أن ما ذكره من الكلام هو من توجيهه لابنه ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ ﴾ وفي هذا توجيه للآباء أنْ لا يتركوا أبناءهم لأصدقاء السوء يتعلمون منهم ما يضرهم ولا ينفعهم، وإنما ينبغي للآباء أنْ يتعهدوا أبناءهم ويوجهوهم ويعلموهم ما هو خير لهم. وحكمة لقمان ليست فيما قاله من الكلام فقط وإنما في وعظه ابنه أيضاً، والوعظ بحد ذاته حكمة.

٢ـ يقول الأولون: إنّ حكمة لقمان فيها جانبان: تكميل لنفسه بالشكر ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ وتكميل لغيره بوعظ ابنه. أي في تكميل النفس وتكميل الآخرين أو في إصلاح النفس

وإصلاح الآخرين. والأقرب هو الابن، فإذن قوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ إشارة إلى الكمال، وقوله: ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ إشارة إلى تكميل ابنه.

٣ـ لمّا قال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ يعني أنّ كل ما قاله لابنه كان يطبقه على نفسه، بحيث يكون مثالاً صالحاً لابنه، ولا يجعل له ثغرة. وبالتالي فإنّ الحكمة ليست فقط في الأقوال التي قالها، وإنما أيضاً هي تكملة لنفسه بالشكر لله ونصحه لابنه وأنْ يطبق ما قاله على نفسه.

٤ـ ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾: الواو تحتمل أمرين: أنْ تكون واو الحال وصاحب الحال لقمان، أو أنْ تكون الواو استنافية، ولكلٍ دلالة.

واو الحال: أي قال لابنه واعظاً، أي: في حالة وعظ، وهذه إشارة إلى أنه لم يقلها هكذا بسرعة، وإنما توخّى الوقت المناسب وتوخّى فراغ ابنه واستعداده، فاختار الوقت المناسب والحال المناسبة فبدأ يعظه، وليست نصيحة طارئة بسرعة.

واو الاستئنافية: ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ أي هو من عادة لقمان أنْ يعظ ابنه ولا يتركه. والواو الاستئنافية تعني جملة جديدة، الجملة (وإذ قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله) هذا مقول القول، وتكون ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ استئنافية، إذن من شأن لقمان أنْ يعظ ابنه لا يتركه. فالواو لها دلالتان: أنه يختار الحالة المناسبة للوعظ، وهو يتعهده ولا يتركه.

٥ـ لو قال: (واعظاً) لأعطت دلالة واحدة وهي الحالية، بينما جملة ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ اكتسبت معنى الاستئناف ومعنى الحالية.

السؤال الثاني :

قوله ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ بدأ بالشرك، فهل لهذا من دلالة؟

الجواب :

١ـ بدأ بقوله: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ بُنيّ: تصغير (ابن) وإضافة إلى النفس (بُنيّ) يعني (ابني)، وفيها تحبيب ورفق وتلطف كما مع نوح ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [هود:٤٢] فيها شفقة به ورحمة.

لّما قال له: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ بدأ الوعظ فيها ذكر بعد ﴿لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ ولكن أراد في البداية أنْ يفتح قلبه، وهذا توجيه للدعاة وللآباء أنْ يبدأوا بكلمة رقيقة فيها حنان وشفقة ورأفة؛ لأنّ الكلام اللين يفتح القلوب والنفوس، فهو لا يصرخ بابنه، وإنما يأتي إلى ابنه بكلام لطيف ، ويضع يده على كتفه ويبدأ بالكلام اللطيف الهين، وعند ذلك ينتفع الابن باللطف والحنان أكثر مما ينتفع بالقول. وحتى ربنا سبحانه وتعالى قال: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ۝٤٤﴾ [طه:٤٣-٤٤].

اللين في القول يفتح القلوب العصيّة ويفتح النفوس؛ لذا قال لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾ بحنان ورفق ولطف وشفقة، وحتى لو كان الابن ينوي المخالفة سيخجل من المخالفة.

٢ـ ثم بدأ ﴿لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ قبل العبادة. التوحيد رأس الإيمان وأول ما ينبغي أنْ يغرس في النفوس التوحيد؛ لأنّه هوأساس الصلاح، والنهي عن الشرك مقدّم على العبادة؛ لأنه لا تنفع عبادة مع الشرك، فإذن بدأ بما هو أهمّ.

ثم النهي عن الشرك يتعلمه الصغير والكبير، ويمكن أنْ تعلّم الصغير(لا إله إلا الله)، وأمّا العبادة فلا تكون إلا بعد التكليف.

٣ـ الانتهاء عن الشرك أيسر من العبادة وأسهل، وكثير من الموحّدين يتهاونون في العبادة. فبدأ بما هو أهم وأيسر وأعمّ، وبما يعم الصغير والكبير.

السؤال الثالث :

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ كيف يكون الشرك ظلماً عظيماً؟

الجواب :

١ـ هو ظلم؛ لأنه يسوّي بين القادر والعاجز، والعالم والجاهل، والمنعِم والمحتاج إلى النعمة

٢ـ أنه لو تقدّم جماعة لإشغال وظيفة في الدولة وقدموا اختباراً، وأحدهم أجاب عن الأسئلة بأحسن إجابة وبأوضح كلام، وآخر لم يجب عن ذلك ولا بكلمة واحدة صحيحة ولم يحسن الكلام ولم يحسن القول، وسوّيت بينهما تكون ظالماً، والفرق بين الخالق والمخلوق أكبر من هذا بكثير.

إذن هو ظلم؛ لأنك سويت بين العاجز والقادر، بين العالِم والجاهل، بين المنعِم والمحتاج للنعمة.

والظلم واقع على النفس؛ لأنك عبدت من لا يستحق العبادة فأهنت نفسك وقد يكون المعبود أقل منك كالشجر والحجر، فإذن أنت ظلمت نفسك، وأوردتها مورد الهلاك وأدخلتها النار، ظلمتها بأنْ حططت من قدرها وأهنتها فكنت ظالماً.

٣- لماذا اختار الظلم؟ لأنّ فطرة الإنسان تكره الظالم، وحتى الظالم إذا وقع عليه ظلم يكرهه فهو يستسيغه من نفسه ولا يسيغه إذا وقع عليه.

إذن طبيعة النفس تكره الظلم والظالمين، حتى في الأفلام عندما نرى إنساناً ظالماً يتحزّب المشاهدون ضده.

فأراد لقمان ذكر الظلم؛ لأنّ النفس تكره الظلم؛ حتى تشمئز نفس ابنه. إضافة إلى أنّه لّما قال له: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ دلَّ هذا على أنّ الموجه والناصح والمعلم والداعية ينبغي أنْ يعلل الأوامر ولا يذكر هذا من دون تعليل حتى يقبل كلامه.

لماذا لا تشرك بالله؟ لأنّ الشرك لظلم عظيم. وهذا الظلم يقع عليك وعلى الآخرين، فهذا التعليل من أدب الوعظ والتوجيه.

❁❁❁❁

﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤﴾

السؤال الأول :

هذا كلام الله تعالى، مع أنّ لقمان لم ينته بعد من الوصية، فلماذا هذه المداخلة؟

الجواب :

أراد الله سبحانه تعالى أنْ يتولى الأمر بالمصاحبة بالمعروف لعظيم منزلة الأبوين عند الله. وربنا هو الذي أراد أنْ يأمر ويوصي بالإحسان إلى الوالدين ومصاحبتهما بالمعروف وليس لقمان ، وهذه فيها أكثر من نقطة:

أ ـ لو قال لقمان لابنه: أنْ أطع أبويك، لتصور الابن أنّ الأب أراد أنْ يستغله ويستفيد منه ويجعله تابعاً له، كما يحدث عندما يقدم أحد لك نصيحة تنظر هل يستفيد هو منها أو لا؟

فالذي وصّى هو الله، وهذا الأمر لا ينفعه ولا يفيده، فإذن ربنا أراد أنه هو الذي يأمر بالإحسان إلى الوالدين ومصاحبتهما بالمعروف لا لقمان لعظيم منزلة الأبوين عند الله، فهو الذي تولى هذا الأمر، و حتى لا يظن ابن لقمان أنّ أباه هو المنتفع.

ب ـ قد يسأل سائل لِمْ لمْ يجعل لقمان ينتهي من الوصية ثم يأتي بهذه الآية؟

والجواب أنّ ربنا سبحانه وتعالى أراد أنْ يضع الوصية بالوالدين بعد النهي عن الشرك أو بعد الأمر بعبادته وطاعته، ولا يجعلها في آخر الوصايا. وهو لا يريد أنْ يقول: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ﴾[لقمان:١٩] ثم يقول: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ لكنه وضعها بعد النهي عن الشرك بالله، كما في الآيات: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[الأنعام:١٥١].

و﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء:٢٣] و﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [البقرة:٨٣] و ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء:٣٦] فهو يضعها بعد عبادة الله تعالى، وكأنها منزلة تالية بعد العبادة مباشرة، وهي الإحسان إلى الوالدين.

وهذه فيها إشارة إلى عظيم منزلة الأبوين عند الله، كون ربنا هو الذي وصّى ولم يجعل لقمان يوصي، وتدخّل في مكانها بعد النهي عن الشرك ولم يدع لقمان ينتهي من الكلام

فتكن في آخر الكلام، وإنما وضعها بعد النهي عن الشرك، أو تأتي بعد الأمر بعبادته سبحانه وتعالى.

السؤال الثاني :

ينزل الله تبارك وتعالى الوالدين منزلة كريمة بعد عبادة الله أو النهي عن الشرك بالله. لكنْ لِمَ الوالدان تحديداً وليس (الأبوين) مثلاً؟

الجواب :

الآية فيها جوانب كثيرة:

١ـ أولاً استعمل (وصّى) المشددة، ولم يقل: أوصينا؛ وذلك للتشديد على الوصية والمبالغة فيها.

ومن الملاحظ في القرآن أنه يستعمل (وصّى) في أمور الدين والأمور المعنوية و(أوصى) في الأمور المادية، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣١] ويستعمل (أوصى) في المواريث ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء:١١]. ولم ترد (أوصى) في الأمور المعنوية، وفي أمور الدين إلا في موطن واحد اقترنت بأمر مادي عبادي، وهو قوله تعالى على لسان المسيح عليه السلام ﴿وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم:٣١] فقال: (أوصاني)؛ لأنها اقترنت بأمر مادي وعبادي وهو الزكاة ، إضافة أنّ القائل هو غير مكلّف في وقتها؛ لذلك خفّف من الوصية فلم يكن وقتها مكلفاً لا بالصلاة ولا بالزكاة، فخفّف؛ لأنه لا تكاليف عليه.

٢ـ وقال (وصّينا) بإسناد التوصية إلى نفسه سبحانه بضمير التعظيم وربنا في أمور الخير وفي الأمور المهمة يسند الأفعال إلى نفسه، ولم يقل: وصّى الإنسان، وإنما قال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ بإسناد الفعل إليه سبحانه بضمير التعظيم. ثم استمر ورجع إلى الإفراد ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ وهذه من عادة القرآن، أنه إذا ذكر ضمير التعظيم يذكر قبله أو بعده ما يدل على الإفراد ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى﴾ ولم يقل: أنْ اشكر لنا.

٣ـ الوالدان: هو لم يقل :(أبوين) لأكثر من سبب:

أ ـ (الوالدان): تثنية الوالد والوالدة لكن غلّب المذكر، (الأبوان): تثنية الأب والأم، لكن غلّب الأب. إذن في الحالتين غلّب المذكر، في الأبوين تغليب الأب وفي الوالدين تغليب الوالد.

لكن لماذا اختار الوالدين؟ الولادة تقوم بها المرأة وليس الرجل. أمّا تسمية الوالد فيقول أهل اللغة (هوعلى النسب) والوالدة على الفعل، وهي التي تلد.

ب ـ إذن اختار لفظ الوالدين، من الولادة التي تقوم بها الأم، لكنه لم يختر الأبوين. الوالدان (الوالد والوالدة) مأخوذة من الولادة، أمّا الأبوان فليست من الولادة.

والقرآن يستعمل (أبوين) للجدّين، كما في الآيات: ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [يوسف:٦] ويستعمل (أبوين) لآدم وحواء﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف:٢٧].

٤ ـ إذن هو اختار لفظ الولادة، لكنْ لماذا؟ هناك جملة دواعي لسبب الاختيار:

أ ـ السياق ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ [لقمان:١٤] ذكر فيه الحمل والفصال ، والفصال هو الفطام من الرضاعة وماذا بين الحمل والإرضاع؟ توجد الولادة.

فهو ذكر الحمل والفصال أي الفطام من الرضاعة وبينهما الولادة فاختار لفظ الوالدين.

ب ـ ثم فيه تذكير بولادته وهو جاء إلى الدنيا ضعيفاً عاجزاً، وهما أحسنا إليه وربياه، فيذكره بالحالة الأولى التي يكون فيها أعجز ما يكون. وفيها تعبير إحسان الصحبة إلى الأم أكثر من الأب، فالولادة هي للأم وليس للأب، فلمّا قال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ كان فيه إشارة إلى أنّ إحسان الصحبة والوصية للأم أكثر من الأب، وحتى شرعاً وفي الحديث «**من أحق الناس بحسن صحبتي؟ فقال ﷺ: أمك، ثم أمك، ثم أمك**».

٥ـ هناك خط لا يتخلف في جميع القرآن: عندما يذكر الإحسان إلى الأبوين والبر بهما والدعاء لهما يذكر لفظ الوالدين ولا يذكر الأبوين ولم يقل مطلقاً: رب اغفر لي ولأبوي، وإنما الوالدين، كما في الآيات: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾ [نوح:٢٨]﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾[الأنعام:١٥١].

ولم يرد مرة واحدة في القرآن في إحسان الصحبة أو البر أو الدعاء بلفظ الأبوين، وإنما كله بلفظ الوالدين.

بينما يستخدم الأبوين في المواريث؛ ولعلّ ذلك لأنّ نصيب الأب أكبر من نصيب الأم فيغلّبه. لكنْ في الوالدين يغلّب الأم؛ لأنّ الأم أولى بالدعاء وحسن الصحبة. وفي المواريث يذكر أبويه؛ لأنّ نصيب الذكر أكثر من نصيب الأنثى.

٦ـ و لعلّ سائلاً يقول: إنّ القرآن استعمل لفظة الأبوين في سورة يوسف وهذا من باب الإكرام، فقال: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ [يوسف:١٠٠]

والجواب: قيل: هذا من باب الإكرام، وهو رفع أبويه على العرش لأكثر من سبب:

أ ـ على الأرجح أنهما كانا أمه وأباه، وهذه مسألة خلافية.

ب ـ لم يرد في قصة يوسف ذكر للأم وإنما ذكر الأب، وهو الذي حزن وفقد بصره، ولم يرد ذكر للأم في قصة يوسف، حتى قال: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [يوسف:٨٥]فإذن كونه لم يرد ذكر للأم معناه: الأب يتغلب.

ج ـ أنّه لمّا قال: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ هذا إكرام للأم وليس للأب، وفيه إلماح إلى تكريم الأم؛ لأنّ معنى: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ أي: عظموه والمفروض أنّ الابن يعظم الأبوين. فلمّا كان فيها تعظيم الأبوين لابنهما اختار أقلّهما وهو الأبوين فدلّ هذا على إكرام الأم. ثم فيه إلماح إلى أنّ العرش للأب وليس للأم.

السؤال الثالث :

قال تعالى ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي﴾ ولم يقل: اشكر لنا، مع أنه قال ﴿وَوَصَّيْنَا﴾؟ ما أهم دلالات هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾ ولم يقل: أن اشكر لنا؟ فلماذا؟

والجواب:

أ ـ وصّاه بالشكر للمنعم الأول الذي هو الله الذي أوجده من العدم، وهيأ له أسباب الحياة، وهيأ له من يحمله ويرضعه وهو ضعيف عاجز.

ب ـ ثم وصاه بالشكر لوالديه.

ج ـ هناك خط عام في القرآن: أنّه إذا ذكر ضمير التعظيم يذكر قبله أو بعده ما يدل على التوحيد، فقوله :﴿وَوَصَّيۡنَا﴾ ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي﴾ (وصينا) فيها ضمير تعظيم، (أنْ اشكر لي) فيها ضمير الإفراد.

٢ـ ما المقصود بالشكر؟ هل تقول بلسانك: الحمد لله؟ ليس الشكر مطلق القول باللسان؛ لأنّ الشكر عمل، كما قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣] ويعني أنّه من لم يؤد حق النعمة فليس بشاكر ولو بقي الليل والنهار يقول: الحمد لله، يعني: من آتاه الله مالاً ولم يؤد حقه فليس بشاكر وإنْ شكر بلسانه، فالشكر عمل ويكون معه القول.

لذلك قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ معناه :اشكر لي حق الله تعالى بأنْ تقوم بتأدية نِعَم الله تعالى عليك عملاً وقولاً.

وفي الآية إشارة إلى الحياة الآخرة في ﴿إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ أي هي المرجع.

السؤال الرابع :

ما علاقة ﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ بصدر الآية؟

الجواب :

أي مآل ذلك فيما إن خالفت إليّ، وسيجزيك الله بما تعمل وبما أوصاك به ربك. كأنّ هذه تذكير بالمآل، أي :مآل ذلك: ماذا سيكون؟

ثم قال: ﴿إِلَيَّ﴾ بتقديم الجار والمجرور للدلالة على الحصر إليه لا إلى غيره، وفي هذا نفي للشرك وإثبات للمعاد. ولو قال: المصير إليّ، لم يفد الحصر.

السؤال الخامس :

في صدر الآية نفهم أنّ الكلام عن غائب ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ ثم يتحول إلى المخاطب ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى﴾؟ من المخاطب؟

الجواب :

هو قال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ عموماً، بماذا وصّاه؟ بأنْ اشكر لي ولوالديك، إذن الوصية هي: أنْ اشكر لي ولوالديك. والمخاطب هو العموم.

السؤال السادس :

هل تعني الآية أنّ الأب مهضوم الحق؟

الجواب :

بالطبع لا. هو قال: بوالديه ، ولم يقل بأمه، وهي أولى بحسن الصحبة كما في الحديث. وذكرنا سابقاً أنّ (أبوين ووالدين) كلاهما من حيث اللغة تغليب المذكر، والوالدان هما

الوالد والوالدة، لكن غُلِّب فيها لفظ المذكر وهو الوالد، والأبوان هما الأب والأم، لكن غُلِّب بلفظ المذكر الذي هو الأب إذن كلاهما تغليب المذكر.

وهذا ورد في اللغة، يقولون: القمران أي الشمس والقمر، لكنْ في الخط القرآني العام يذكر مع الوصية والدعاء والبر لفظة الوالدين، وأمّا في المال فيذكر لفظ الأبوين؛ لأنّ لفظ الأب له نصيبه في الميراث أكثر.

السؤال السابع :

ما الفرق بين العام والسنة والحول؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٣٣.

❁❁❁❁

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الدلالة العامة للآية؟

الجواب :

١ ـ قوله تعالى: ﴿جَٰهَدَاكَ﴾ أي: بذلا جهدهما على أنْ تشرك بالله، وإذا بذلا جهدهما وحاولا أنْ تشرك بالله فلا تطعهما.

٢ـ ثم قال: ﴿عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي﴾ هذا مقام توحيد. والقرآن لا يستعمل في مقام التوحيد ونفي الشرك إلا ضمير المفرد، كما في الآية: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا ﴿١٥﴾﴾ [طه:١٤-١٥].

٣ـ ثم قال: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ ﴾ أبطل الشك من جميع نواحيه وأقسامه. والإنسان في معلوماته إمّا أنْ يعلم بأمر ما أنّ هذا لا يصلح أنْ يكون شريكاً لله أو لا يعلم. وكل ما في الوجود بالنسبة للإنسان أحد أمرين: إمّا أن يعلم أو لا يعلم. فالأمرالذي يعلم يعلمه، وبقي الذي لا يعلم، فقال: ﴿مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ ﴾ وهذه تعود على الذي يريد أنْ يشركه بالله وهو لا يعلم.

أي أنّه نهاه عن كل الشرك بكل أقسامه ما علِم وما لم يعلم. وإذا نفى ما ليس له به علم، فالمنطق أنْ يكون نفى الذي له به علم؛ لأنه يعرفه.

٤ـ في الآية ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ ﴾ (ما) هنا مفعول به للفعل (تشرك).

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ﴾ لفظة الدنيا يحملها المفسرون على أمرين: إمّا في الحياة الدنيا؛ لأنّ هذه المصاحبة ستكون في الدنيا فقط ثم ستنتهي ويفترقان في الآخرة، وإمّا المصاحبة في أمور الدنيا لا في أمور الدين، حيث: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

في أمور الدين لا تطعهما، بينما في أمور الدنيا قد تطيعهما، فصاحبهما في أمور الدنيا لا في أمور الدين.

السؤال الثاني :

حينما يتحدث الله تعالى عن العلاقة بين الأفراد والمعاشرات يقول: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ [الطلاق:٢] وهنا في آية سورة لقمان قال: ﴿مَعْرُوفًا﴾ ولم يقل: (بمعروف)، فلماذا؟

الجواب :

١ـ هذا التعبير يدل على عظيم منزلة الأبوين عند الله، ويعني أنْ تصاحبهما في الدنيا مصاحبة هي المعروف بعينه، و ليست مصاحبة للمعروف.

٢ـ لو قال: (صاحبهما بمعروف) يعني أنْ تكون المصاحبة مع المعروف والباء للإلصاق، أو قد تكون للمعية أي: مصاحبة للمعروف، وليست هي المعروف كله.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ [البقرة:٢٣١] هذه في مصاحبة الزوج للزوجة، فأنت تستطيع أنْ تنهر زوجتك أو ترفع صوتك عليها أو تعضلها أو تضربها، أمّا مع الأبوين فلا يمكن أنْ يحصل شيء من هذا. وأنت قد تصاحب المرأة بمعروف، لكن مع هذه المصاحبة بالمعروف قد تنهرها وتزجرها وتؤدبها، لكنْ لا يمكن أنْ يكون هذا مع الوالدين.

٣ـ ﴿مَعْرُوفًا﴾ تُعرَب مفعولاً مطلقاً، وهو في الأصل وصف للمصدر: أي: صِحاباً معروفاً.

السؤال الثالث :

في سورة العنكبوت قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت:٨]

وفي الأحقاف: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف:١٥]ولكن هنا قال: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥]

فما اللمسة البيانية في اختيار حُسناً وإحساناً؟

الجواب :

انظر الجواب في آية العنكبوت ٨.

السؤال الرابع :

جاءت لفظة ﴿مَعْرُوفًا﴾ في آية لقمان ١٥، بينما جاءت لفظة ﴿يُوَآدُّونَ﴾ في آية المجادلة٢٢، فلماذا؟

الجواب :

١ـ جاءت لفظة ﴿مَعْرُوفًا﴾ في آية لقمان ١٥، بينما جاءت لفظة ﴿يُوَآدُّونَ﴾ في آية المجادلة؛ لأنّ آية لقمان تحث الأبناء على إحسان معاملة الوالدين، بينما الآية الثانية قد توحي للذهن من النظرة السطحية أنها تعارض آية لقمان، لكنْ لدى التعمق الدقيق بينهما في المفردتين ﴿مَعْرُوفًا﴾و﴿يُوَآدُّونَ﴾ يتجلى التنسيق بينهما.

٢ـ لفظة (الود) هي أنْ تكون بينك وبين المودود علاقة محبة: وددت الرجل إذا أحببته.

بينما (المعروف) لا يشترط فيه المحبة؛ لأنّ المعروف هو حسن الصحبة والتعامل مع الأهل والناس.

ومن هنا جاءت آية لقمان تمنع إقامة علاقة ودية مع الوالدين غير المسلمين؛ لأنّ الإيمان لا يتجزأ. ومن ضوابط هذا الإيمان أنْ يكون الحب والكره في الله، وهذا ينطبق حتى على الأبوين غير المسلمين؛ لأنّ حب الله أولى من حبهما، لكنّ هذا الأمر لا يمنع من تقديم المعروف لهما وإحسان صحبتهما اعترافاً بفضلهما.

❋❋❋❋

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ ﴾

السؤال الأول :

قال تعالى في الآية: ﴿إِن تَكُ﴾ ثم قال: ﴿فَتَكُن﴾ ما الفرق في حذف النون وإثباتها في الفعل المضارع؟

الجواب :

١ـ قوله: ﴿ يَٰبُنَيَّ ﴾ للتحبيب والتقريب.

٢ـ قوله: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ﴾ ﴿إِنَّهَآ﴾ هو ضمير القصة أي الأمر أو المسألة أو الفعلة أو الخصلة.

٣ـ قوله: ﴿فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ﴾ بإثبات النون.

ولمّا قال: ﴿إِن تَكُ﴾ لم يذكر مكاناً لها ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ﴾ ولمّا قال: ﴿فَتَكُن﴾ ذكر مكاناً لها ﴿فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾أي عندما لم يذكر المكان لم يذكر النون، وعندما ذكر المكان ذكر النون.

٤ـ هناك قراءة أخرى (فتكِن) من: وَكَن يكِن، أي: دخل الطائر عُشّه والوَكْن هو العُشّ، يعني أنها تُستر في صخرة، وفي قراءة ﴿فَتَكُن﴾ هي من: كنّ يكِنّ، وكلها مما يقوي ذكر النون، وكل القراءات النون فيها مذكورة.

٥ـ لماذا الصخرة؟ الصخرة لا بدّ أنْ تكون في السموات والأرض وهناك صخور في السموات وفي المشتري وزحل وفي غيرها.

وقوله تعالى: ﴿فِي صَخۡرَةٍ﴾ يعني استخلاص الشيء من باطن الصخرة وهوأمر عسير.

وأنت إذا أردت أنْ تحفظ شيئاً لا ترميه في ساحة الدار وإنما تضعه في صندوق، وإذا أردت المبالغة في حفظه تضعه في حقيبة ثم في خزانة، وإذا أردت أنْ لا يصل إليه أحد فقد تأتي بقفل يصعب فتحه، وقد تضعها في مكان ليس له مفتاح أصلاً.

والصخرة عبارة عن محفظة ليس فيها مفتاح، وما قال: على صخرة وإنما قال: ﴿فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ﴾ مثلها مثل محفظة ليس لها مفتاح وبداخلها مثقال حبة من خردل، كيف يخرجها ربنا تعالى من دون تحطيم للصخرة؟! يخرجها بلطفه وخبرته فيأتي بها الله. ولم يقل: يعلمها؛ لأنك قد تعلم المكان، لكن لا تقدر أنْ تأتي بها.

إذن: (يأتي بها الله) أدل على العلم والقدرة، فإنها- وإنْ كانت صغيرة وفي مكان صغير عميق شديد وصلب وليس فيها مفتاح- يأتي بها الله تعالى من دون تكسير للصخرة فيستخرجها بلطفه وقدرته.

السؤال الثاني :

ما دلالة ﴿تَكُ﴾ و ﴿فَتَكُن﴾ في الآية؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ﴾ ثم قال: ﴿فَتَكُن﴾.

لمّا قال: ﴿تَكُ﴾ لم تكن في مكان معين، وإنما ذكرها هباءة تائهة في الوجود ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ ثم ذكر مكانها، فلمّا ذكر مكانها يعني أنها استقرت ذكَر النون ﴿فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ﴾.

٢ـ استوفى طرق الخفاء في الآية، فهي إمّا أن تكون في غاية الصغر ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ أو تكون بعيدةً في السموات مثلاً، أو في مكان مظلم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لأنه لا يوجد نور، أو من وراء حجاب ﴿فِى صَخْرَةٍ﴾ فهذه طرق الخفاء استوفاها كلها: الصغر ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ البعد ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الظلمة ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾، الحجاب ﴿فِى صَخْرَةٍ﴾ استوفاها كلها.

و جاءت كلمة (صخرة) نكرة و(السموات والأرض) معرفة؛ لأنّ الصخرة غير معروفة ، والسموات والأرض معروفة.

السؤال الثالث :

في آية سورة الأنبياء ٤٧ قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧] قارن بينها وبين آية لقمان ١٦ حيث فعل الشرط وجوابه في لقمان مضارعان وفي الأنبياء ماضيان.

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنبياء ٤٧.

السؤال الرابع :

لماذا جاء فعل الكينونة في آية لقمان مؤنثاً ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ وجاء في آية الأنبياء ٤٧ مذكراً ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ ؟

الجواب :

١ـ في مثل هذا التعبير يجوز التأنيث والتذكير ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾. وكقاعدة نحوية في مثل هذا التعبير يجوز فيه الوجهان :

وربما أكسب ثانٍ أولاً تأنيثاً إن كان لحذف موهلا

٢ـ المضاف إليه يكسب المضاف التأنيث، وطبعاً يكسبه التذكير. قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال (قريب) ولم يقل قريبة. وقولهم: (إنارة العقل مكسوفٌ بطوع هوى) ما قال مكسوفة. وقولهم: (وما حب الديار شغفن قلبي) (حب) مذكر و(شغفن) مؤنثة جاءت من الديار من المضاف إليه.

٣ـ مثقال حبة من خردل: (مثقال) مذكر و(حبة) مؤنث، ويجوز أنْ يكتسب التذكير والتأنيث بشرط أنْ يكون المضاف جزءاً أو كالجزء في الاستغناء عنه، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل:١١١](كلّ) مذكر و(نفس) مؤنث، فقال:(تأتي). ومثل (قُطعت بعض أصابعي)، يمكن أنْ يقال: قُطعت أصابعي، ومثل قول الشاعر:

لما أتى خبر الزبير تواضعت ... سور المدينة والجبال الخُشّع

(سور) مذكر و(تواضعت) مؤنثة.

٤ـ إذن من حيث الحكم النحوي ليس فيه إشكال، ويبقى طبيعة الاستخدام:

أ ـ قال في الأنبياء: ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ (شيئاً) مذكّر، فقال ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ والمعنى: وإنْ كان الشيء مثقال حبة، فذكّر، مع أنه يجوز التأنيث .

ب ـ أمّا في لقمان فقال: ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ وقد يكون ذلك للحبة أو الفِعلة أو قد يكون للعمل.

ففي الأنبياء قال بصيغة فعل الكينونة بالماضي (كان)؛ لأنه يدل على حالة محددة، وهي حالة الحساب يوم القيامة، للدلالة على أي عمل كان في الدنيا، وأتى به مذكراً لمناسبته مع ما قبله(شيء) وهو مذكر.

السؤال الخامس :

في لقمان ذكر تعالى أماكن وجود المتحدث عنه ﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وفي الأنبياء لم يذكر مكان وجودها، فلماذا؟

الجواب :

١ـ في الأنبياء: ليس الغرض في هذا الأمر بيان قدرة الله تعالى، وإنما السياق سياق وزن الأعمال، ولا يحتاج لذكر الأماكن.

٢ـ في لقمان: هو يبين لابنه قدرة الله سبحانه وتعالى، ويريد أنْ يعلم ابنه فقال: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ﴾ ويذكر الأماكن، أمّا في الأنبياء فقال :﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ أينما كانت؛ لأنّ السياق ليس في ذلك ولا هو في بيان قدرته تعالى للخلق. فالخلق يعرفون قدرته، والجامع هو الله، ولا يشك أحد في قدرته.

أمّا في سورة لقمان فيعلّم لقمان ابنه أمراً من أمور الدنيا، ويوم القيامة ليس الأمر مجهولاً لأي أحد، وإنما الأمر معلوم للجميع.

السؤال السادس :

ختام الآية في لقمان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ وفي الأنبياء﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾فما الفرق؟

الجواب :

في الأنبياء مكان حساب ووقت حساب﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ فقال: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ لأنه مقام حساب وليس في مقام اسخلاص المثقال من مكانه.

أمّا في لقمان فالسياق في مكان استخلاص الحبة ومكان الحبة، فقال:﴿لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

السؤال السابع :

في سورة لقمان عندما كان لقمان يوصي ابنه قال: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾لم يقل مثلاً: (عليم)؛ لأنه يعلم أماكن وجود ضمير الشأن (حبة الخردل) فما دلالة اللطف في الآية؟

الجواب :

١ـ استخلاص هذا المثقال من هذا المكان يحتاج إلى لطف وإلى خبرة والخبرة هي العلم ببواطن الأمور، والخبير هو العليم ببواطن الأمور واللطيف هو الذي يتوصل إلى أشياء بالخفاء.

وقسم قال: اللطيف؛ أي: الذي لا يُرى، وقالوا: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى:١٩] بمعنى آخر: أنه يلطف بهم ويرأف بهم. و(اللطيف) هو الذي يأتي بأمور بخفاء يستخلصها بخبرته وبطريق الخفاء، ويأتي بها من دون أنْ يحطّم الصخرة بلطف وخفاء، فتمتد قدرته إليها فيستخلصها.

٢ـ ذكر هذا الأمر من لقمان لابنه؛ ليعلمه أنه إذا كان رب العالمين سبحانه وتعالى يأتي بمثقال حبة من خردل من هذه الأماكن، فلماذا الشرك؟ ماذا يفعل الشريك؟ الشريك لا يستطيع أنْ يمنع هذه الحبة الصغيرة من أنْ يأتي بها الله، فلماذا الشرك؟

٣ـ ثم هناك أمر آخر، أنّ لقمان يبين المسألة ويوضح قدرة الله لابنه وفي هذا يعلمنا لقمان بحكمته أنّ المسألة ليست في الأوامر والنواهي، لا تفعل كذا أو افعل كذا، وإنما يضرب له الأمثال ويبين له بالحجج حتى يقتنع ويستوعب المسألة، وهذا فيه توجيه

للآباء والوعاظ والمرشدين بأنْ لا يكثروا فقط من الأوامر والنواهي، وإنما ينبغي أنْ يعلّلوا ويبينوا حتى يقتنع السامع بعقله ويقبل هذ الشيء.

هذا التعليم من حسن التربية: أولاً الرفق، فقد كان دائماً يردد قول ﴿ يَٰبُنَيَّ ﴾ وعندما يذكر الأمر يعلل له العلة حتى يقتنع بما يقول وحتى يستوعب المسألة، وحتى تتضح له المسألة، وليس مجرد أوامر.

وهذا توجيه للآباء والمرشدين عموماً بأنْ يحسنوا في القول ويلطفوا في القول ولا يكونوا أشداء.

والأمر الآخر: أنّ عليهم أنْ يوضحوا ويبينوا ويأتوا بالحجج المبينة حتى يقبل العقل ما يقولون، وليس مجرد أوامر ونواهٍ.

❁❁❁❁

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ هذه الآية فيها أوامر، فبعد أنْ نهاه عن الشرك وأمره بالتوحيد بدأ بأهم العبادات. ففي البدء أقام العقيدة السليمة، وهي التوحيد؛ لأنه لا تصح عبادة مع الشرك، فجاءه بأهم الأمور وأعمها وأيسرها وهو نفي الشرك بالله وترسيخ عقيدة التوحيد ثم أمره

بالعبادات وبدأ بأهم العبادات وأوجبها وهي الصلاة، وهي التي لا تسقط بحال من الأحوال، وهي أول ما يُسأل عنه المرء يوم القيامة.

٢ـ وإسماعيل عليه السلام كان يأمر أهله بالصلاة، وكذلك موسى عليه السلام، كما في الآية: ﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [يونس:٨٧] والصلاة هي عبادة أوجبها الله تعالى منذ البدء، وهي آخر ما يُرفع من الأعمال قبل يوم القيامة.

ولم يقل له: صلِّ، وإنما قال: أقم الصلاة؛ أي: الإتيان بها على أتم حالاتها بكل سكناتها وحركاتها وخشوعها.

٣ـ نلاحظ أنه بعد الأمر بإقامة الصلاة ما قال أموراً أخرى، وإنما قال: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ إذن هو أمره بنوعين من العبادات: عبادة فردية شخصية (الصلاة) وعبادة عامة اجتماعية (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

الصلاة عبادة فردية، والثانية عبادة اجتماعية، وكما قال القدامى إحداهما تكميل للنفس (الصلاة)، والثانية تكميل للمجتمع (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) إذن هما عبادتان إحداهما للنفس وتكميلها، والثانية للمجتمع لأنّ من حق المجتمع على الفرد أنْ يحفظه ويرسي قواعد الخير فيه ويجتث أمور الشر فيه، والأمر بالمعروف يرسي قواعد الخير والنهي عن المنكر ويجتث قواعد التخريب وقواعد الهدم.

٤ـ قوله تعالى ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ الذي يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يدركه الأذى من الآخرين، وهكذا قال القدامى؛ لأنك تتعرض للآخرين، تأمرهم

بالمعروف وتنهاهم عن المنكر، فقد تسمع منهم كلاماً يؤذيك. ولقمان أدرك بحكمته أنّ ابنه إذا فعل هذا سيتعرض للأذى لأنه من أمر بالمعروف عليه أنْ يتوقع أن يصيبه أذى.

والغريب أنه من حكمة لقمان أنه أمر ابنه بذلك (مع أنه يدرك أنّ ابنه سيصيبه أذى) والآباء عادة يقولون لأبنائهم: اتركوا الناس بشأنهم لا عليكم منهم، يخشون على أبنائهم من الأذى، فيقولون لهم: اتركوا الناس، أمّا لقمان بحكمته الثاقبة، ومع أنه يعلم أنّ ابنه سيصيبه الأذى، لكنه علم أنّ هذا الأمر أولى من راحة ابنه، وأنّ إرساء قواعد الخير في المجتمع واجتثاث عوامل الشر منه أولى من راحة ابنه؛ لأنّ المجتمع إذا انهار ينهار عليه وعلى ابنه وأسرته، فالانهيار لا يختص بواحد، وإنما يعم الجميع. ولذلك هو مع معرفته بذلك أوصاه بفعل ذلك، وهذا من حكمة لقمان الثاقبة، فهو كم يحب ابنه ويتمنى له الخير وهو يعلم أنه سيصيبه أذى، لكنّ هذا الأذى أهون من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥ـ قوله تعالى ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: الصبر على إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كلها من الأمور الواجبة المقطوعة التي لا ينبغي التخلي عنها، وإنْ كانت الثانية أكثر؛ لأنها مواجهة ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ (ذلك تعود) على البعيد، أي: الأمور التي لا ينبغي التخلي عنها مهما أوذي في ذلك.

السؤال الثاني :

ختمت الآية في سورة لقمان ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ وفي سورة الشورى﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى:٤٣]، فما اللمسة البيانية في الاختلاف بينهما؟

الجواب :

١ـ في لقمان قال: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ وفي الشورى قال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾.

أيّهما الأشد: أنْ تصبر وتغفر أو أنْ تصبر فقط؟ والجواب :أنْ تصبر وتغفر؛ لأنها أشق على النفس.

٢ـ يطالبنا ربنا بالصبر والمغفرة؛ لأنّ هذا أسدى إلى الخير وأكمل للمعروف ويؤلف قلوب الآخرين ولا يثير فيهم الضغائن، وإذا فعلت لهم الحسنة فقد جمعت قلوبهم ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٤].

٣ـ أكّد في الشورى بـ (إنّ واللام)، وفي لقمان بـ(إنّ) فقط؛ وذلك لأنّه تعالى أوصانا في الشورى بشيئين: الصبر والمغفرة لمن أساء الينا، فقال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾وأوصى لقمان ابنه بالصبرفقط فقال: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ والأول أشق على النفس من مجرد الصبر، فاحتاج إلى زيادة التوكيد، فقال: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

❋❋❋❋

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما التصعير؟ ومن المختال؟ وما المرح؟

الجواب :

١ ـ الصَّعر: هو الكبر والميل والتشدق في الكلام وإعراض الوجه عن الناس تكبراً.

والمعنى اللغوي: هو داء يأخذ البعير فيلوي منه عنقه فيُميله تخفيفاً للألم ومنه أُخذ التصعير، بمعنى إمالة الخد عند النظر إلى الناس كبراً وخيلاء.

وهناك قراءة (ولا تُصاعر) ومعناها: الإعراض من الكبر.

٢ـ المرح: هو النشاط مع الزهو والخيلاء، أي يختال في مشيته.

٣ـ المختال: هو المتباهي الصلف المعجب بنفسه، و(اختال) أبلغ من الفعل (خال)؛ لأنه على وزن (افتعل)، ومن معانيها المبالغة في الفعل.

٤ـ الفخور: من صيغ المبالغة للدلالة على الذي يعدد ما أُعطي من المال والجاه والنسب، ولا يشكر الله تعالى.

وهذه الكلمات كلها تفيد المبالغة.

٥ ـ لم يرد لكلمة ﴿تُصَعِّرْ﴾ أي اشتقاق إلا في هذا الموضع، على حين ورد تعبير: استكبر ـ استكبرتم ـ متكبر ـ متكبرين ـ وغيرها في حوالي ٥٧ موضعاً.

وهذا يدل على أنّ الله تعالى أراد أن يصوّر المتكبر بهذه الصفة القبيحة حتى يرى المتكبر نفسه على حقيقته ويعلم أنه يتصرف تصرفاً مريضاً وأنه لو عقل وشُفي من مرضه لأدرك أنّ الذين يتكبر عليهم كلهم أفضل منه.

٦ـ نلاحظ أنّ لقمان انتقل بابنه إلى الآداب في معاملة الناس وكيف ينبغي أنْ يعامل الناس فنهاه عن التكبر وتصعير الخد ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ﴾ والتصعير هو إمالة الخد كِبراً، يشيح

بوجهه تكبراً وإعراضاً، وصعّر خده أي: أماله كِبراً. والمرح هو النشاط مع الخيلاء والزهو، ويعني أنه معجب بنفسه. والمختال هو المتكبر، وقالوا المختال هو الصَّلِف المتباهي الجهول المُعجَب بنفسه.

٧ـ (مختال) اسم فاعل، ويصلح أنْ يكون اسم فاعل واسم مفعول. مختال فعله الثلاثي (خالَ)، بينما (اختال) فيه زيادة في الاختيال وفي التكبر وفيها مبالغة.

إذن المختال هو المبالغ في الأصل، و(مختال) أبلغ في هذا الوصف. و(فخور) صفة مبالغة (فعول). إذن (مختال) مبالغة، و(فخور) مبالغة.

السؤال الثاني :

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ لِمَ لمْ يقل :على الأرض؟ ولماذا؟

الجواب :

١ـ قال: لا تمش في الأرض، ولم يقل: على الأرض، مع أنّه قال في موطن آخر: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الفرقان:٦٣].

(في) تفيد الظرفية، و(على) للاستعلاء، وكأنّ هذا المختال يريد أنْ يخرق الأرض وهو يمشي كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ [الإسراء:٣٧] ولذلك قال تعالى: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ لأن فيها تكبراً وخيلاءً وفخراً.

فالمختال يمشي في الأرض هكذا. أمّا عباد الرحمن فيمشون على الأرض هوناً بوقار وسكينة، وليس في الأرض كما يفعل أولئك.

٢ـ بشكل عام (على) تفيد الاستعلاء و(في) تفيد الظرفية، كما في الآيات: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ﴾ [البقرة:٥] و ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[سبأ:٢٤] فالهدى استعلاء، وهواستعلاء على السوء وعلى الشر وعلى السفاسف.

٣ـ نلاحظ أنّ الأبنية في الآية كلها تفيد المبالغة ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا﴾

وبيان ذلك :

أ ـ (مرحاً) حال، جاء بها على وزن المصدر (مرح)، وهذا يفيد المبالغة، وإذا أتيت بالحال مصدراً فهو للمبالغة قطعاً، وعندما تقول: جاء ركضاً أبلغ من جاءك راكضاً، وكما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗا﴾ [البقرة:٢٦٠] أبلغ من ساعيات؛ لأنك أخبرت عن الذات بالحدث المجرد.

ب ـ (في الأرض) مبالغة في المشي.

ج ـ ثم (إنّ) توكيد.

د ـ و(مختال) فيه المبالغة من (اختال) على وزن افتعل، و(فخور) مبالغة. ويعني هذا أنّ كل أبنية الآية وكل ترتيبها للمبالغة.

❁❁❁❁

﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ هذه الآية الكريمة تفيد طلب توسّط في المشي بين الإسراع والإبطاء. وقد قال تعالى قبلها: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

والآن يوجهنا إلى الطريق المستقيم الصحيح في القصد والاعتدال في المشي وفي الكلام.

والقصد هو التوسّط بين الإسراع والإبطاء، فإذا احتجت إلى الإسراع فأسرِع بقدر ما تحتاج ولا تمشِ مشياً متهاوتاً، وإنما مشية القصد والمتوسط لا مشية المتهاوت ولا مشية المسرع .

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ اغضض يعني: اخفض، جاء بـ ﴿مِن﴾ وما قال: اغضض صوتك، بل قال: ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ للتبعيض فيخفض منه بحيث لا يكون مرتفعاً فيؤذي ولا يكون همساً فلا يُسمَع. وعندما نقول اغضض من صوتك؛ أي اخفض منه قليلاً. ولذلك عند الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ ولذلك كان الصحابة لا يكاد يُسمع أصواتهم عند رسول الله ﷺ.

وهناك فرق بين خطاب عموم الناس وبين أنْ تكون عند الرسول ﷺ فتغض صوتك. لذلك قوله تعالى: ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ أي توسط في الصوت والحديث مثل التوسط في المشي.

٣ـ ثم ذكّره بما تستقبحه الآذان فقال: ﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ ذكّر من يرفع صوته أكثر مما يحتاج إليه السامعون، ذكّره بصوت الحمار ونُكره في النفس.

السؤال الثاني :

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ استخدم الحمير في الآية، مع أنه في مكان آخر استخدم ﴿حُمُرٌ﴾ فما دلالة استخدام ﴿ٱلْحَمِيرِ﴾ ؟

الجواب :

١ـ كلاهما جمع حمار، لكنّ القرآن استعمل كلمة (الحمير) للحُمُر الأهلية و(الحُمُر) للوحشية، هكذا خصّصها. قال تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل:٨] خصّص هذا الجمع بالحُمُر الأهلية، والحُمُر خصصها بالوحشية في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾ [المدَّثر:٥٠-٥١] فهذه هي الوحشية التي في الغابة.

٢ـ اللغة العربية لا تفرق بين الكلمتين، ولكن هذا من خواص الاستعمال القرآني. وفي القرآن كثير من الأمور خصصها بالجمع مثل: الأعين والعيون، العيون عيون الماء، والأعين استعملها للعين الباصرة أو الرعاية وكذلك استخدام (الموتى والأموات والميِّتين)، الموتى للميّت حقيقة والميّتون لمن لم يمت بعد ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزُّمَر:٣٠]. وكذلك (القعود والقاعدون): القعود استخدمها في القعود الحقيقي نقيض القيام، والقاعدون في القاعدين عن الجهاد فقط، وهذا من خواص الاستعمال القرآني.

٣ـ اللغة العربية قد تخصص كلمة معينة، مثلاً تخصص (الخال) وهي مشتركة بين الشامة وأخ الأم، وتستخدم (خيلان) جمع (خال) الشامة و(أخوال) لجمع خال (أخي الأم). الركاب والركبان، (الركاب) عامة للسفينة والخيل وغيرها، أمّا (الركبان) فللإبل

فقط، وهذا تخصيص العرب والقرآن كذلك يخصّص في الاستعمال، فالحُمُر للوحشية والحمير للأهلية المستأنسة.

❁❁❁❁

﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾

السؤال الأول:

كيف نربط بين هذه الآية وما سبقها من آيات؟

الجواب:

١ـ انتهت وصية لقمان بالآية ١٩، وبدأ الآن كلاماً آخر وهو كلام رب العالمين وخطابه للخلق ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان:٢٠]..

٢ـ الله تعالى قال قبل وصية لقمان: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ فذكر خلق السموات وإلقاء الرواسي في الأرض وما بثّ فيها من كل دابة، وهنا ذكر النِعم التي أنعمها في السموات والتسخير وأسباب النِعم فهناك الخلق وهنا المرحلة الأخرى، وهي التسخير بعد الخلق. هناك خلق السموات وهنا تسخيرها؛ لأنّ التسخير يكون بعد الخلق.

٣ـ ومن حيث المضمون فالناس يعلمون أنّ الله خالق السموات والأرض﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [الزُّمَر:٣٨] وكان المتوقع أنّ معرفة هذا الأمر تدعو الناس إلى عبادته سبحانه، ومع ذلك فقد ذكر الله أنّ قسماً من الناس يجادلون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب مبين. ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾.

فهذه الآية ليس لها ارتباط فقط بالآية التي سبقت وصية لقمان، بل كأنها مكملة لها في خلق السموات وما إلى ذلك، ثم بعدها التسخير.

٤ـ وحتى يبدو أنّ لها ارتباطاً بأول السورة في الآية: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [لقمان:٢-٣] فوصف الكتاب بأنه حكيم وذكر أنه هدى ورحمة للمحسنين ، وذكر أنّ هؤلاء يجادلون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. هناك ذكر الكتاب وذكر أنه حكيم، وهنا ذكر أنهم يجادلون بغير علم، ولو اطلعوا على الكتاب لكان عندهم علم. إذن (بغير علم) يقابل وصف الكتاب بأنه (حكيم)؛ لأنهم لو اطلعوا وقرؤوا الكتاب لكانوا يتكلمون بعلم.

ففي فاتحة السورة قال تعالى: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [لقمان:٢-٣]. فأثبت أنه كتاب حكيم، ووصف الكتب بأنها هدى ورحمة للمحسنين، بينما هنا قال: ﴿وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ فهم لم يحسنوا الجدال، بل يجادلون بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

* من اللمسات البيانية في الآية:

١ـ قال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾، ولم يقل: ألم تر، أي الخطاب لعموم العقلاء وليس للمفرد فقط، وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ أي ألم تبصروا، يعني: ألم تعلموا. و(رأى) قد يكون قلبياً أو بصرياً.

٢ـ ثم قال: ﴿سَخَّرَ لَكُم﴾ ذكر نعمته بالتسخير لعموم الخلق، ثم قال: ﴿مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ شمل عموم ما فيهما، ما في السموات وما في الأرض وهذا أعمّ تسخير، وما بمعنى الذي. ولم يقل كما قال في مواطن أخرى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ [إبراهيم:٣٣]تحديداً ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم:٣٢] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [النحل:١٢]﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ﴾ [الجاثية:١٢]فهذه جزيئات بينما هنا قال: ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

إذن (ألم تروا) جمع، (سخر لكم)جمع، ثم (ما في السموات وما في الأرض) أعم تسخير.

٣ـ ثم قال: ﴿وَأَسْبَغَ﴾ معناها: أفاض في العطاء وليس العطاء فقط وكلها في الزيادة والمبالغة في الشيء.

٤ـ ثم قال ﴿نِعَمَهُ﴾ بجمع الكثرة، لم يقل: أنعمه؛ لأنّ أنعم جمع قلة. وجمع القِلّة معدود بين الثلاثة والعشرة، و(نِعم) جمع كثرة غير معدود.

ولمّا أثنى الله تعالى على إبراهيم عليه السلام قال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ [النحل:١٢٠ - ١٢١] لم يقل لنعمه؛ لأنها لا تُحصى ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم:٣٤].

و(نعمة) هنا جنس، وحتى النعمة الواحدة فيها نِعم. النِعم عامة والنعمة قد تكون للجنس مثل الإنسان، فتشمل جميع النِعم وحتى لو كانت واحدة فهي لا تُحصى.

٥ـ ثم قال: ﴿ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ وفيها دلالة على شمول النِعم لجميع أنواعها الظاهرة والباطنة.

ولو قال: (وأسبغ عليكم نعمه) فقد يظن ظان أنها ظاهرة وغير باطنة مثلاً؟ فذكر (ظاهرة وباطنة) للشمول؛ لأنّ من النعم ما هو باطن مثل العقل والقلب وما أودعه الله تعالى فينا من القوة والأشياء الباطنة؛ ولأنّ الإنسان قد لا يحس إلا بالنعم الظاهرة فقال: ﴿ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾وهذه كلها متناسبة مع الشمول الذي يذكره.

٦ـ ثم قال: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ فأفاض في ذكر مركّب الجهل وعناصر الجدل.

وكما أوسع ربنا وأفاض فيما سخره، وأوسع وأفاض في النعم، وأوسع وأفاض في الشمول، فقد أوسع وأفاض في ذكر عناصر الجهل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ بحيث تشمل عناصر الجهل المركّب الظاهر والباطن:

أ ـ العلم هنا باطني، وعندما ترى إنساناً لا يمكنك أنْ تحدد علمه من الرؤية، وقد تظهر لك بعض الآثار إذا تكلم الشخص، فهذا أمر باطني.

ب ـ والهدى قسمان: قد يكون ظاهراً في الكتب، ورب العالمين سمى الكتب هدى، فالتوراة والإنجيل والقرآن هدى ورحمة. وقد يكون الهدى باطناً.

فالهدى الظاهر هو أدلاء الطريق، كما قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾﴾ [طه:١٠]﴿ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل:١٥-١٦] هذا هدى ظاهر.

وأما الهدى الباطن فهو توفيق الله وما يقذفه من نور في قلب الإنسان ﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴾ [الكهف:١٣]﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗى ﴾ [مريم:٧٦] ﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا ﴾ [السجدة:١٣].

ج ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾ هذا كتاب ظاهر مقروء.

إذن نفى عناصر الجهل، وتدرج في ذكر العناصر من الباطن إلى المشترك إلى الظاهر، الباطن هو العلم في الكتاب والمشترك هو الهدى، ثم وصف الكتاب بأنه منير، ولم يقل (ولا كتاب) فقط؛ لأنّ هؤلاء قد يرجعون إلى كتب غير منيرة، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾ [لقمان:٦] وقد يرجعون إلى الكتب المحرفة، إذن كلمة (منير) أفادت أنها حددت كتاب الله.

٧ـ وعلاقة (منير) بالوصف الذي قبله من الجهل المركّب الذين هم فيه أنهم في ظلمات ويخرجهم من الظلمات إلى النور. واللطيفة أنّ هذه المجادلة في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير هي أنكر المجادلات، وهي مثل إنكار صوت الحمير، فمن اللطيفة أنْ تكون بعدها، وهي مناسبة لما قبلها. فجعل كليهما من المستنكرات، المستنكر في العقول أنْ يرفع الإنسان صوته، والمستنكر في الجدال والنقاش أنه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

والقرآن كله وحدة واحدة مترابطة دائماً، ولا يمكن تفسير القرآن بما هو خارج عنه، والقرآن يفسر بعضه بعضاً.

السؤال الثاني:

قال تعالى في سورة النحل: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ [النحل:١٢١]، وفي سورة لقمان ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢٠] فما الفرق بين أنعُم ونِعَم؟ نِعمه هل هي نِعَم واحدة؟

الجواب:

١ـ (أنعم) جمع قِلّة على وزن أفعُل، (نِعم) جمع كثرة. ونعم الله تعالى لا تحصى ولا يمكن أنْ تُشكر ولا نستطيع شكرها.

والله تعالى مدح إبراهيم عليه السلام على أنه شكر (الأنعم) أي القليل من النِعم فمدحه على ذلك؛ لأنه لا يمكن لأحد أنْ يشكر نِعَم الله تعالى التي لا تُحصى، فأثنى على إبراهيم عليه السلام؛ لأنه كان شاكراً لأنعم الله تعالى. والله تعالى لم يسبغ علينا أنعماً، ولكنه أسبغ نعماً ظاهرة وباطنة لا تُحصى.

٢ـ والإسباغ هو الإفاضة في ذكر النِعم. وتوجد نِعم مستديمة منها ما نعلم وما لا نعلم، والله تعالى أفاض علينا بالنعم الكثيرة، ولو شكرنا نشكر باللسان، وهو بحد ذاته نعمة.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ٢١ ﴾

السؤال الأول :

مااللمسات البيانية في الآية؟

الجواب :

١ـ أراد أنْ يبين ضلالهم وجهلهم بعد أنْ ذكر مجادلتهم في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. وهنا في الآية قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ ولو قال: (اتبعوا سبيلنا) لقالوا: سبيلنا أفضل؛ لذلك قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ فهذه محايدة، أي: هل ما عندهم أفضل مما أنزل الله؟ بالطبع لا.

٢ـ ثم قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ بني الفعل لما لم يسمَ فاعله﴿قِيلَ﴾ ولم يذكر فاعلاً معيناً؛ لأنه لا يتعلق الأمر بذكره، وحتى لا يُظن أنّ رفضهم بسبب هذا القائل؛ ولذلك قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ للمحايدة؛ حتى لا تأخذهم العزة بالإثم.

٣ـ ثم قال: ﴿بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ﴾ أي جعلوا آباءهم بإزاء الله تعالى ولو قالوا: لو نعلم أنّ هذا أنزله الله لاتبعناه، لكان يعذرهم السامع حتى يقيم عليهم الحجة، لكنْ قيل لهم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ فهم يرفضون الرسالة بحد ذاتها، وآثروا اتباع آباءهم على ما أنزل الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

٤ـ ثم قال: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ هذا سؤال تعجيب من حالهم، هذا كلام رب العالمين يتعجب من حال هؤلاء ﴿أَوَلَوْ كَانَ﴾ استفهام يُنكر عليهم ويثير العجب من حالهم. هم قالوا: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ بإزاء ما أنزل الله، ﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فهذا تعجيب من حالهم لأنّ معتنق كل فكرة يبتغي المآل السعيد والعاقبة الحسنة.

والله سبحانه ذكر أمرين: (الشيطان يدعوهم)، والشيطان لا شك أنه عدو للإنسان، ثم عاقبة من اتبعه، وهي (عذاب السعير)، فكيف يتبعونه؟!

٥ـ هذه إهابة لكل عاقل أنْ ينجو بجلده ويفر مما هو فيه إلى ما أنزل الله. الشيطان غرّهم كما غرّ أباهم آدم عليه السلام. والشياطين يدعون إلى عذاب السعير.

٦ـ التركيب ﴿أَوَلَوْ﴾ يعني أولو كان ذلك؟ وفي هذا إصرار عجيب، وما التفتوا ولا انتبهوا؛ لأنّ الشيطان عمّ عليهم.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين [وجدنا وألفينا] في القرآن﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان:٢١]

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة:١٧٠]

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المائدة:١٠٤]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٧٠.

❁❁❁❁

﴿ ۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٢٢ ﴾

السؤال الأول :

ما السلوك التركيبي للفعل (يُسلم) من حيث التعدّي واللزوم؟هنا جاء الفعل (يُسلم) متعدياً بحرف الجر (إلى) (يُسلم) وفي مواطن أخرى في القرآن متعدياً بحرف الجر (اللام) ﴿فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾ [الحج:٣٤] ﴿فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:٢٠]

فما الفرق بين التعدية باللام والتعدية بإلى؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٢٠.

السؤال الثاني :

في آية سورة البقرة١١٢ قال تعالى:﴿ بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ ﴾ ورد الفعل (أسلم) بالماضي وفي آية لقمان ٢٢ بالمضارع (يُسلم) فما الفرق بينهما؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١١٢.

السؤال الثالث :

في لقمان قال تعالى: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾أخّر لفظ الجلالة بعد (يُسلم)، مع أن الملاحظ أنه في آيات كثيرة يقدّم﴿فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْ﴾، كما في آية الحج ٣٤؟ فلِمَ؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحج ٣٤.

السؤال الرابع :

في آية البقرة ٢٥٦ يقول تعالى: ﴿بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾

ولم يقل في آية لقمان ٢٢: لا انفصام لها، فما السبب؟

الجواب :

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة:٢٦٥]

والطاغوت رأس كل طغيان من ظالم أو غيره، وهذا معنى الطاغوت، وهو من كان رأساً في الطغيان مثل فرعون والشيطان وجمعها (طواغيت). و أحياناً الكفر بالطاغوت يؤدي إلى أذى شديد وهلكة. إذن تحتاج إلى ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ أي لا يحصل فيها أي خدش أو انفصال.

فلمّا ذكر الكفر بالطاغوت الذي قد يؤدي إلى مظلمة كبيرة أو إلى عذاب أو إلى هلكة أكّد فقال: ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾. وكأنها تحفيز للاستعصام والاستمساك بالله سبحانه وتعالى.

أمّا في لقمان فهي اتباع ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ فلا تحتاج.

السؤال الخامس :

ما دلالة﴿فَقَدِ﴾ في قوله تعالى في آية لقمان: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾؟

الجواب :

١ـ (قد) إذا دخلت على الماضي تفيد التحقيق، وإذا دخلت على المضارع فلها أكثر من معنى، منها التقليل (قد يصدق الكذوب)، لكنْ قد تأتي للتكثير والتحقيق مع دخولها على المضارع. والمشهور عند الطلبة أنها إذا دخلت على المضارع تكون للتقليل فقط، لكنْ (قد) تكون للتقليل، وقد تكون للتحقيق نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أو للتكثير، نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي كثيراً ما تنظر إلى السماء.

٢ـ إذن (قد) إذا دخلت على الماضي تفيد التحقيق، وإذا دخلت على المضارع يكون من معانيها التقليل.

٣ـ لذلك (قد) تفيد التحقيق، والآية: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ تعني تحقق استمساكه.

السؤال السادس :

ما دلالة الفعل ﴿ٱسْتَمْسَكَ﴾ في الآية؟

الجواب :

قال: استمسك، ولم يقل: أمسك ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ﴾.

١ـ (استمسك)على وزن (استفعل) (قد) تفيد المبالغة في التمسك والاستمساك، وأحرف استفعل(الألف والسين والتاء) لها معان متعددة، فقد تكون للطلب مثل:استنصره، أي: طلب نصره ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾[الأنفال:٧٢].

ومثل ذلك :استنجد به؛ أي: طلب النجدة، استغفر: طلب المغفرة.

وقد تكون للمبالغة، مثل: استيأس ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ [يوسف:١١٠] فيها مبالغة في اليأس، ومثل استقر: فيها مبالغة في الاستقرار (قرّ واستقرّ).

٢ـ الاستمساك في القرآن لا يأتي إلا في أمور الدين، كما في الآيات: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الزُّخرُف:٤٣] ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الزُّخرُف:٢١].

وهذا من خصوصيات الاستعمال القرآني، و(استمسك) في اللغة تأتي بمعان عدة.

٣ـ ثم وصف العروة بأنها (الوثقى)، ولم يقل: العروة الوثيقة، وإنما هي أوثق العرى، وهي أعلى درجات التفضيل. والعروة هي ما يُمسك به والوثقى هي أقواها وأمتنها.

وتأتي (وثيقة ـ وثيق) كصفة مشبهة، وتأتي كصيغة مبالغة، وتأتي فعيل بمعنى مفعول.

وأمّا (وثقى) على وزن فُعلى فهي مؤنث الأوثق، ومثل ذلك: [الأعظم – العظمى]، [الأفضل – الفضلى]، [الأكبر – الكبرى] . إذن الفُعلى تأتيث الأفعل، والوثقى تأنيث الأوثق. والأوثق هو الدرجة العليا في التفضيل.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ قدّم الجار والمجرور للحصر؛ لأنّ الأمور عاقبتها ترجع إليه وحده سبحانه وتعالى، ولو قال: (عاقبة الأمور إلى الله، لم تدل على الحصر.

٥ـ إذاً: (استمسك) فيها مبالغة، و(الوثقى) فيها مبالغة والتقديم فيه حصر، فمن كل المؤشرات نستدل على أنه علينا أنْ نسلم وجوهنا إلى الله تعالى ونفوض أمورنا إلى الله ونسلم انقيادنا إليه مع الإحسان؛ لأن القاعدة تقول: تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة.

❁❁❁❁

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحۡزُنكَ كُفۡرُهُۥٓۚ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾﴾

السؤال الأول:

لماذا قال: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بالماضي وقبلها قال: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ﴾ بالمضارع؟

الجواب:

١ـ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [لقمان:٢٢]معنى ﴿يُسۡلِمۡ﴾ إمّا أنْ يتبع أوامر الله، والاتّباع يكون في مسائل كثيرة، أو يفوض أمره إلى الله، فالمصائب التي تقع على الإنسان وما يحذره وما يخافه كثيرة جداً فقال: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ﴾ بصيغة المضارع التي تفيد التجدد والتكرار.

و أمّا (من كفر) فليس بالضرورة أنْ يتجدد الكفر، فلو كفر في الاعتقاد مرة واحدة، فلا يحتاج إلى التكرار.

٢ـ ونظير ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [النمل:٤٠] فالشكر يتجدد وينبغي أنْ يتكرر؛ لأنّ النعم متكررة متجددة، فكل نعمة تستوجب الشكر، فقال: ومن يشكر.

السؤال الثاني :

ما دلالة الفاء في ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ﴾ ثم ما دلالة هذا التعبير بالذات؟ وما اللمسات البيانية فيها؟

الجواب :

١ـ في الآية التفات من صيغة الإفراد في قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ إلى صيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ ولم يقل: إليّ مرجعه؛ لأنّ (من) في اللغة تقوم مقام الأسماء الموصولة كلها، فإنْ أردت لفظها فأفردها وإنْ أردت معناها فاجمعها.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ﴾ لو تأملنا فيه فهو تعبير غريب وليس مِثلَ: فلا تحزن لكفره:

أـ الكفر فاعل، وكاف المخاطب مفعول به، والمخاطَب هو الرسول ﷺ.

ب ـ في اللغة المنهي هو الفاعل. وفي الآية الكفر هو المنهي وليس الرسول ﷺ.

ج ـ المعنى العام: لا تحزن لكفره، وهذا أصل المعنى، لكن كيف اختار التعبير؟ لماذا لم يقل فلا تحزن لكفره.

د ـ لم يقل تعالى: فلا تحزن، وإنما قال: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾ الكاف مفعول به. لو قال: لا تحزن، يكون الفاعل المخاطب (أنت)، لكنْ في الآية المنهي هو الكفر. و يعني أيها الكفر: لا تُحزِن رسول الله ﷺ، فينهى تعالى الكفر ألا يُحزن رسول الله ﷺ إشفاقاً على رسول الله ﷺ.

٣ـ هذه فيها تعبير مجازي، كأنّ الكفر ذات عاقلة تريد أنْ تحزن الرسول فينهاه تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾، وهوتعبير في غاية اللطافة والرقة.

قال تعالى في آيات أخرى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل:١٢٧] وهنا لا يوجد مفعول به منهي.

٤ـ الفاء في ﴿فَلَا يَحْزُنكَ﴾ الفاء يمكن حذفها، لكنّ ذكرها له معنى وحذفها له معنى. الفاء هنا عرّفتنا جواب الشرط، ولو حذف الفاء لا تكون (من) شرطية، وإنما تكون موصولة.

وإذا كانت موصولة فالمعنى ليس واحداً؛ لأنّ الشرط يفيد العموم قطعاً نحو :(من يستعن بالله يعنه)، فهو لا يقصد شخصاً معيناً، وأمّا الموصول فلا يدل على العموم؛ لأنّ الموصول معرفة، وقد تكون المعرفة للجنس أو للواحد، كما في الآيات﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدّثر: ١١ - ٢٠] فهو شخص معين واحد، وهو الوليد بن المغيرة. والموصول لا يقتضي أنْ يكون جنساً، بل يحتمل أنْ يكون واحداً معيناً أو جنساً.

السؤال الثالث :

قال تعالى في الآية: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ [لقمان:٢٣] بالجمع، وفي آية سابقة قال: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾[لقمان:١٥]بالمفرد وإضافة ﴿ثُمَّ﴾، فما الفرق؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿إِلَيْنَا﴾ فيه ضمير التعظيم، بينما ﴿إِلَيَّ﴾ ضمير الإفراد.

والآية السابقة ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان:١٥]هي في مقام الوحدانية والنهي عن الشرك، فجاء بضمير الوحدة ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ و﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي﴾ فكلها في مقام التوحيد والنهي عن الشرك، فقال: ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾.

أمّا الآية الثانية وهي آية لقمان ٢٣ فليست في مقام التوحيد، فجاء بضمير التعظيم، وأيضاً قدّم الجار والمجرور ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ للحصر أي: إلينا مرجعهم لا إلى غيري.

السؤال الرابع :

هنا في لقمان ٢٣ قال: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم﴾ وفي لقمان ١٥ قال: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾فما الفرق؟

الجواب :

١ـ في الآية السابقة في لقمان ١٥ قال: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم﴾ [لقمان:١٥]هنا (ثم) عاطفة تفيد التراخي. أي: تفيد أن هناك مهلة.

٢ـ وفي الآية٢٣ لم يأت بـ(ثم)، وقال: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم﴾ و معناها تقريب المرجع ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ أي: لم يكن هناك مهلة، وإنما جعل المرجع أقرب.

٣ـ لماذا جعل هناك مهلة، وهنا لم يجعل مهلة بدون (ثم)؟

القرآن جاء بـ(ثم) في الآية ١٥ لأكثر من سبب :

أ ـ قال تعالى في الآية ١٥: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ﴾ المجاهدة قد تسغرق وقتاً وقال: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ وفيها وقت، وقال: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ وفيها وقت، وهذا يناسب (ثم).

ب ـ أمّا في هذه الآية ٢٣ فليس فيها ما يدل على التراخي وما يقتضي التراخي. والسياق في هذه الآية كأنّ فيه تقريب الأمر ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ أي وقت قليل وينتهي.

وأنت عندما ترى صاحبك في ضيق وتريد أنْ تخفف عنه تقول له: الدنيا قصيرة فتقلل الأمر في عينه حتى يخف، فلمّا قال تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ﴾ يريد أنْ يصبره فبيّن أنّ الوقت قصير ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ فالله تعالى عندما ينهاه عن الحزن لا يطيل الوقت عليه.

السؤال الخامس :

قوله تعالى في لقمان ١٥: ﴿فَأُنَبِّئُكُم﴾ وفي لقمان ٢٣ ﴿فَنُنَبِّئُهُم﴾ وفي الأنعام ١٥٩ قل: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾ فاستعمل ﴿ثُمَّ﴾ و لم يستعمل الفاء، فلماذا؟

الجواب :

في مواطن قال: ﴿فَأُنَبِّئُكُم﴾ ﴿فَنُنَبِّئُهُم﴾ وفي مواطن قال: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾ والأمر الأساسي في فهم التعبير هو السياق ووضعه في مكانه.

١ـ في آية الأنعام ١٥٩ أصل السياق في الدنيا﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الأنعام:١٥٩]، فلم يذكر(إلينا مرجعهم)، فلمّا ذكر ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ صار بين الدنيا والتنبيه وقت طويل فقال: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾.

٢ـ في آيتي لقمان ذكرالمرجع ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ و﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾فلما رجعوا سيكون التنبيه أقرب، فاستعمل الفاء.

٣ـ في آية المائدة ١٤ قال: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المائدة:١٤]قال: إلى يوم القيامة االوقت ممتد، فقال: سوف، فالسياق هو الذي يحدد.

٤ـ لذلك إذا كان السياق مبنياً على التأخير يقول (ثم). كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنعام:٥٧] ليس هناك استعجال، فلا يقول: فأنبئكم.

بينما في نفس السياق في آية الأنعام ١٥٩ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

يقول هنا (ثم)؛ لأنّ المقام ليس في الاستعجال. فالسياق هو الذي يحدد ولا ينبغي أنْ نقطع كلمة من سياقها.

السؤال السادس :

قال تعالى في آية لقمان ٢٣: ﴿بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾وفي آية لقمان ١٥ قال: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، فما الفرق بين الآيتين؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هذا يسمى الماضي المستمر، كنتم تعملون أي كنتم مستمرين على العمل في الماضي، بينما ﴿عَمِلُوٓاْ﴾ هذا يسمى الماضي المنقطع.

٢ـ السياق يحدد المسألة، في آية لقمان ١٥ ذكر استمرار المجاهدة﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ واستمرار المصاحبة بالمعروف﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ واستمرار اتباع المنيبين إليه ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾، ثم قال: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ و ﴿ثُمَّ﴾ تفيد المهلة والتراخي، وهذه الأمور تحتاج إلى استمرار العمل.

٣ـ في آية لقمان ٢٣ ليس فيها استمرار عمل ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ وما ذكر أموراً فيها دلالة على استمرار العمل. وهنا ما قال: (ثم).

إذن سياق الآية ١٥ يدل على استمرار العمل، فقال: (بما كنتم تعملون) فجاء بالماضي المستمر، وأمّا في آية لقمان٢٣ فليس فيها استمرار عمل فقال: (بما عملوا)، فإذن هذه مناسبة لهذا الموضع، وتلك مناسبة للموضع الذي وردت فيه.

٤ـ الماضي فيه أكثر من ستة عشر زمناً، وهذا ينبغي أن يكون معروفاً.

فهناك الماضي المنقطع، أي الذي انقطع وانتهى. وقد يكون ماضياً واستمر عليه ولم ينقطع، نحو: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [طه:٨٠] فليس مرة واحدة، وأيضاً هناك الماضي المعتاد، مثل :كان رسول الله يفعل كذا؛ أي: معتاداً عليه.

السؤال السابع :

في آخر آية لقمان ٢٣ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ لم يقل: إننا، مع أنه قال قبلها: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ بضمير الجمع،فلماذا؟

الجواب :

بشكل عام إذا ورد ضمير التعظيم فلا بدّ أنْ يسبقه أو يأتي بعده ما يدل على الإفراد، وهذا سمت في القرآن الكريم لم يتخلف في أي موطن من المواطن في جميع القرآن. فلمّا كان ما سبق هو في ضمير التعظيم ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم﴾ أتى بعده ما يدل على الإفراد لئلا تبقى في الذهن شائبة شرك، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ وهذا ثابت في القرآن وواضح في جميع آياته، ولم يتخلف في موطن واحد، فحيث ذكر ضمير التعظيم لا بدّ أنْ يسبقه أو يأتي بعده ما يدل على الإفراد.

السؤال الثامن :

قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ مع أنّ الآية تتكلم عن الذي كفر، ومع هذا لم يقل: عليم به، فلماذا؟

الجواب :

١ـ لو قال: إن الله عليم به لقصر العلم الآن على من كفر ، لكن لمّا قال: (عليم بذات الصدور) صارت أشمل، ودخل فيها الذي كفر ومن لم يكفر.

٢ـ والله تعالى ليس فقط عليم بالذي كفر، بل هو عليم بذات الصدور عموماً، وهذا الأسلوب يفيد العموم، كما في الآية : ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف:١٧٠].

فما قال: (إنا لا نضيع أجرهم)، أي أنّ الذين يمسكون الكتاب، وأقاموا الصلاة هم من المصلحين، ثم هنالك مصلحون آخرون دخلوا فيهم فدخل فيهم هؤلاء وهؤلاء.

٣ـ هو قال: ﴿عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ وذات الصدور تعني خفايا الصدور، و لو قال: عليم به. ستكون للأشياء الظاهرة، لكن لمّا قال: (بذات الصدور) صار يعني ما في داخل الصدور. فإذن شمل علمه ﴿فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾ وهذا أمر ظاهر و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بذات الصدور هذا أمر خفي.

إذن لمّا قال: (بذات الصدور) شملت الظاهر والباطن، ولو قال: عليم به أفادت الظاهر فقط.

٤ـ ثم قال: ﴿عَلِيمٌ﴾ ولم يقل عالم، و(عليم) صيغة مبالغة.

وللعلم فإن كلمة (عالم) في القرآن لم ترد إلا في علم الغيب خصوصاً بصيغة المفرد﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ أومع الغيب والشهادة ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ وأمّا ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ و﴿عَلِيمٌ﴾ فهي مطلقة لكل شيء.

﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

كلمة ﴿قَلِيلًا﴾ ما دلالتها؟ وما إعرابها؟

الجواب :

١ـ﴿قَلِيلًا﴾ فيها احتمالان في الإعراب :

أ ـ محتمل أنْ نعربها مفعولاً مطلقاً، يعني: تمتيعاً قليلاً أي: يكون (قليل) وصفاً للمصدر.

ب ـ أو نعربها ظرف زمان؛ أي: زمناً قليلاً.

فإذن من حيث الإعراب تحتمل الحدث وهو (تمتيعاً قليلاً)، وتحتمل الزمن، وهو (زمناً قليلاً) والقرآن قد حذف الموصوف؛ لأنه لو ذكر الموصوف لتحدد بشيء واحد، فلو قال زمناً أو تمتيعاً لحدد، وعندما حذف شمل الاثنين، أي: اتسع المعنى واستفدنا أنه يمتعهم تمتيعاً قليلاً وزمناً قليلاً، ولو ذكر لخصّص الذي ذكره وأطلق الآخر.

٢ـ ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [التوبة:٨٢] فبدل أنْ يقول: فليضحكوا ضحكاً قليلاً زمناً قليلاً وليبكوا بكاء كثيراً زمناً كثيراً حذف فجمع المعنيين .

وأحياناً يكون الحذف أبلغ من الذكر، وحينما يحذف لا بدّ أنْ تدل ﴿قَلِيلًا﴾ على المعنيين: نمتعهم تمتيعاً قليلاً زمناً قليلاً، وعندما تُعرب باحتمالين، والحذف هنا جائز.

السؤال الثاني :

في آية البقرة ١٢٦ قال: ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:١٢٦]

بضمير المفرد، وفي لقمان ٢٤ بالجمع ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾فما الفرق بينهما؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٢٦.

السؤال الثالث :

في لقمان ٢٤ قال: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ ولم يقلها في آية البقرة ١٢٦، فلماذا؟

الجواب :

١ـ إبراهيم عليه السلام سأل ربه ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ والرزق فيه تمتيع إذن هذه المسألة ليست متعلقة بالتبليغ، وإنما هو طلب الرزق. فلمّا سأل ربه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ كان الجواب ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ وهذه ليست في التبليغ.

أمّا آية لقمان ففي التبليغ ﴿وَمَن كَفَرَ﴾والسياق مختلف تماماً، والآية في التبليغ، حيث قال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾ أمّا في آية البقرة فليست في التبليغ، فقال: ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾.

٢ـ في لقمان قال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ولم يقلها في البقرة أيضاً؛ لأنّ هؤلاء الكفار في آية لقمان موجودون، أمّا هؤلاء الذين قال فيهم الآية في سورة البقرة فلم يخلقوا بعد أي هذا باعتبار ما سيكون. فهم

ليسوا مخلوقين أصلاً، قال: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ فكيف يقول: فلا يحزنك كفره وهم غير موجودين، ويأتون بعده بقرون، بينما في آية لقمان فهو معاصر لهم ويبلغهم.

السؤال الرابع :

في لقمان قال: ﴿نُمَتِّعُهُمۡ قَلِيلًا ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ [لقمان:٢٤] وفي البقرة قال: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ [البقرة:١٢٦] فما السبب؟

الجواب :

١ـ أيهما الأشد: أنْ تقول: إلى عذاب غليظ، أو إلى عذاب النار وبئس المصير؟ بالطبع عذاب النار. فعندما يقول: عذاب غليظ هل معناه أنك ستحرقه؟ كلا؛ لأنك لم تصرح أنه بالنار، أمّا عذاب النار ففيه حرق. فأيهما الأشد؟ عذاب النار أشد.

٢ـ لم يذكر ناراً في لقمان، وفي البقرة ذكر ناراً وبئس المصير. إذن هذا العذاب أشد، ذكر النار وقال: إنه بئس المصير. وعذاب غليظ لا يشترط أنْ يكون بالنار، وقد يكون بعضه غليظاً.

٣ـ قال: عذاب النار في أهل مكة، وإبراهيم يطلب البلد الآمن والرزق، والسيئة في مكة قد تتضاعف أكثر بكثير من مكان آخر، وكذلك الحسنة تتضاعف في مكة، ومن أساء في مكة في بلد الله الحرام فليس كمن أساء في غيرها، فإذن عندما تكون السيئة تتضاعف فالعذاب قد يتضاعف ويشتد لذا قال: عذاب النار وبئس المصير؛ لأنه ذكر السيئة والكفر في مكة.

السؤال الخامس :

ما دلالة قوله تعالى في لقمان: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾؟ ماتفسير هذا الاضطرار؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ أي نلجئهم إلى ذلك العذاب الغليظ الشديد الثقيل. وفي تفسير هذا الاضطرار أقوال منها:

أ ـ ما في الحديث من أنهم لشدة ما يكابدون من النار يطلبون البرد فيرسل عليهم الزمهرير فيكون أشد عليهم من اللهب فيتمنون عود اللهب اضطراراً فهو اختيار عن اضطرار.

ب ـ يسلط عليهم عذاباً غليظاً فيضطرون إلى عذاب النار فراراً من الملائكة الغلاظ الشداد.

❋❋❋❋

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾

السؤال الأول :

في هذه الآية لم يقل الله تعالى: ليقولن خلقهن الله، مع أنه في سورة الزخرف قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزُّخرُف:٩]، فما الفرق؟

الجواب :

١ـ كل الآيات التي سألهم فيها نحو هذا السؤال: من خلق السموات والأرض، أو من خلقهم يقولون الله من دون ذكر (خلقهن الله أو خلقنا الله) إلا آية الزخرف فقط ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ والمعنى معلوم سواء ذكر الفعل (خلق) أو لم يذكر.

ولا شك أن ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾أوجز من حيث الكلام، فهي أوجز من قوله تعالى:﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾؛ لأنّ هذا فيه توسع.

٢ـ البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ففي مقام الإيجاز يوجز وفي مقام التوسع يتوسع.

٣ـ في الزخرف أراد أنْ يتوسع في الكلام عن الخلق ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الزُّخرُف:٩-١٢] فذكر ما يتعلق بالخلق، ولم يقل فقط:خلق السموات والأرض.

٤ـ في الآيات الأخرى التي لم يذكر خلقهن لم يذكر شيئاً في الخلق ولم يتوسع، وقد تكون آية وحيدة وليس بعدها شيء يدل على الخلق، كما في قوله تعالى :

- ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت:٦١] وبعدها مباشرة ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [العنكبوت:٦٢] وليس فيها خلق.

- ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ [لقمان:٢٥-٢٦].

- ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزُّمر:٣٨].

- ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [الزُّخرُف:٨٧-٨٨].

٥ـ آية الزخرف هي الآية الوحيدة من بين ما ورد، والتي توسع فيها بالسياق فذكر الخلق فناسب لهذا التوسع والتفصيل أنْ يقول: ﴿خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ فالبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

السؤال الثاني :

لماذا جاء الفعل ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ بالنصب في آية سورة هود ﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [هود:٧] بينما جاءت بالضم في آية أخرى في سورة لقمان ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية هود ٧.

السؤال الثالث :

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ ما دلالة الحمد لله في الآية الكريمة؟

الجواب :

الحمد في الآية لأكثر من سبب :

١ـ أنّ الحجة قامت عليهم، فهو يدعوهم ويبلغهم وهم يعلمون ، لكن لمّا قالوا: ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ صار إقراراً؛ لذا يجب أنْ يعبدوا الله الذي خلقهم وألا يشركوا به شيئاً. إذن الحجة لزمتهم وأبرأ نفسه فأقام الحجة عليهم. إذن الحمد؛ لأنّ الحجة قامت عليهم

٢ـ ثم الحمد لله الذي هدانا للحق أننا لم نكن مثلهم ممن يدعوهم الشيطان إلى عذاب السعير.

٣ـ إذن الحمد؛ لأنّ الحجة قامت عليهم، فألزمهم الحجة وأبرأ نفسه والحمد لله الذي هدانا إلى الحق ولم يجعلنا مثلهم فنكون من أصحاب السعير والحمد لله الذي خلق السموات والأرض فهو سبحانه يستحق الحمد ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ إذن الحمد لله مناسبة لعدة جهات.

السؤال الرابع :

قال تعالى في آية لقمان: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ وفي العنكبوت قال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت:٦٣] فما الفرق بينهما؟

الجواب :

انظر الجواب في آية العنكبوت ٦٣.

❁❁❁❁

﴿لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الآية؟

الجواب :

١ـ نلاحظ ابتداءً أنه قدّم الجار والمجرور، وهو الخبر على المبتدأ للحصر، وهذا من باب تقديم العامل على المعمول، وهو في الغالب يفيد الحصر أو القصر، ويعني لله ما في السموات والأرض حصراً، وليس لأحد غيره.

٢ـ نلاحظ هنا أنه ذكر أنّ له ما في السموات والأرض، وقبل هذه الآية قال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ فذكر هنالك خلق السموات، وهنا قال: لله ما في السموات، وهذا يدل على أنّ له السموات والأرض وما فيهما.

إذن هو الصانع لهما فدلّ على أنّ له السموات والأرض وما فيهما باعتباره خالقاً وصانعاً ومالكاً لما فيهما؛ لأنّ الشخص قد يملك الظرف، لكن لا يملك ما فيه، وقد يملك أحدهم بيتاً وآخر يملك الأثاث، فالأثاث للساكن والبيت لصاحب البيت. لذلك (لله)، اللام تفيد الملكية.

٣ـ هو خلق السموات والأرض، إذن هما ملكه، وذكر أنّ ما فيهما أيضاً ملكه، إذن صارت السموات والأرض وما فيهما ملكه؛ حتى لا يظن ظان أنه مجرد خالق للسموات والأرض، أمّا المالك فشخص آخر كمن عنده مخزن يؤجره لشخص يضع فيه بضاعة، فالبضاعة لشخص والمالك شخص آخر. لذلك دلت الآية على أنّ السموات الظرف والمظروف كله لله سبحانه وتعالى.

٤ـ وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ دلّ على أنه المتصرف فيهما، وليس فقط أنه المالك، فهناك خلق وهنالك مِلك وهنالك تصرف. والخلق لا يغني عن الملك والتصرف. إذن هو المالك للسموات والأرض وما فيهما والمتصرف فيهما.

السؤال الثاني :

قال تعالى هنا في لقمان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ وقال في آية سورة الحج: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ [الحج:٦٤] فما الفرق بين الآيتين؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحج ٦٤.

السؤال الثالث:

مرة يقول: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ومرة يقول: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾فما الفرق؟

الجواب :

١ـ هناك فرق بين مُلك ومِلك. (المُلك) هو الحُكم، وقد جاء في القرآن على لسان فرعون: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزُّخرُف:٥١]. وهويعني الحكم وليس مملوكة له. و(المِلك) من التملّك فصاحب المُلك مَلِك وصاحب المِلك مالك .

٢ـ عندما يقول: ﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني هو الحاكم، وعندما يقول: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني التملك؛ أي مملوكة له. فإذن في مجموعة هذه الآيات أنه هو المالك وهو الملك، وكل آية لا تدل على الأخرى، وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ هو من التملك، فهو ملكها ومالكها، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران:٢٦].

٣ـ المُلك هو مِلكه ﴿تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ وبيده التصرف فهي ملكه.

٤ـ وفي الفاتحة نقول: (ملك يوم الدين) و(مالك يوم الدين)؛ لأنه تعالى الملك والمالك.

وفي الفاتحة هنالك قراءتان متواتران (ملك يوم الدين) و(مالك يوم الدين)، وهي قراءات نزل بها جبريل، وأقرها رسول الله عليه السلام بأمر من ربه. وهناك عشر قراءات متواترة عن الرسول عليه السلام أقرها الرسول عليه السلام بأمر من ربه.

❋❋❋❋

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ لمّا ذكر قبل هذه الآية أنّ له ما في السموات والأرض لربما يظن ظان أن هذا هو جميع ملكه، لكنْ جاءت بعدها ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ وكلماته تعني: ما يريد أنْ يعمل ويخلق، إذن لا حدود لملكه وخزائنه.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾ جاء بـ (منْ) الاستغراقية، أي لو تتبعنا شجرة شجرة وجعلنا من أغصان كل واحدة أقلاماً ، والشجرة فيها عدد لا يحصى من الأقلام فلا نترك شجرة في الأرض إلا ونصنع منها أقلاماً، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر بمداد

ليكتب به كلمات الله، وهي الأشياء التي عنده تعالى في خزائنه، فإنّ الأقلام تفنى والبحر ينفد ويجف ولا تنفد كلمات الرحمن.

٣ـ اختارلفظة (كلمات)، مع أنها جمع قلة، واستخدم القرآن (كلِم) بالجمع، كما في الآية: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦].

والآية بينت أنّ كلماته لا تفي بها البحار، فكيف بالكلِم؟! ما قلّ من كلمات لا تفي بها هذه البحار والأقلام فكيف بالكلِم؟! وذلك حتى نعلم أنّ ما ذكر قبلها من الآيات شيء من كلماته سبحانه، وما في السموات والأرض مجرد شيء واحد معين.

٤ـ جاء بـ ﴿ٱلْبَحْرُ﴾ معرفاً لاستغراق الجنس، ثم قوله: ﴿يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ إشارة إلى بحار غير موجودة.

٥ـ قوله: ﴿سَبْعَةُ﴾ إشارة إلى الكثرة.

السؤال الثاني :

لماذا جعل الإمداد للماء ولم يجعله للشجر؟

الجواب :

أ ـ لأنّ القلم الواحد، أوما يسمى الريشة سابقاً، يكتب بالحبر لفترة طويلة لا حصر لها. والحبر هو مظنة الانتهاء لا الخشب، كما أنّ الشجر ينمو ويتجدد، أمّا ماء البحر فثابت لا يزيد.

ب ـ إشارة إلى أنّ البحر لو كان أكثر من الموجود لاستوى القلم والبحر في المعنى.

السؤال الثالث :

ما دلالة قوله تعالى ﴿كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ في الآية؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ جاء بجمع القلة إشارة إلى أنّ كل ما ذكره من الأقلام والمداد لا يفي كلمات الله، فكيف بكَلِمِه؟

وكلمات الله هي كلامه وأفعاله، كما قال تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

السؤال الرابع :

قوله تعالى في الآية ٢٧: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فأكد بـ (إنّ)، بينما قال في نفس السورة في الآية ٩ ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ بتعريف الاسمين الجليلين ولم يؤكد بـ (إنّ) فلِمَ ذاك؟

الجواب :

أ ـ الآيتان (٨ـ٩) من سورة لقمان إنما سياقهما في الآخرة وهناك لا يبقى عزيز إلا الله ولا حاكم إلا هو.

وكان الناس في الدنيا يرون أشخاصاً أعزة وحكاماً يتداولون الحكم والملك، أمّا في الآخرة فيرى الخلق جميعاً مؤمنهم وكافرهم أنْ لا عزيز إلا هو ولا ملك إلا هو. ولذلك لم يؤكد بإنّ فيقول مثلاً: إنه هو العزيز الحكيم لأنّ الكل في الآخرة يعرف ذلك ويراه عياناً ويسلم به، فلا حاجة إلى التوكيد، فقال بالتعريف ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فلم يؤكد؛ لأنه أمر ظاهر واضح للجميع في الآخرة.

ب ـ أما الآية ٢٧: فهي في الدنيا، وهناك من يجحد، فناسب التأكيد بإنّ وناسب كل تعبير موضعه. والله أعلم.

السؤال الخامس :

كلمة ﴿أَبۡحُرٍ﴾ في الآية جمع تكسير. ما الفرق بين جمع السالم وجمع التكسير؟

الجواب :

١ـ الجموع في العربية على نوعين: جمع سالم وجمع تكسير. وجمع التكسير له أوزان كثيرة تبلغ سبعة وعشرين وزناً.

٢ـ وقد يكون للاسم الواحد عدة جموع، نحو: كافر وكفار وكفرة وكافرين وساجد وسُجد وساجدين وسجود. وقد استعمل القرآن الجموع المختلفة.

٣ـ وأهم أسباب اختلاف أوزان الجموع :

أ ـ اختلاف لغات العرب.

ب ـ اختلاف المعنى، فالعرب على الأغلب تستعمل :

ـ الأسرى: للذين في اليد و(أسارى) للذين في وثاق.

ـ الكفار: في جمع الكافر المضاد للإيمان و (كفرة) في جمع كافر النعمة.

ـ العِدى: بكسر العين للأعداء الذين تقاتلهم و(العُدى) بالضم للأعداء الذين لا تقاتلهم.

ـ الكعوب: للرمح و (الكِعاب) للإنسان وغيره.

ـ المصير: يعني نهاية الأمر ﴿وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ بخلاف الصيرورة.

ـ المآب: يعني نهاية الأوب و(الإياب) فإنه الرجوع.

ـ المنقلب: يعني خاتمة الأمر وعاقبته و (الانقلاب) :التغير المعاكس.

ـ الركبان: لركاب الإبل فقط و(الركّاب) لركاب الخيل والسفينة وغيرها.

ج ـ القلة والكثرة: فالقلة ما كان من الثلاثة إلى العشرة فإنْ زاد على العشرة فهو جمع كثرة، وأوزان القلة [أفعل كـ(أشهر) وأفعال وأفعِلة وفِعْلة]، كما في آيات القرآن:

﴿سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ للقلة و ﴿ٱلْبِحَارُ﴾ للكثرة انظر آية لقمان ٢٧ و الانفطار ٣.

ـ ﴿فِتْيَةٌ﴾ الكهف ١٣ و ﴿فَتَيَانِ﴾ يوسف ٦٢.

ـ ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ للقلة على وزن أفعل؛ لأنّ أشهر الحج ثلاثة.

ـ ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ البقرة ٢٢٦.

ـ ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ التوبة ٢.

ـ ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ التوبة ٥.

ـ ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ﴾ التوبة ٣٦؛ لأنها زادت على العشرة.

ـ ﴿إِخْوَةٌ﴾ جمع قلة، وأكثر ما تستعمل في النسب.

ـ (إخوان) جمع كثرة، وأكثر ما تستعمل للأصدقاء.

ـ ﴿سُنۢبُلَٰتٍ﴾ للقلة و﴿سَنَابِلَ﴾ للكثرة.

ـ خطيئات للقلة، وخطايا للكثرة.

ملاحظات :

١ـ بشكل عام الجمع السالم يفيد القلة، وجمع التكسير يفيد الكثرة.

٢ـ قد يستغنى بجمع عن جمع فيستعمل جمع القلة للكثرة وبالعكس، نحو:

أ ـ كلمة: رجال و: أقلام، هذه من أوزان الكثرة، لكنْ قد تستعمل للقلة والكثرة.

ب ـ قروء: استغنوا بها عن ثلاثة أقراء.

❁❁❁❁

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في الآية ٢٨؟ ما ارتباط هذه الآية بما قبلها وما بعدها؟

الجواب :

١ـ هذه الآية من الناحية البيانية ارتبطت بما قبلها﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [لقمان:٢٧] ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [لقمان:٢٨]

خلقُ الناس من كلمات الله وبعثهم من كلمات الله، خلقكُم كنفس واحدة من كلمات الله، وبعثُهم كنفس واحدة من كلمات الله.

وختم الآية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ وقبلها قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ لاحظ كيف ارتبطت هذه الآية بخاتمة الآية السابقة.

٢ـ من الناحية البيانية الخالق عزيز حكيم، والخالق له العزة والمخلوقات كلها من صنعه، وهي له طائعة، إذن هذا مرتبط باسمه ﴿عَزِيزٌ﴾.

والخالق حكيم، حكيم في خلقه وصنعه وخلقهم لحكمة أرادها ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]إذن هو حكيم في الصنع وحكيم في الغرض، إذن ﴿مَّا خَلْقُكُمْ﴾ارتبط بقوله (العزيز) من حيث الحكمة والعزة. والذي يبعث الخلق ﴿وَلَا بَعْثُكُمْ﴾عزيز حكيم، عزيز؛ لأنه يجازي ويعذِّب ولا رادّ لأمره، وحكيم بمعنى (الحكم) فهو الحاكم، ﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ﴾ [الزُّمَر:٤٦]وهو أيضاً الحكمة ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون:١١٥]إذن هو حكيم بمعنى الحكم وبمعنى الحكمة.

٣ـ إذن ارتبطت الآية السابقة بهذه بالآية ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ﴾لأنّ الخالق والباعث عزيز حكيم من الحكم ومن الحكمة. وارتبطت هذه الآية بما بعدها ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [لقمان:٢٩] هذا الأجل المسمى هو البعث الذي ذكره ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان:٢٨] والناس يجرون كجري الشمس والقمر إلى منتهاه.

٤ـ وارتبطت بجو السورة التي شاع فيها ذكر الخلق والبعث، حيث قال: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [لقمان:١٠] ﴿هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [لقمان:١١]. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥]. والبعث شائع من

أولها إلى آخرها، فقال في أولها: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [لقمان:٤] وقال في آخرها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣﴾ [لقمان:٣٣] فالخالق لا بدّ أنْ يكون سميعاً بصيراً؟ والذي يبعث لا بدّ أن يكون سميعاً بصيراً، وإلا كيف يحاسبهم على أقوالهم وعلى أفعالهم ويسمع أقوالهم؟ فإذن هذه الآية مرتبطة بالآية التي قبلها والآية التي بعدها وبالجو العام للسورة وبخاتمة السورة.

السؤال الثاني :

حينما نتأمل في هذه الآية، المتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى أنها تعبّر عن القدرة الإلهية في الخلق والبعث، والقريب للعقل أنْ تختتم الآية بـ: إنّ الله على كل شيء قدير، ولكنّ الآية ختمت بـ ﴿سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾، فكيف نفهم الخاتمة في سياقات الآية؟

الجواب :

١ـ الآية قد تحتمل أكثر من خاتمة، فيمكن أنْ تجعل (إنّ الله على كل شيء قدير)، وهذه يمكن أنْ تصلح لخاتمة أكثر من آية في السورة ، لكنّ اختيار الخاتمة ينبغي أنْ يكون مناسباً للسياق الذي وردت فيه الآية والغرض الذي ذكرت من أجله.

٢ـ هذه الآية ليست مقتطعة، وإنما هي موضوعة في سياقها، فلماذا ذُكِرت الآية؟ ننظر هل هي واردة في سياق بيان القدرة الإلهية؟ أو بيان الحكمة؟ أو بيان التفضل والنعمة؟ ليتبين بعد ذلك اختيار الخاتمة المناسبة للسياق.

* شواهد قرآنية :

أ ـ قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران:١٩٣] فختم الآية بـ ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران:١٤٧] هنا ختم الآية بـ ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

في آية آل عمران (١٤٧) قبلها مباشرة قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران:١٤٦] هل يمكن في القتال أن تقول: توفّنا؟ تقول في القتال انصرنا؛ لذا لا يجوز أنْ نقتطعها ونضع لها خاتمة. ولا يمكن أنْ تضع خاتمة تلك الآية في هذه الآية؛ لأنّ كلاً منها في سياق مختلف.

ب ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ وردت مرتين كل مرة بخاتمة، الآية الواردة في سورة النحل ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل:١٨]وسياقها في في بيان صفات الله، فختمها بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

أمّا الثانية فوردت في سورة إبراهيم، وسياقها في بيان صفات الإنسان وجحوده، فلمّا كانت في بيان صفات الإنسان وجحوده ختمها ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤]

فالنعم لا تحصى، لكنّ الإنسان ظلوم كفار، ومع أنّ نِعَم الله على الإنسان متتالية عليه ومتتابعة، لكنه ظلوم كفار.

٣ـ الآن في الآية ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

اتفقت خاتمة الآية بسياقها؟ ابتدأت بالخلق والبعث وختمت بالسمع والبصر، والخالق لا بدّ أنْ يكون سميعاً بصيراً؟

لا بدّ أنْ يكون الخالق سميعاً بصيراً، والذي يبعث الخلق من مدافنهم لا بدّ أنْ يكون سميعاً بصيراً، والخالق الذي يخلق عباده ليعبدوه وليبلوهم أيهم أحسن عملاً لا بدّ أنْ يكون سميعاً لأقوالهم بصيراً بأعمالهم، والذي يبعثهم ليحاسبهم على أعمالهم لا بدّ أن يكون سميعاً لما قالوه في الدنيا وما يحتجون به في الآخرة، وبصيراً بأعمالهم في الدنيا وبما كانوا يعملون وبما أعدّ لهم فلا بدّ أنْ يكون بصيراً بهذا الشيء، وأنه لا يبقى منهم أحد لا يحاسب.

وأعمال الإنسان منها ما يُسمَع، ومنها ما يُبصَر، ومنها ما يُضمَر، ولمّا قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ استوفى ما يُسمع وما يُبصر وما يُضمر، فالسميع يسمع والبصير يحتمل رؤية العين ويحتمل أنْ يكون من البصيرة ﴿ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [القيامة:١٤].

إذن هذه الآية شملت ما يُسمع وما يُبصر وما يُضمر ، وهذا يتلاءم مع الخلق والبعث، ولا بدّ للخالق أنْ يكون كذلك والباعث لا بدّ أنْ يكون كذلك (سميعاً بصيراً).

ونفهم القدرة الإلهية من الخلق والبعث والسمع والبصر، ولو قال: إنّ الله على كل شيء قدير، فهذا مفهوم أصلاً.

السؤال الثالث :

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ ولم يقل: إنّ الله هو السميع البصير، فما دلالة عدم تعريف (سميع بصير)؟

الجواب :

عندما يقول الله سبحانه وتعالى: (هو السميع البصير) يعني أنه المتفرد بالسمع والبصر، لكنه أثبت لنا في السورة أنه سميع بصير، وبيان ذلك:

١ـ الله سبحانه أثبت البصر لعباده، كما في الآيات التالية :

﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [لقمان:٢٠].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [لقمان:٢٩].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ [لقمان:٣١].

٢ـ وكذلك أثبت السمع للإنسان كما في الآيات:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [لقمان:٧].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان:٢٠]والذي يجادل يسمع الكلام.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [لقمان:٢١].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥].

فهم أجابوا عن السؤال، إذن أثبت لهم في السورة السمع وأثبت لهم الرؤية فكيف يكون متفرداً في السمع والبصر؟ السياق لا يتحمل هذا.

وللعلم فإنّ أحد معاني البصير من البصر، وهي الأشهر، فطالما أثبتها للعباد فلا يتناسب أنْ يقول: إن الله هو السميع البصير، لأنّ السورة مليئة بالسمع والبصر.

السؤال الرابع :

ما دلالة تقديم السمع على البصر؟

الجواب :

١ـ الأكثر في القرآن تقديم السمع على البصر، كما في الآيات :﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾﴾ [غافر:٥٦]﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:٢]﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ [الفرقان:٧٣].

٢ـ القدامى يقولون: إنّ السمع أفضل، واستدلوا على أنه تعالى لم يبعث نبياً أصمّ (يعقوب عليه السلام عميَ، لكنه لم يفقد السمع)، والظاهر أنّ السمع بالنسبة لتلقي الرسالة أفضل من البصر؛ لأنّ فاقد البصر يسمع الرسالة، والقرآن يسمعه الأعمى ويفهم مقاصده، أمّا الأصم فلا يفهم. إذن بالنسبة إلى تلقي الرسالة السمع أفضل وفاقد البصر يسمع.

٣ـ وقد يكون هناك سبب آخر، وهو أنّ مدى السمع أقل من مدى الرؤية وأنت ترى أشياء من بعيد، لكنْ لا تسمعها، فإذا اقتضى هذا الشيء قدّم السمع، كما في الآية ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه:٤٦] ويشير إلى معنى أنه قريب منكم؛ لأنّ مدى السمع أقرب، فمعناها أنه قريب.

٤ـ وقد يقدّم البصر، لكنْ في المواطن التي تقتضي ذلك، على سبيل المثال ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة:١٢] قدّم البصر لأكثر من سبب:

قال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ والرؤية تحتاج إلى بصر، وهم قالوا: ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ كانوا في الدنيا يسمعون عن جهنم والآخرة ولكن لا يبصرونها، والآن أبصروها وسمعوا؛ لذلك قدّم البصر لأولويته في هذا المقام، فالإبصار هنا أهم من السمع؛ لأنّ السمع يدخل في باب الظن والشك، أمّا الإبصار فهو يقين، فجاءت الآية: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ وهذا يقين.

٥ـ إذن في التقديم والتأخير هو يقدم السمع على البصر على العموم لكن إذا اقتضى الأمر تقديم البصر على السمع يقدِّم، وفي الخِلقة يخلق الله تعالى السمع قبل البصر.

❁❁❁❁

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ الله سبحانه ذكر في السورة قبل هذا الموضع خلق السموات، وذكر ما يتعلق بالأرض على العموم من إلقاء الرواسي وغيرها ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى

﴿ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ [لقمان:١٠]، ثم ذكر تسخير ما فيها على العموم أيضاً ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [لقمان:٢٠]ثم ذكر تسخير بعض ما فيهما بقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ﴾ فهذا بعض ما في السموات، وليس الكل.

٢ـ إذن ذكر العموم في الخلق والتسخير، ثم انتقل إلى الخصوص فذكر بعض ما فيهما، وهو تسخير الليل والنهار والشمس والقمروهو من بعض ما في السماء، ثم قال بعد ذلك: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ وهذا بعض ما في الأرض. إذن ذكر العموم ثم انتقل إلى الخاص، وهذا هو المنهج الذي سار عليه في كيفية ترتيب الآيات.

السؤال الثاني :

ما وجه ارتباط هذه الآية ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٩﴾﴾ [لقمان:٢٩]بما قبلها وبأول السورة؟

الجواب :

١ـ هي ليست مرتبطة فقط بأول السورة، وإنما مرتبطة أيضاً بما قبلها فقد قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ [لقمان:٢٦]إلى أنْ قال قبلها مباشرة: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان:٢٨]ثم تأتي هذه الآية ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٩﴾﴾ [لقمان:٢٩].

٢ـ الليل والنهار والشمس والقمر أليس مما في الأرض؟ بلى. والأجل المسمى ﴿كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وقبلها ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ متى سيكون البعث؟ وكذلك في الأجل المسمى الذي ذكره، فهي مرتبطة بما قبلها ارتباطاً واضحاً.

ويأتي ارتباطها أيضاً بأول السورة: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾.

وقال في هذه الآية التي نحن بصددها: ﴿كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهذا هو اليوم الذي يجازى فيه المحسنون ويحاسب فيه الكافرون، وقال: ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [لقمان:٤] أليس هذا في الآخرة؟ بلى.

٣ـ ربنا ختم الآية بقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:٢٩].

والله ذكر الأعمال في أول السورة، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [لقمان:٤] فالله خبير بما تعملون وهذه أعمال، فكأنما هذه الآية جاءت بعد أول السورة، فإذن المناسبة ظاهرة بما قبلها وبأول السورة.

السؤال الثالث :

هنا في الآية٢٩ قال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بالمفرد وقبلها في الآية ٢٠ قال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ بالجمع، فلماذا؟

الجواب :

السياق هو الذي يوضح لنا الإجابة.

١ـ السياق في الآية الأولى ٢٠ بالجمع ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾

فالخطاب هو في الجمع، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾.

٢ـ الآية ٢٩ السياق في خطاب المفرد ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، فالسياق هناك في الجمع وهنا في سياق الإفراد، وهذا تحوّل في الخطاب من الجمع إلى المفرد.

٣ـ لمّا ذكر ما في السموات وما في الأرض على العموم خاطب على العموم، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ بالجمع، ولمّا ذكر بعض ما فيهما خصّص، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ﴾. إذن لمّا عمم جمع، ولمّا خصص أفرد.

السؤال الرابع :

ما دلالة تقديم الليل على النهار في الآية ٢٩في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾

الجواب :

١ـ الليل أصلاً أسبق من النهار في الوجود؛ لأنه كان قبل خلق الشمس. حتى المفسرون القدامى قالوا: الليل هو الأصل، بدليل قوله تعالى في سورة يس: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يس:٣٧]أي النهار هو كالغلاف، نسلخ يعني: ننزع النهار فيصير ليلاً، فإذا هم مظلمون.

وإذا خرج أحد من الغلاف الأرضي فإنه لا يرى شيئاً، وسيكون في ظلام دامس، وهذا من الإعجاز العلمي، فالليل هو الأصل؛ ولذلك قدّم الليل.

٢ـ في القرآن الكريم حيثما ورد الليل والنهار قدّم الليل على النهار وكذلك تقديم الشمس على القمر، وتقديم الليل؛ لأسبقيته في الوجود. وكذلك وجود القمر، وقالوا: القمر هو من الأرض أصلاً، والأرض هي من الشمس، كما في الآية: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء:٣٠] رتقاً بمعنى ملتصقتين، والفتق: الإبعاد بينهما.

٣ـ إذن هذا التقديم مقصود بحد ذاته داخل القرآن. وعندما يقول القرآن: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ الليل يدخله في النهار والنهار يدخله في الليل، وهذا حاصل في كل لحظة، وفي كل وقت الليل يأخذ من النهار، والنهار يأخذ من الليل.

٤ـ عندما يولج النهار في الليل يصبح الليل أطول، وبالعكس عندما يولج الليل في النهار يصير النهار أطول في الصيف؛ لأنه يأخذ جزءاً من الليل وهذا من جملة ما ذكِر.

ليس هذا فقط، وإنما هو في كل لحظة يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل؛ لأنّ الأرض كروية. فهو في كل لحظة يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل. والله أعلم.

السؤال الخامس :

ما الفرق بين يولج الليل ويكور الليل؟

الجواب :

الله تعالى يولج ويكور، والتكوير استدل به ابن حزم على كروية الأرض وليس فيهما إشكال، وإنما هذا زيادة في الإعجاز.

السؤال السادس :

قال تعالى في آية لقمان ٢٩: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

(يولج) جاءت بالفعل المضارع ، ومع الشمس والقمر جاء الفعل (سخر) بالماضي، فما دلالة تغير الزمن؟

الجواب :

جاء الفعل المضارع (يولج)؛ لأنه يتجدد، فالإيلاج يتجدد في كل لحظة وأمّا التسخير فربنا منذ خلقها سخّرها ابتداءً، بينما (يولج) يتم في كل لحظة وفي كل يوم، فالمضارع يفيد التجدد والاستمرار.

أمّا الفعل (سخّر) فهو سخرها منذ خلقها، وهذا أنسب تعبير، ولو قال: يسخر الشمس والقمر، لفهم أنه كل يوم يسخِّرها.

السؤال السابع:

قال تعالى في آية لقمان ٢٩: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ ولم يقل: سخر لكم كما جاء في آية قبلها رقم ٢٠ ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فلماذا؟

الجواب:

١ـ الآية ٢٠ هي في مقام تعداد النعم ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ وأمّا هذه الآية ٢٩ ففي سياق إظهار الآيات ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ [لقمان:٣١].

فلمّا كان السياق في تعداد النعم على الإنسان قال: ﴿سَخَّرَ لَكُم﴾ ولمّا كان الكلام لمطلق القدرة وليست لها علاقة بالنعم قال: ﴿سَخَّرَ﴾.

٢ـ عندما يقول - كما في آية لقمان ٢٩ -: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [لقمان:٢٩] فهذه عامة وذكر أنّ لهما أجلاً مسمى، وهذا لا يناسب النعم؛ لأنّ من تمام النعم دوامها.

بينما في آية لقمان ٢٠ لم يذكر أنّ لهما أجلاً مسمى؛ ولذلك حيثما قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم﴾ لم يقل: (إلى أجل مسمى) في جميع القرآن مما يُفهم دوام النعمة؛ لأنه لا يناسب الانقطاع مع دوام النعمة.

ولذلك لم يرد في القرآن (سخر لكم) مع (أجل مسمى) مطلقاً؛ لأنّ فيها إشعاراً بالانقطاع.

السؤال الثامن:

قوله تعالى في آية لقمان ٢٩: ﴿كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾عدّى الفعل بـ (إلى) مع أنّه في مواطن أخرى عداه باللام ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ﴾ [فاطر:١٣] فما السبب؟

الجواب :

١ـ (إلى) تفيد الانتهاء، و(اللام) قد تفيد الانتهاء، وقد تكون للتعليل، فقد تكون لغرض الوصول وبيان العلّة. مثال: (أدرسُ لأنجحَ) هذه اللام لبيان العلة والسبب.

٢ـ الأصل أنّ دلالة (إلى) الانتهاء، واللام قد تأتي للانتهاء، وقد تأتي للملك والاختصاص و للتعليل.

٣ـ قال القدامى: حيث ورد فيها التنبيه على الانتهاء والحشر يوم القيامة جاء بـ (إلى)، وحيث كان الكلام على بداية الخلق يأتي بـ (اللام).

قال تعالى: ﴿كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾هذه الآية في لقمان، وقال قبلها: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾وبعدها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ والكلام عن الحشر.

بينما في فاطر﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ

﴿١٣﴾ [فاطر:١٣] الكلام في بدايات الخلق فقال: ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، أمّا في آية لقمان فيتكلم عن الآخرة، فقال: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

٤ـ لذلك عندما يذكر نهاية الخلق يكون الأجل سينتهي إلى أجل مسمى وهو ذكر انتهاء الغاية وذكر الحشر، فعندما يذكر انتهاء الغاية من حياة الناس يذكر ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وعندما يذكر بداية الخلق وليس انتهاء الخلق مع البداية يذكر (اللام).

السؤال التاسع :

ختمت الآية ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فما دلالة تقديم العمل على الخبرة الإلهية؟

الجواب :

١ـ هنالك قاعدة استنبطت مما ورد في القرآن الكريم: إذا كان السياق في عمل الإنسان قدّم عمله ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ وإذا كان السياق في غير العمل، أو كان في الأمور القلبية، أو كان الكلام عن الله سبحانه وتعالى قدّم صفة الله ﴿خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

* شواهد قرآنية: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ :

ـ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ [البقرة:٢٧١] لمّا ذكر عمل الإنسان قدّم عمله.

ـ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد:١٠] لمّا ذكر عمل الإنسان قدّم عمله.

- ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤)﴾ [البقرة:٢٣٤]. **هذا عمل فقدّم.**

- ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧) فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨)﴾ [التغابن:٨] **هذا عمل فقدّم أيضاً.**

* شواهد قرآنية: ﴿اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾:

- ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨)﴾ [النمل:٨٨] **هذا ليس عمل الإنسان، فقدّم الخبرة على العمل.**

وكذلك الأمر عندما يكون الأمر قلبياً غير ظاهر،كما في الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾ [الحشر:١٨].

فهذا على العموم: إذا كان الأمر في عمل الإنسان قدّم العمل، وإذا كان في غير عمل الإنسان أو في الأمور القلبية أو عن الكلام عن الله سبحانه وتعالى يقدم (خبير).

٢ـ الناس يتفاوتون في البلاغة، فالعرب كلهم كانوا يتكلمون كلاماً فصيحاً من حيث صحة الكلام؛ ولذلك يؤخذ من كلام المجانين عندهم؛ لأنّ المجانين يتكلمون بلغة قومهم، ويستشهدون بأشعار المجانين؛ لأنّ كلامهم يجري على نسق اللغة، أمّا البلاغة فمتفاوتة، ويقول الرسول ﷺ: «**أنا أفصح من نطق بالضاد**».

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية بشكل عام؟

الجواب :

١ـ سبق قبل هذه الآية أنْ ذكر الله تعالى أمور إيلاج الليل في النهار وصفات ربنا تعالى وما ذكر من تسخير الشمس والقمر وما إلى ذلك، وهذا كله يبين أنّ الله هو الحق الموجد الأول الذي أوجد هذا الكون.

﴿ذَٰلِكَ﴾ تعود على ما ذكر سابقاً، وكيف حصلت؟ لأنّ الله الموجد الأول وهو الذي فعل ذلك وهو الحق، وما يدعون من دونه الباطل؛ لأنه لا يمكن أنْ يُصنع مثل ذلك.

وكذلك ما أمر به ونهى عنه هو الحق؛ لأنّ ربنا لمّا كان هو الحق المبين فما فعله هو الحق وليس الباطل، وما أمر به هو الحق، وكل أوامره ونواهيه لازمة بسبب أنه الحق، فهو الحق. وهذا تعليل لكل أفعاله وصفاته وتعليل للزوم طاعته سبحانه؛ لأنه الحق.

٢ـ والإنسان ينبغي أنْ يطيع ما هو حق، والله هو الحق وأوامره هي الحق وينبغي أنْ يُطاع، والله هو الحق وصفاته هي الحق وينبغي أنْ يُعبد.

٣ـ اختيار كلمة (الحق) تحديداً؛ لأنّ كل هذا التسخير معناه أنّ الله هو الحقيقة الوحيدة الموجودة في الكون المستحقة للعبادة، وليس ما يدعون من دونه.والله هو الحق

وحده، وليس هناك حق بمنزلة هذا الحق. فالجنة حق والنار حق، وكون ربنا خلقها وأوجدها وهو الحق، فهي حق.

السؤال الثاني :

كيف نفهم تعريف الحق والباطل في الآية؟

الجواب :

١ـ فرقٌ بين أنْ تقول :(هو حق) فيكون من جملة ما هو حق. أنت تقول مثلاً: هذا تلفاز، فهو حق، وهذا قدح وهو حق، هو حق لكن ليس هو الحق.

٢ـ الحق الأول هوالموجب لجميع الأشياء والذي أفاض على كل الأشياء الموجودة بالوجود، وهي حق|؛ لأنّ الحق الأول أوجدها، والأرض حق والسموات حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، وهذه مخلوقات لله تعالى وهي حق؛ لأنّ الحق الأول هو الذي أوجدها، ولو لم يكن الحق الأول موجوداً لما وُجِد شيء؛ ولهذا تفرّد سبحانه وتعالى بالحق الحق المطلق، وأنّ ما يدعون من دونه من آلهة هو الباطل.

٣ـ الشرك هو أنْ تجعل لله نداً. و كفار قريش مشركون، لكنهم قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ جعلوا الله تعالى نداً ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ فهم لا يعبدون الله أصلاً بل يعبدون من دونه، وجعلوه بإزاء الله سبحانه .

وهذا هو الباطل بعينه، ولو قال: باطلاً، لكان من جملة ما هو باطل فأراد تعالى أنْ يفخم فعلتهم هذه، فقال: (الباطل) .

السؤال الثالث :

في هذه الآية قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾ وفي آية الحج قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الحج:٦٢]

بضمير الفصل (هو)، فلماذا هذا الفرق؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الحج ٦٢.

السؤال الرابع :

ختمت الآية ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾ ماذا عن هذه الفاصلة؟

الجواب :

١ـ جاء بضمير الفصل (هو)، وعرّف (العلي الكبير)، والعلي هو القاهر الذي ليس فوقه شيء ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام:١٨] والكبير السلطان العظيم الشأن.

٢ـ إذن بعد أنْ وصف ربنا تعالى نفسه بأنه هو الحق، ووصف ما يدعون من دونه بالباطل، ذكر أنّ هذا هوالحق، فهو عالٍ على وجه الثبوت والدوام ، والحق هو العالي دائماً، والباطل هو سافل مهين.

٣ـ والحق هو العالي، وهو الذي يزهق الباطل، وهو العالي على وجه الدوام والثبوت، وهو الظاهر وهو القاهر.

بينما الباطل هو سافل مهين يزهقه الحق ، فالحق كبير والباطل صغير صغراً وصغاراً، صغير في الحجم، وصغار في الحقيقة ﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام:١٢٤] والصَغار بمعنى الذلة، مهما انتفش ومهما انتفخ فهو صغير وذليل.

❁❁❁❁

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١) ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ ربنا تعالى أول مرة ذكر خلق السموات على العموم وما فيها، وذكر تسخير السموات والأرض على العموم، ثم ذكر بعض ما فيهما، فذكر في الآية السابقة تسخير الشمس والقمر ﴿ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ [لقمان:٢٩] هذه من آيات السماء، وهنا في الآية ذكر تسخير بعض ما في الأرض؛ لأنه قبلهما قال: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [لقمان:٢٠] إجمالاً، ثم ذكر بعض ما في السماء.

والآن يذكر قسماً مما في الأرض مما سخره ربنا، قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان:٣١] فذكر هناك جريان الشمس والقمر، وذكر هنا جريان الفلك، هناك ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ وهنا ﴿كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ وهنا ذكر بعض آيات الأرض وهي الفلك التي سخرها لنا ربنا سبحانه وتعالى.

٢ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ ما المقصود بنعمة الله؟

هنا فيها احتمالان:

أ ـ يعني: تجري بسبب نعمة الله، وهو الذي سخرها، فتسخيرها من نعم الله، أي أنّ جريانها نعمة من الله، والباء هنا سبب، وتعني: تجري بسبب نعمة الله.

ب ـ والاحتمال الثاني تجري بنعمة الله بما تحمله من البضائع مما أنعم الله به على الإنسان، والبضائع من نعم الله ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ [هود:٤٢] تجري بهم؛ أي تحملهم.

فإذن (تجري بنعمة الله) فيها احتمالان: بسبب الله، فجريانها نعمة من نعم الله، ولو لم يسخرها لم تجر، فهو قد سخّرها وسخّر البحر ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ [إبراهيم:٣٢]﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الجاثية:١٢] وهذا هو الاحتمال الأول، وأمّا الاحتمال الثاني: أي تجري بما تحمله من النعم من البضائع، وهي كلها من نعمة الله. والأمران مقصودان في الآية، وهذا من باب التوسع في المعنى، والمعنيان مرادان.

السؤال الثاني :

ما دلالة اقتران (صبار) مع (شكور) في الآية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية إبراهيم ٥.

السؤال الثالث :

من المخاطب في الآية ﴿أَلَمْ تَرَ﴾؟

الجواب :

كل من يصح خطابه من المكلّفين. فبدأ الخطاب بالمفرد ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، ثم جاء بالجمع ﴿لِيُرِيَكُم﴾وهذه عامة، ولم يخص النبي عليه السلام بالخطاب.

❁❁❁❁

﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ هذه آية عظيمة من آيات الله في الإنسان. الله تعالى فطر الإنسان على التوحيد، وعلى الإيمان به وتوحيده، لكنّ فطرة الإنسان قد تغطيها أتربة الحياة.

والمنطق العقلي ينكر أحياناً وجود الله أو يشرك به، لكن إذا وقع في مهلكة وأصابه مرض، وانقطعت به كل أسباب الرجاء، وأيقن بالهلاك وخاب أمله في كل من كان يرجو منه العون وعجز الجميع عن تنجيته انزاح عن الفطرة ما كان يغطيها من الأتربة، واتجه إلى الله تعالى وظهرت الفطرة التي فطره الله تعالى عليها مستغيثة بالواحد الأحد

فقط ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء:٦٧].

٢ـ هذه آية عظيمة من آيات الله، وقد رأينا وسمعنا في حياتنا أناساً من أشد الناس إلحاداً، فلما انقطعت بهم الأسباب قالوا: يا رب يا حفيظ وطلبوا ممن معهم أنْ يدعوا لهم بالشفاء، فهذه آية عظيمة.

٣ـ الظُّلل جمع ظلة، وهو الجبل أو السحاب أو كل ما أظلّك، ويعني إذا جاءهم الموج كالجبال وغطاهم وأيقنوا بالهلاك دعوا الله مخلصين له الدين وكأنّ الآية تصورهم في البحر في عزلة تامة لا أحد يتمكن من الوصول إليهم في هذا البحر العظيم المتلاطم، فلمّا نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد.

٤ـ من المقتصد؟ هو مقتصد في الإخلاص، فعندما وقع به الحال كان يدعو ربه ويستغيث مخلصاً له الدين، فلمّا خرج لم يكن على هذا الإخلاص فقلّ إخلاصه. أي أنّ منهم مقتصداً في الكفر وكان كافراً، لكنْ لمّا نجا قال: لعلّي أرجع مرة أخرى فيقلل غلواءه في الكفر فيقتصد.

أي إمّا يقتصد في الطاعة، وإمّا يقتصد في الكفر ويرتدع بعض الشيء لأنّ المسألة لا تزال قريبة من نفسه، فهناك هزة عنيفة تجعله ينزجر بعض الانزجار ويرتدع، وهذا هو المقتصد.

٥ـ وأما الختار: الختر هو أشد الغدر والخيانة، (ختر) بمعنى: غدر وخان. ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ٣٢﴾ [لقمان:٣٢] هو أخلص لله عندما دعا ربه في البحر، أمّا الآن فقد خرج وغدر في إخلاصه.

٦ـ والجحود: هو إنكار ما تعلم من الحق، ينكر حقاً يعلم أنه حق، وهذا معنى الجحود، وهو إنكار ما تعلم من الحق.

ولو أنّ شخصاً مديناً إلى شخص، والمدين يعلم أنه مدين، وقال لست مديناً فهذا جحود، لكنْ لو نسي لا يسمى جاحداً.

فالجحود إنكار ما يعلم من الحق ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤﴾ [النمل:١٤]جحد بآياتنا، أي بها رأى وما حدث وما حصل بهذه الآيات .

السؤال الثاني:

في سورة العنكبوت قال: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ٦٥﴾[العنكبوت:٦٥] وفي لقمان٣٢ قال:﴿مُّقۡتَصِدٞ﴾ فما الفرق بينهما؟

الجواب :

١ـ السبب أنّ الخطر في آية لقمان أكبر والهول أخطر، وذكر﴿مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ﴾ أي كالجبال، فأثّر ذلك على قلوبهم فخرج منهم ﴿مُّقۡتَصِدٞ﴾ وهو الذي انزجر قليلاً، أو مقتصد في الإخلاص، فبقي معه شيء منه.

٢ـ وأمّا في العنكبوت فلم يذكر مخاطر البحر، وإنما ذكر إشراكهم فقط. وآية العنكبوت هي في سياق الكلام عن المشركين، فقال: إنهم إذا ركبوا البحر أخلصوا دينهم لله، فلمّا نجاهم إلى البر عادوا إلى شركهم فجأة. ولذا جاء بـ ﴿إِذَا﴾ الفجائية للدلالة على ذلك.

وللعلم فإنّ السياق في العنكبوت في المشركين، والسياق في لقمان عام للمؤمنين وغيرهم، لكنّ الجميع دعا عند الخطر تجنباً لما قد يقع.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾

السؤال الأول:

قال تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ ولم يقل: اتقوا الله. كما ورد في بعض آي القرآن الكريم، فما دلالة اختيار كلمة ﴿رَبَّكُمْ﴾ تحديداً؟

الجواب:

١ـ ربنا سبحانه وتعالى أمر الناس أنْ يتقوا ربهم ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ أولاً بإفراد الرب ﴿رَبَّكُمْ﴾ وإضافته إلى الضمير ﴿رَبَّكُمْ﴾ تدل على أنّ لهم رباً واحداً، وليست أرباباً، فهو رب واحد للخلق أجمعين، وليس رب فئة دون فئة، أو شعب أو دون شعب.

وقسم كانوا يقولون: هو رب شعب دون شعب، وكانوا يقولون: هو رب إسرائيل، لكنه هو رب الجميع ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ﴾ رب واحد وهو رب الجميع.

٢ـ ثم اختيار لفظ الرب له دلالته، فهنا الرب هو المربي والسيد والقيم والمنعم، إذن بيده النفع والضر، وهو الذي ينفع ويضر؛ لأنّ من معاني الرب السيد والمنعم والقيم ، أي من بيده النفع والضر.

٣ـ (الله) اسم العلم،، والرب والمنعم هذه صفات، وكل واحدة لها دلالة. وجاء في الحديث: (**إنّ لله تسعة وتسعين اسماً**) ويسمونها أسماء وصفات ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه:٨] ويعني هي أسماؤه وصفاته واسمه العلم(الله).

الرب يستعمل في غير الله، نقول: رب الدار ﴿وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف:٤٢]﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف:٢٣].

٤ـ الرب ليست خاصة بالله، ونقول مَنْ رب الدار؟ أي من مالكها؟

السؤال الثاني :

هل تكون التقوى من الله أو من الرب؟

الجواب :

١ـ التقوى هي لله لكنْ بصفاته، وهو لما فيه من صفات يتّقونه. الناس أحياناً يتقون شخصاً ويحذرونه لما له من صفة ،إمّا لكونه عزيزاً أو رئيساً فيتقونه لصفته.

٢ـ القرآن قال: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ إذن السياق هو الذي يختار. وعندما يقول: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ معناه اتقوا من بيده النفع والضر، والناس يتقون من بيده ذلك ويخشون أنْ يقطع عنهم النفع أو يدخل عليهم الضر.

٣ـ الرب هو المعلم والقيم والمرشد والمربي، واللفظة مناسبة مع الوالد الذي هو القيم على أبنائه ويربيهم وهو المنفق عليهم، فهناك تناسب، إذن اختيار الرب هنا مناسب في قوله تعالى: ﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾.

السؤال الثالث :

في قوله تعالى: ﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ هذه جملة صفة والقياس - كما نعلم - أنه في جملة الصفة نقول: (لا يجزي فيه) والد عن ولده كما قال: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة:٢٨١]﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٧]فلماذا لا يأتي هنا بـ (فيه)؟

الجواب :

١ـ جملة الصفة يكون فيها عائد (ضمير) يعود على الموصوف قد يكون مذكوراً وقد يكون مقدّراً، وهنا مقدر، والنحاة يقدرون هنا :لا يجزي فيه. هذا من حيث التقدير.

وهذا جائز الذكر وجائز التقدير؛ لأنه ذكرها في مواطن أخرى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾.

٢ـ يبقى: لماذا اختار عدم الذكر، مع أنّ الأمرين جائزان، وقد ذكرا في مواطن متعددة؟

والجواب :

أ ـ أنّ الحذف يفيد الإطلاق عموماً. فقولك: فلان يسمعك أو فلان يسمع، (يسمع) أعم، فعدم ذكر المتعلقات يفيد الإطلاق، يعطي المال أو يعطي، يعطي أعمّ. إذن هو الآن أظهر التعبير بمظهر الإطلاق، ولم يذكر (فيه) ومعناه أظهره بمظهر الإطلاق. وحق السؤال: لماذا لم يذكر هنا، وفي مواطن أخرى ذكر؟

ب ـ لو جزى (فيه) والد عن ولده، أي لو دفع عنه في يوم القيامة، هل هذا الجزاء يختص بهذا اليوم أو بما بعده؟ الجواب بذلك اليوم، ولو جزى والد عن ولده (بدون فيه) لو جزى عنه يعني: لو قضى عنه ما عليه، هذا الجزاء سيكون الجنة. والجزاء ليس في ذلك اليوم؛ لأنه آنذاك في يوم الحساب، وإنما أثر الجزاء سيمتد.

ج ـ ولذلك حيث قال: (لا يجزي) لم يقل (فيه) في كل القرآن، نحو: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البقرة:٤٨] ما قال (فيه).

﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [البقرة:١٢٣] ما قال (فيه).

بخلاف الآيات التي فيها (فيه)، نحو قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة:٢٨١] أي توفى في ذلك اليوم، فإمّا أن يذهب للجنة وإمّا إلى النار. وكذلك قوله تعالى :﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَٰرُ﴾ في ذلك اليوم يوجد تقلب، وبعده ليس فيه تقلب لأنه يذهب للجنة.

د ـ ذِكر (فيه) يخصصها باليوم فقط، فلمّا قال: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ هذا في يوم القيامة وليس مستمراً، الذي في الجنة توفي والذي في النار توفي عمله، والتوفي في يوم القيامة توفية الحساب وأثر التوفية: إمّا يذهب إلى الجنة وإمّا إلى النار، وتقلّب القلوب والأبصارهو في يوم القيامة ثم يذهب أصحاب الجنة إلى الجنة وأصحاب النار في النار، ولا يعود هناك تقلب قلوب ولا تقلب أبصار.

٣ـ لو جزى والدٌ عن ولده لكان أثر الجزاء ليس خاصاً في ذلك اليوم وإنما يمتد إلى الخلود وإلى الأبد؛ ولذلك لم يذكر (فيه) وأخرجه مخرج الإطلاق.

لذلك حيث قال: (لا تجزي) لم يقل (فيه) لنفي المتعلق وما يترتب عليها فيما بعد.

السؤال الرابع :

قوله تعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ [البقرة:٢٣٣]، وفي سورة لقمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [لقمان:٣٣]، فما دلالة هذه الصيغة؟

الجواب :

١ـ الولد يقع على الولد وعلى ولد الولد أي الأحفاد ، وأمّا المولود فلا يقع إلا على من وِلِد منك. فقولك: عندي ولد غير قولك عندي مولود. والولد تستعمله العرب لمن وِلِد منك ولمن بعده. فالولد يعني ابني أو ابن ابني، أمّا المولود فهو ابني.

٢ـ في الآية: لو الولد شفع للأب الأدنى أي لأبيه الذي وِلِد منه لن تقبل شفاعته فكيف بالآخرين؟! والآية: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾هذه خاصة بالأب الأقرب.

بينما ﴿لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾هذه عامة سواء كان ابنه أو حفيده، ويقولون أحياناً: الحفيد أعز من الولد.

لكنّ كلمة (المولود) خاصة فجاءت ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾يعني أنه لا يشفع لأبيه الأقرب فكيف بغيره؟! فإنْ كان لا يشفع للأقرب فلن يشفع لغيره.

السؤال الخامس :

قوله تعالى في آية لقمان ٣٣: ﴿وَاخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ وفي البقرة قال: ﴿وَاتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة:٤٨]فلماذا ذُكر الوالد والولد في لقمان دون آية البقرة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٤٨.

السؤال السادس:

في الآية: ﴿وَاخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ قدّم الوالد على الولد، فلماذا؟

الجواب :

لأنّ الوالد أكثر شفقة على الولد، فالوالد يتمنى أنْ ينقذ ابنه بأي سبيل من السبل وبأية وسيلة بدافع الشفقة وليس بدافع التكليف، وأي أبٍ يتمنى أنْ يدفع عن ابنه الضر إذا رأى أنه سيصيبه، فقدّم الوالد بدافع الشفقة؛ لأنّ الأب أحرص على ابنه وأحرص على نفعه وأحرص على دفع الضر عنه.

السؤال السابع :

قوله تعالى : ﴿وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ (يجزي) جاء بصيغة الفعل و(جازٍ) بصيغة اسم الفاعل، فما دلالة اختلاف الصيغة؟

الجواب :

١ـ الأقوى هو الاسم؛ لأنه يدل على الثبوت، وربنا وصّى الأبناء بالآباء إذن هذا تكليف شرعي ثابت، ويعني الإحسان إلى الأبوين.

٢ـ الأب ليس مكلفاً الإنفاق على الولد إذا بلغ سن الرشد، فإذن بعد البلوغ يصير الابن مكلفاً بنفسه وبأبيه، وبعد البلوغ الابن هو المكلّف، وهو المطلوب منه الإحسان إلى والديه وليس العكس. والإحسان إلى الأبوين من الأبناء، وهم مكلفون فيه على وجه التكليف، بينما الآباء إحسانهم على وجه الشفقة، وليس على وجه التكليف.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾هذا بدافع الشفقة؛ ولذلك جاء بالصيغة الفعلية، بينما ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ جاء بالصيغة الاسمية الدالّة على الثبوت، وهذا بدافع التكليف؛ لأنّ الابن هو مكلّف بالإحسان إلى الأب.

٤ـ المصاحبة ليست واحدة فلا يمكن أنْ يساوي بينهما، واحدة واجبة من الابن لأبيه بدافع التكليف، وواحدة بدافع الشفقة من الأب لابنه وليس مكلفاً شرعاً.

السؤال الثامن :

ما دلالة كلمة: ﴿شَيْـًٔا﴾ في الآية؟

الجواب :

١ـ﴿شَيْـًٔا﴾ فيها احتمالان: إمّا: لا يجزي شيئاً من الجزاء، أو لا يجزي شيئاً من الأشياء الملموسة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦] ﴿شَيْـًٔا﴾ فيها دلالتان: إمّا شيئاً من الشرك؛ لأنّ الشرك درجات، فهناك شرك أصغر وشرك أكبر، أو شيئاً من الأشياء، سواء كان أحداً من الناس أو الأصنام أو غيره.

وهذه ليست مثل (ولا يشرك به أحداً) أحداً، هنا يعني شخصاً.

٢ـ الله سبحانه أراد الإطلاق العام، سواء في الجزاء أو في ما يجزى به من الأشياء. و﴿شَيْـًٔا﴾ نفهمها هنا للوالد والولد معاً.

السؤال التاسع :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان:٣٣] ؟

الجواب :

١ـ المعنى العام : هذا نهي عن الاغترار بالحياة الدنيا.

٢ـ القرآن نسب الغر للحياة الدنيا، وأصلها: فلا تغتروا بالحياة الدنيا فكأنّ الحياة الدنيا والشيطان ينصبان الشَرَك لغرّ الإنسان، ولو قال: لا تغتروا فقط سيكون النهي متعلقاً بالإنسان.

٣ـ (لا) ناهية، هو ينهي الحياة الدنيا عن أنْ تغرّ الإنسان وينهي الشيطان عن غرّه، والمعنى: لا تغتروا؛ لأنّ الحياة الدنيا تنصب لكم الشرك كأنما الحياة الدنيا والشيطان قائمان على نصب الشراك لإيقاع الإنسان بالعداوة. فالمعنى أنْ لا يغتر الإنسان بهذه الحياة، والصيغة هي نهى الحياة الدنيا عن أن لا تغر المسلم.

٤ـ الغرور هو الشيطان وما قاله الشيطان. والشيطان أشهر من يغرّ الإنسان، لكنْ أيضاً كل من يغرّ يدخل في ذلك. فإذن اختار الغرور وليس الشيطان؛ حتى يشمل ويعم كل من يغر شخصاً آخر.

٥ـ ونلاحظ أنه أكّد الفعلين بالنون ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ﴾، ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم﴾ والمعنى أنه نهي مؤكد، لماذا نهي مؤكد؟ لأنّ الدنيا والشيطان يغرّان الإنسان قطعاً لا محالة. إذن النهي ينبغي أنْ يكون مؤكداً فلمّا كان غرهما مؤكداً ينبغي أنْ يكون النهي مؤكداً.

٦ـ وقدم الحياة الدنيا على الشيطان؛ لأنها مبتغى الإنسان الأول، حتى عندما يغرّه الشيطان يغرّه بالدنيا، وهو يكدح من أجل الدنيا، فقدّم الدنيا لأنها مبتغى الإنسان، والشيطان إذا أراد أن يغر الإنسان فبسببها. ولذلك لم يقل: لا تغرنكم الدنيا، وإنما قال: الحياة الدنيا؛ لأنّ الحياة هي المطلب الأول.

السؤال العاشر:

ما الفرق بين الغَرور والغُرور؟

الجواب :

الغَرور: بفتح الغين هو الشيطان، والغُرور بضمها هو المصدر ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان:٣٣].

الغَرور صيغة مبالغة واسم للشيطان، وأمّا الغُرور فهو المصدر.

❁❁❁❁

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى في هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾؟

الجواب :

١ـ هذه الآية الكريمة ذكرت مفاتح الغيب فبدأت بعلم الساعة، وهذا أمر اختصّ الله تعالى به نفسه، ولم يطلع عليه أحداً أبداً. قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب:٦٣].

وأكّد ذلك في أكثر من موطن:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف:١٨٧].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ [النازعات: ٤٤]

٢ـ وفي تركيب الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ قدّم الخبر فقدّم ﴿عِندَهُۥ﴾ على المبتدأ ﴿عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾، والجملة كلها خبر (إنّ) وأصلها (علم الساعة عنده)، وهذا التقديم يفيد الاختصاص؛ أي عند الله فقط حصراً، أي لا يعلمه إلا هو، وأكد الجملة بـ ﴿إِنَّ﴾ وهو يفيد تأكيد القصر. إذن التقديم والتأكيد يفيد القصر والحصر بأنّ علم الساعة منتهاه إلى الله تعالى حصراً.

السؤال الثاني :

ما دلالة العطف في الآية؟

الجواب :

١ـ ربنا سبحانه وتعالى استأثر بالعلم والقدرة؛ لأن أول شيء ذكره هو علم الساعة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾.

٢ـ ثم قال بعدها: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ والله لم يذكر علة نزول الغيث، فما قال: ويعلم نزول الغيث، لكنْ قال: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾؛ لأنّ تنزيل الغيث هو الذي يعني العباد وليس العلم به، بمعنى أنّ تنزيل الغيث هو الذي فيه حياتهم ومعاشهم، فإذن الله سبحانه ذكر ما هو أمس بحياة الناس ونعمة الله عليهم بالغيث الذي تتم به مصالحهم وحياتهم، فاختار ما هو أدل على النعم قال: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾.

٣ـ علم الساعة يكون بعد زوال هؤلاء وذهابهم بقرون، وهم في حياتهم الحالية يعنيهم علمها للتذكر وأخذ العبرة، أمّا موعدها فلا يعنيهم. وأمّا نزول الغيث فيعنيهم هم؛ لذلك ذكر ما هو أدل على النعمة، فقال: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ .

٤ـ قال: (ينزل) بالمضارع؛ لأنّ هذا يتكرر ويتجدد، وكذلك قال: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ ؛ لأنّ هذا متجدد أيضاً، والأرحام مستمرة في كل لحظة في عملها، والله يعلم ما يحصل في الأرحام.

٥ـ ليس المقصود فقط علم الجنس: ذكر أو أنثى، وإنما هذا شيء من العلم، فالله يعلم ما في الأرحام بشكل كامل ومفصل، فهويعلم الجنس إنْ كان تاماً أو ناقصاً، ذكياً أو بليغاً شقياً أو سعيداً وما استعدادته البدنية وصفاته الخلقية والنفسية، وعمله وغناه وفقره، ولا يمكن أنْ يعلم بها أحد إلا الله سبحانه. وحتى علم الأجنة يعلم فقط عندما يستكمل الجنين فلا يعلمون جنسه عندما يكون علقة ولا يمكن أنْ يعلموا ما في الأرحام من المرحلة الأولى وإنما يعلمونه بعد التشكل، بينما ربنا تعالى يعلم ما في الأرحام من بدايته بل حتى قبل ذلك، فهو يعلم ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة.

٦ـ والأرحام لا تعني الإنسان فقط، وإنما تشمل كل شيء ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾ [الرعد:٨] وليس فقط ما يتعلق بالإنسان، وربنا يتكلم عنا ويعلم ما في السموات والأرض ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾

[التغابن:٤]. ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ وليس الجنس فقط وإنما العلم بهذه السعة والشمول والدقة في كل الأحوال على مدى الزمن وفي كل لحظة الله تعالى فقط يعلم بها.

السؤال الثالث:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ﴾ فيه قصر وحصر أنّ علم الساعة لله تعالى دون غيره، فهل باقي الآية يفيد القصر والحصر أيضاً؟

الجواب:

١ـ قسم يقول: إذا دخلت واو العطف فليس بالضرورة أن تفيد القصر لأنها معطوفة على خبر (إنّ). وقسم قال: كما أنه أفاد القصر في الأول فالمعطوف عليه يفيد القصر أيضاً. وقسم قال: ليس بالضرورة أن يكون المعطوف نفس المعطوف عليه.

نقول: محمد حضر وحضر فلان معه فعطف جملة فعلية على جملة اسمية، وقد تعطف جملة مؤكدة على جملة غير مؤكدة أو جملة مثبتة على جملة منفية أو العكس: حضر فلان ولم يحضر أخوه، هذا ممكن.

٢ـ ربنا تعالى قال عن نفسه: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ لكن ليس فيها قصر على نفسه، فإذن لا غرابة في أنْ يتحدث أحد يقول نعلم ذكراً أو أنثى، فهوعلم ناقص وفي وقت محدد عند الاستكمال.

ونحن نفهم الآية عامة بهذه الدلالة أنّ ما في الأرحام في كل لحظة وفي كل الأحوال، وهذا لا يمكن أنْ يكون إلا لله تعالى. وقد ذكر الرسول ﷺ: «**أجله ورزقه، شقي أو سعيد**» هذا لا يعلمه إلا الله تعالى.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ تأتي إلى نفس الإشكال إذا كانت تفيد القصر لغة، قسم قالوا: تفيد وقسم قالوا: لا.

هل يستطيع الإنسان أنْ ينزل الغيث الآن؟ ربنا ينزل الغيث، يسوق السحاب وينزل الغيث، الناس تصلي صلاة الاستسقاء والبلاد الأخرى التي فيها جفاف، من ينزل الغيث؟ فلينزلوا غيثهم إذا استطاعوا، الجفاف يأكل الأرض فمن ينزل الغيث إلا الله تعالى، فإذن ربنا سبحانه وتعالى هو الذي ينزل الغيث، ربنا سبحانه وتعالى هو القادر على ذلك، وهو الذي يفعل ذلك إنْ شاء.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ قسم كان يقول: أنا موظف وراتبي محدود، فيقول: أنا أعلم ما أكسبه اليوم وغداً. والجواب أنّ الكسب لا يتعلق بأمور المعاش فقط، المعاش كسب، لكنّ ربنا تعالى ذكر الكسب في الأعمال من الحسنات والسيئات، قال: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦] ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة: ٨١] الكسب قد يكون للقلب﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٥] والكسب لليد ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى:٣٠] فالكسب عام وحتى أصحاب الأجور الثابتة قد يأتيهم ما ليس في البال، بهذا المعنى المطلق لا يمكن أنْ يعلم أحد ماذا سيكسب غداً؛ لأنّ الكسب متعلق بالأعمال من حسنات وسيئات وكسب القلب وما إلى ذلك والذي يأتيه من مال.

الرزق واحد من معاني الكسب، والكسب عام، فلماذا يحدد بشيء واحد؟ ومن يعلم ذلك؟ لا يستطيع أحد أنْ يعلم ماذا سيكسب غداً، وماذا لو توفاه الله؟

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ هذا مكان الأجل.

السؤال الرابع :

ما دلالة وحكمة الترتيب في الآية؟

الجواب:

١ـ الله سبحانه بدأ بالساعة وهي رأس المغيبات وجعلها بعد قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ﴾هذه الساعة، فلمّا قال: عنده علم الساعة، ناسب ما قبلها وهذا اليوم الذي طلب منا أنْ نخشاه.

٢ـ ثم ذكر بعد علم الساعة تنزيل الغيث ﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ وهو أسبق المذكورات في الآية بعده وجوداً. فالمطر أسبق؛ لأنّ الإنسان لا يعيش دون زرع. فإذن بدأ بالأسبق هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى ربنا تعالى كثيراً ما يستدل في القرآن بنزول الغيث على الساعة ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝٩ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ۝١١﴾ [ق:١١] إذن صارت مرتبطة بما قبلها، إذن تنزيل الغيث ارتبط بما قبلها، وهي الساعة وارتبط بما بعده، وهو ما في الأرحام؛ لأنّ ما في الأرحام يعيشون على الزروع، إذن(ينزل الغيث) له ارتباط بما قبله وما بعده، فارتبط بعلم الساعة أنه تعالى يستدل به على علم الساعة، ويستدل به على اليوم الآخر.

وارتبط أيضاً بها بعدها ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ لأنّ ما في الأرحام كثيراً ما يعيشون على الزروع وما تنبت الأرض سواء كان إنساناً أو حيواناً، ثم ذكر ماذا تكسب غداً، هذا بعد الولادة وبعد ما في الأرحام، ثم ذكر الموت آخراً.

٣ـ فإذن رتبها ترتيب أسبقية الوجود والارتباط، وفيها إثبات لعلم الله ونفي لما عداه، إثبات لعلم الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ [لقمان:٣٤]ونفي ما عداه ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾.

٤ـ ثم ختمها بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ فأثبت له العلم والخبرة على صفة المبالغة، وهذا من اجتماع العلم والخبرة، عليم بالأمور خبير ببواطنها. خبير تضاف إلى عليم.

السؤال الخامس :

ما دلالة النفي بـ ﴿مَا﴾ في الآية ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾؟

الجواب :

١ـ عندنا مزايا في اللغة العربية لا يمكن التعبير عنها في اللغات الأخرى وهي تعدد أدوات النفي. تقول: أنا ما أذهب، أنا لا أذهب، أنا إنْ أذهب، أنا لست أذهب. وورد مثلها في القرآن في قوله: ﴿أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٞ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء:١٠٩]بمعنى نفي (ما). وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ ﴾ [الأحقاف:٩]نفاها بـ (ما)، ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ [لقمان:٣٤]قال: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ﴾ [الطلاق:١]قال: ما أدري، وقال: إنْ أدري، وقال: لا أدري، نفاها كلها.

٢ـ الفرق من حيث الدلالة، والمعلوم المشهور أنه إذا نفيت الفعل المضارع بـ (ما) دلّ على الحال، يعني: ما أدري الآن، بينما: لا أدري أكثر النحاة يخصصونها للاستقبال. لكنّ قسماً من النحاة يقول هي للحال والاستقبال مطلقة، وأكثرهم يخصصها بالاستقبال. والزمخشري يقول: (لا ولن) أخْتانِ في نفي المستقبل وهذا عليه أكثر النحاة.

السؤال السادس :

هل الله سبحانه وتعالى في حاجة إلى كل هذا التأكيد، ونحن نقرّ له بالعلم؟

الجواب :

هناك قسم يقر له بالعلم، وهناك من لم يقر له بالعلم، وهناك من يعبد الحجر، وهناك من يعبد الشجر، وهناك من يعبد الحيوان، وهناك وهناك. فهذا الكلام للجميع.

أنت علمت بعد أنْ علمت من القرآن بعدما أعلمك الله تعالى ولم يكن هناك اختلاف في شيء إلا اختلاف على الله سبحانه وتعالى، قسم قالوا: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الصافات: ١٥١ - ١٥٢] وربنا سبحانه وتعالى قال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات:١٨٠] يصفونه بأشياء لا ينبغي أنْ يوصف بها، فمن أهمّ الأشياء ينبغي أنْ نعلم أنّ ربنا عليم وخبير وقدير وحليم وله الأسماء الحسنى.

السؤال السابع :

لماذا حُدد المكان ولم يُحدد الزمان في الآية الأخيرة من سورة لقمان؟

الجواب :

قال تعالى في آخر سورة لقمان: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان:٣٤] وإذا نظرنا إلى سياق الآيات نجد أنّ الانتقال من أرض إلى أرض والانتقال في الفلك هو السياق ، ثم بعدها قال تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ [لقمان:٣٢] فلمّا نجاهم إلى البر، أي أنّ كل سياق الآيات يفيد الانتقال من مكان إلى مكان؛ لذا ناسب ذكر المكان في الآية وجاءت بأي أرض تموت هل في البحر أم في الأرض.

رابعاً ـ تناسب فواتح لقمان مع خواتيمها :

١ ـ قال سبحانه في أول السورة :

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ .

وقال في أواخرها :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ... ﴾.فذكر في أول السورة الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم يوقنون بالآخرة.

وقال في أواخر السورة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾. ومن التقوى ما ذكر في أول السورة من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان باليوم الآخر. كما ذكر ذلك في آية البقرة

(١٧٧) وفيها قوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ... وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ . وقال فيها ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ .

وقد أكّد الإيمان باليوم الآخر في أول السورة، فقال: ﴿ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ .

وذكر اليوم الآخر في آخر السورة، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [لقمان:٣٣] .

وذكر الساعة في آخر آية من السورة، فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ .

٢ ـ ذكر في أول السورة قسماً ممن غرتهم الحياة الدنيا، فقال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ [لقمان:٦-٧] .

فحذّر هؤلاء وأضرابهم من ذلك اليوم الذي لا تجزي نفس عن نفس شيئاً من أنْ تغرهم الحياة الدنيا وأنْ يغرهم بالله الغرور، فناسب آخر السورة أولها، والله أعلم.

سورة السجدة

أولاً ـ تناسب خواتيم لقمان مع فواتح السجدة:

١ ـ قال سبحانه في آخر سورة لقمان:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٣-٣٤].

فذكر اليوم الآخر والساعة.

وقال في أوائل السجدة:

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾﴾.

فكأنه أجاب في لقمان عن سؤالهم واستهزائهم في السجدة: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ وذكر أنهم بلقاء ربهم كافرون.

وذكر في آية لقمان ما ذكر من أمور اليوم الآخر وحذّرهم مما يكون فيه.

ثم حذّرهم في السجدة من ذلك بقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾..

فكأن الموضعين متكاملان في ذلك.

٢ ـ ذكر في آخر آية من لقمان أنه يعلم ما في الأرحام.

وذكر في السجدة بداية خلق الإنسان، فقال: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ [السجدة:٧-٨].

فالموضعان متناسبان.

٣ ـ قال في آخر لقمان:

﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾.

وقال في السجدة:

﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [السجدة:١١].

فكلتا الآيتين في آجال الإنسان وموته.

ثانياً ـ هدف السورة: الخضوع لله تبارك وتعالى:

سورة السجدة سورة مكية وهدفها واضح من اسمها، ألا وهو الخضوع لله تعالى لأنّ السجود هو صفة الخضوع لله تعالى. وفيها آية السجدة: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ التي صوّرت المؤمنين يخرّون سجداً وهذه قمة الخضوع؛ ولذلك كان الرسول عليه السلام يقرؤها في الركعة الأولى من صلاة الصبح يوم الجمعة، وهو اليوم الذي منّ الله تعالى فيه بخلق آدم عليه السلام.

نتيجة عدم الخضوع: تبين السورة كذلك عقاب من لا يخضع لله في الدنيا فعدم الخضوع لله في الدنيا إيماناً به وتعظيماً له ينتج عنه خضوع ذلٍ في الآخرة: ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا

نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٤]
و: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [السجدة:٢٠]. أمّا المؤمنون فهم خاضعون لله والسجود لله عندهم عزة ورفعة: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [السجدة:١٦].

رسالة السورة: هي توجيه للناس بأنْ يتذكروا الآخرة ويخضعوا في الدنيا؛ حتى يكونوا من الفائزين في الدنيا والآخرة.

ونلاحظ من خلال أهداف سور القرآن الكريم أنها عبارة عن رسائل لو جمعناها أعطت رسالة كاملة ومنهجاً متكاملاً للأمّة التي تستحق أنْ تكون مستخلفة في الأرض. وهذا القرآن نقل أمّة كانت ترعى الغنم إلى أمة قائدة. ومعجزة القرآن أنه إذا قرأناه وعملنا به ننتقل من أناس لا قيمة لهم إلى عظماء قادة يحكمون الأرض بالعدل وبمنهج الله تعالى.

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [السجدة:٤] هل قبل الخلق كان على العرش؟ وما دلالة (ثم)؟

الجواب :

١ـ ﴿ثُمَّ﴾ في الغالب معناها يكون الترتيب والتراخي، لكنها لا تنحصر بهذا المعنى. وقد تكون (ثم) للتفاوت بالرتبة، ويعني: ما بعدها أكبر وأعظم مما قبلها في رتبته، وحتى النحاة ضربوا مثلاً، وهو قولهم: أعجبني ما صنعت اليوم، ثم ما صنعت أمس أعجب، (ما صنعت) هذا قبله.

٢ـ وقد تكون ﴿ثُمَّ﴾ للترتيب الذكري أو للتفاوت في الرتبة والمنزلة. نضرب شواهد من القرآن :

ـ ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾﴾ [البلد: ١١ – ١٧] أيها الأكبر: ما قبل (ثم) أم بعدها؟ ما بعد (ثم) أكبر. فإذن تفاوت في الرتبة، وسيكون هذا الشيء أعلى.

- ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ هذا تفاوت في الرتبة، هذا أكبر من خلق السموات والأرض. إذن ليس هو كما يظن السائل أنها تكون بعد وإنما رتبتها أعلى.

- ﴿فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ﴾ [يونس:٤٦] ربنا سبحانه وتعالى عالم دائماً، إذن (ثم) تفيد أن ما بعدها أكبر مما قبلها.

- مثال النحاة: أعجبني ما صنعتَ اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب، هذا للتفاوت. وأمّا: دخل محمد ثم خالد. هذا للترتيب والتراخي.

٣- حتى في الفاء قد تكون للترتيب الذِكري فقط وليس للترتيب والتعقيب وليس مثل (جاء أحمد فخالد)، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ۝٤﴾ [الأعراف:٤] هل جاءها البأس قبل الإهلاك؟ ربنا قدّم الإهلاك، وهذا يسمى الترتيب الذكري، وكذلك :توضأ رسول الله عليه السلام فغسل يديه ورجليه، هو غسل أولاً؛ حتى يصير وضوءاً.

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٨٠﴾ [الأنعام:٨٠] و ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤﴾ [السجدة:٤] و ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨﴾ [غافر:٥٨] و ﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٢٤﴾ [هود:٢٤]

فما الفرق بين تذكرون وتتذكرون؟

الجواب :

يوجد في القرآن ضابط، ليس فقط في هذين الفعلين وإنما تعبير عام، وهو أنه يحذف من الفعل مثل: استطاعوا واسطاعوا للدلالة على أنّ الحدث أقل مما لم يحذف منه، وإذا حذف فمعناه: أنّ الزمن المحذوف منه أقصر فيقتطع للدلالة على الاقتطاع من الحدث. وإذا كان المقام مقام إيجاز يوجز وإذا كان المقام تفصيل يقول الصيغة كاملة.

لمزيد من التفصيل انظر الجواب في آية الأنعام ٨٠.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين النفيين ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ﴾ ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾ حيث نفى بـ (ليس) في آيتي الأنعام (٥١) و (٧٠)، بينما نفى بـ (ما) في آية السجدة٤، وجاء معها بـ (من) فقال ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ ؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ٥١.

❀❀❀❀

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين اليوم في كلتا الآيتين ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ [السجدة:٥] و﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج:٤] ؟

الجواب :

١ـ هذان اليومان مختلفان: خمسون ألف سنة هو يوم القيامة، كما في الحديث الصحيح، وكما هو في سياق آية المعارج ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩﴾ [المعارج: ١ - ٩] هذا يوم القيامة، وكل الكلام في يوم القيامة.

٢ـ في سورة السجدة الكلام في الحياة الدنيا ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة:٥]الزمن الذي تأخذه الملائكة للصعود بأعمال العباد إلى السماء. يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة، ويُخفّف على المؤمن كالصلاة المكتوبة، وعلى غير المؤمن هوخمسون ألف سنة، والرسول ﷺ بيّنه في حديث في صحيح مسلم. هو هكذا كما ذكر ربنا، لكنه يُخفف على المؤمنين، أمّا في آية السجدة فهذا في الدنيا، و ليس في يوم القيامة.

السؤال الثاني :

هل الزمن في التعبير القرآني له نفس مقدار الزمن، كما في حياتنا عموماً؟

الجواب :

الله تعالى عندما يذكر الأحكام الشرعية يذكرها بما نعلم من أيامنا، شهر رمضان، كفارة اليمين، عشرة كاملة، شهرين، فأماته الله مائة عام يعني مائة عام، ثلاثمائة سنين، فهي كما ذكر تعالى. وهذه الأزمنة هي على زمننا الذي نعرفه.

في معلوماتنا الأولية أنّ سنة المشتري غير سنة الأرض، ويوم المشتري غير يوم الأرض، وكل كوكب تختلف أيامه وسنواته عن أيامنا، فلماذا نستغرب من طول يوم القيامة؟!.

السؤال الثالث :

هل هناك علاقة بين هذه الآية وسرعة الضوء المعروفة وهي ٣٠٠٠٠٠ كم بالثانية؟

الجواب :

١ـ معظم المفسرين يقولون: بأنّ المقصود بقوله تعالى: ﴿مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ هو من أيامنا المعروفة في الدنيا.

٢ـ من المعروف أنّ قانون السرعة هو = المسافة / الزمن.

٣ـ المسافة عند العرب كانت تقدر بالزمن فكانوا يقولون مثلاً: مشينا ساعة أو مشينا مسيرة ثلاثة أيام، والزمن عند العرب كان يقدر بالسنة القمرية، واليوم القمري هو بالتحديد: ٢٣ ساعة و٥٦ دقيقة و٤.٠٩٠٦ ثانية أي يساوي(٨٦١٦٤.٠٩٠٦) ثانية بالتحديد.

٤ـ المسافة التي يقطعها القمر في شهر قمري واحد حول الأرض أي دورة واحدة للقمر حول الأرض هي (٢١٥٢٦١٢.٣٤) كم. وبالتالي فإنّ المسافة التي يقطعها القمر في ألف سنة هي ماتعادل ١٢٠٠٠ دورة للقمر حول الأرض وتساوي(٢٥٨٣١٣٤٨٠٨٠) كم.

٥ـ وبتطبيق قانون السرعة التي تساوي المسافة / الزمن ينتج :

٢٥٨٣١٣٤٨٠٨٠/ ٨٦١٦٤.٠٩٠٦= ٢٩٩٧٩٢.٤٩٩٤٠٥ كم / ثا. وهو الرقم الدقيق المعتمد علمياً في العالم، وهو بالتقريب يساوي ٣٠٠٠٠٠كم/ ثا، وهو الرقم الذي يذكر في المدارس والجامعات.

٦ـ هناك قاعدة عامة،وهي أنه لا زمان بغير حركة ولا مكان بدون مادة.

٧ـ هذه النتيجة في هذه الآية تبين المعجزة القرآنية في قياس السرعة الضوئية.

❁❁❁❁

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

السؤال الأول :

لماذا قدّم البصر على السمع في آية سورة الكهف ٢٦ وآية سورة السجدة ١٢؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الكهف ٢٦.

❁❁❁❁

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]

وفي السجدة ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [السجدة:١٣] الجِنة مقصود بهم الجن، فما الفرق بين الجن والجِنّة؟ وما دلالة البدء بالجن والجِنّة؟

الجواب :

١ـ (الجن) القرآن يستعمله بما يقابل الإنس (الجنّ – الإنس)، وهما الأصلان لهذين الجنسين ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦] ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء:٨٨].

٢ـ أمّا (الجِنة) فيستعملها بمقابل (الناس)، كما في الآية :﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة:١٣] ﴿ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ [الناس:٦].

٣ـ الجنّ والإنس هما الأصلان، وأمّا الناس فتكون مجموعة قليلة أو كثيرة من هؤلاء أو أفراداً منهم، وقد يكون الجميع ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨] فهذا لجميع المخاطبين من آدم إلى أن تقوم الساعة، أو أفراد منهم، كما في الآية: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ﴾ [آل عمران:١٧٣] وتكون هناك قرينة سياقية تحدد المعنى لكن لا تدل على عدد معين، إنما تدل على مجموع قد يشمل جميع الناس ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ وفي الحديث « **أشيروا عليّ أيها الناس**» والمقصود الأنصار.

٤ـ الجِنّة مجموعة من الجن قد تكون قليلة أو كثيرة. الجنّ هم الأصل مع الإنس، ويستعمل في الغالب الجان بمقابل الإنسان. الجنّ الأصل مثل الإنس والجان قد يكون واحداً من هؤلاء، مثل الإنس والإنسان فالإنسان واحد من الناس، وقد يطلق على الأكثر.

الإنس غير الناس أحياناً، ولا يمكن استعمال الإنس مكان الناس، كما في الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة:١٣]لا يمكن أنْ يقال كما آمن الإنس.وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣] هنا لا تنفع الإنس.

فإذن الإنس بمقابل الجنّ، والناس بمقابل الجِنّة، والجان مقابل الإنسان ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن: ١٤ - ١٥]. وهذا ليس من خصوصية الاستعمال القرآني، وإنما هو في لغة العرب.

السؤال الثاني:

ما معنى ﴿حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ في الآية؟

الجواب :

١ـ حق القول في القرآن معناه: ثبت لهم العذاب. والقول هو قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة:١٣].

وكلمة (حق القول) إشارة إلى حق القول من الله.

والذي ورد في القرآن الكريم هو أنّ حق القول المقصود به﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة:١٣] أو﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص:٨٥].

٢ـ وكذلك (حقت الكلمة) لم ترد إلا في ثبوت العذاب، وهذا يمتد في جميع القرآن، بمعنى: وجب لهم العذاب أو ثبت لهم العذاب، كما في الآيات:

﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزُّمَر:٧١].

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [القصص:٦٣].

﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [فُصِّلَت:٢٥].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأحقاف:١٨].

﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣].

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾﴾ [يس:٧].

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يس:٧٠].

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الصافات:٣١].

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾ [الزُّمَر:١٩].

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾﴾ [غافر:٦].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس:٩٦-٩٧].

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [يونس:٣٣].

وكل هذه الآيات لم يرد في القرآن إلا بهذا المعنى وهذه الدلالة، (حق القول) أو (حقت الكلمة)، فلم ترد إلا بهذه الدلالة. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ﴾ أي ذوقوا العذاب.

٢ـ اختار حاسة التذوق؛ لأنها وسيلة الإدراك لما يتصل بالحياة من الأكل والشرب، وهما ضرورتا الحياة لا مجرد ترف، فالتعبير بالذوق هنا لشمول الإذاقة، وهذه الشمولية لتعبر عن أنها تستولي على جوارح الجسم كله. قال الشاعر في معنى الشمولية :

خَطَراتُ ذِكْرِكَ تستثيرُ مودتي   فأُحسُ منها في الفؤاد دبيبا
لا عضوَ لي إلا وفيه صبابةٌ   فكأنّ أعضائي خُلقن قلوبا

٣ـ علة تلك الإذاقة ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ فقد نسوا يوم القيامة بالرغم من تحذير الله لهم، فلا عذر الآن.

٤ـ تكون العاقبة ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ أي أنّ الله سوف يترككم للعذاب بسبب ما كنتم تعملون في الدنيا.

٥ـ لذلك انتبه أيها الإنسان إلى هذه الصفقة واحسب حسابك الصحيح فإنّ الآخرة الخالدة ونعيم الله الخالد يستحقان أنْ نبيع من أجلها الدنيا بكل ما فيها من غالٍ ونفيس؛ ولذلك سماها رسول الله ﷺ تجارة رابحة.

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [السجدة:١٤] كيف ينساهم الله تعالى؟

الجواب :

١ـ النسيان هو الغياب عن الذاكرة، ويأتي أيضاً بمعنى الترك والإهمال. ومن الخطأ أنْ نأخذ الكلمة على معنى واحد فقط وننسى باقي المعاني.

٢ـ الله سبحانه لا يغيب عنه شيء، فلا يُنسب له النسيان، كما قال تعالى: ﴿فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾.

٣ـ قوله تعالى في آية الأعراف٥١ : ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ هم كانوا منكرين لهذا اليوم ومهملين له، فجاء نسيانهم بمعنى عدم الاكتراث.

فهناك مقابلة لفظية بين ﴿نَنسَىٰهُمْ﴾ ﴿نَسُواْ﴾ ويسمى هذا المشاكلة في اللفظ.

ويكون المعنى أنّ الله لن يلقي لهم بالاً، بنفس النمط الذي فعلوه من عدم اكتراثهم بيوم القيامة.

٤ـ قوله تعالى في آية التوبة٦٧: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ هو أيضاً من قبيل المشاكلة.

٥ـ قوله تعالى في آية السجدة: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾أي أنتم ابتداء أهملتم هذا اليوم ولم تلقوا له بالاً، واليوم تُنسون في نفس النمط، فلا يُلقى لكم بالاً.

والله أعلم.

السؤال الثالث :

ما دلالات (ذاق وأذقنا) في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٠٦.

❁❁❁❁

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (١٥) ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين ﴿وَاسْجُدُوا﴾ ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾؟

الجواب :

١ـ رب العالمين يقول: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة:٣٤]في آية ص قال: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص: ٧١ - ٧٢] وآية أخرى ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾ [مريم:٥٨]

ما الفرق بين (اسجدوا) و (وقعوا له ساجدين) و (خروا سجداً)؟

٢ـ قوله تعالى: ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ هذا سجود اعتيادي، كما نفعله في الصلاة. وفي يوم الجمعة من السنن أنْ نقرأ سورة السجدة ونحن واقفون خلف الإمام و هو يقرأ سورة السجدة.

٣ـ قوله تعالى: ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة:١٥].

(خرّوا) لماذا؟ نحن واقفون ننزل رأساً إلى تحت ﴿خَرُّوا۟﴾.

الخرّ: هو الهبوط مع صوت من خرير الماء، وهنالك فرق بين جريان الماء بلا صوت، والخرير من شلال نازل بصوت، فهذا خرّ ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾.

٤ـ مرة قال: ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾، ومرة قال: ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾والبكاء كان مع السجود، وقال: ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟﴾ من التسبيح: سبحان الله وبحمده.

٥ـ خلق الله سبحانه آدم عليه السلام، ثم قال للملائكة أو جزء منهم: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ أي اتركوا عملكم وقعوا له ساجدين. ورب العالمين يخاطب هؤلاء الملائكة، فقال: ﴿فَقَعُوا۟﴾ بالفاء ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ أي اتركوا

الذي في أيديكم ﴿فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ وهذا هو الفرق بين (فقعوا له) و (اسجدوا) و (خروا).

والله أعلم.

السؤال الثاني :

هل من لطائف عددية في سورة السجدة و في هذه الآية؟

الجواب :

١ـ ترتيب سورة السجدة في القرآن (٣٢) ورقم آية السجدة فيها (١٥) وتتألف هذه الآية من (١٥) كلمة.

٢ـ عدد آيات سورة السجدة (٣٠) آية، أي أنّ آية السجدة جاءت في نهاية النصف الأول منها، أي =١٥×٢.

٣ـ عدد السجدات في القرآن (١٥) سجدة موزعة في (١٤) سورة. ويؤيد هذا حديث عمرو بن العاص: أنّ رسول الله ﷺ أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن، منها ثلاث في المفصل، وفي الحج سجدتان " فدلّ على أنّ السجدات خمس عشرة منها سجدتان في الحج.

٤ـ ترتيب كلمة ﴿سُجَّدًا﴾ في السورة من بدايتها هو (١٨٦)، فإذا ضربنا هذا العدد بـ (٢) إشارة إلى النصفين المذكورين آنفاً، لكان الناتج (٣٧٢) وهو عدد كلمات سورة السجدة.

٥ـ لاحظ البعض أنّ عدد السور التي وردت فيها مادة (سجد) هي (٣٢) سورة، وهو ترتيب سورة السجدة، والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

السؤال الأول:

نلاحظ في الآية أنّ لفظي (مؤمن) و(فاسق) جاءا بصيغة المفرد، وبالتالي كان القياس أن نقول: لا يستويان، إنما جاء القرآن بـ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾، فلماذا؟

الجواب:

١ـ نعلم أنّ (ما) و (مَن) الموصولتين تأتيان للمفرد أو للمثنى أو للجمع وللمذكر وللمؤنث، فمرة يراعي السياق اللفظ، ومرة يراعي السياق المعنى.

والله سبحانه في هذه الآية لا يتكلم عن المفرد، وإنما عن الجمع، أو أنها قيلت رداً لحالة مخصوصة بين مؤمن وكافر، فأراد الله أن يعطيها العموم لا خصوص السبب، فراعى السياق لخصوص السبب ـ مؤمن وكافر ـ وراعى عموم الموضوع، فقال: ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾.

٢ـ والقاعدة الفقهية تقول: «العبرة في القرآن بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».

وقد جاءت الآية بصيغة الاستفهام، ولا بدّ أنْ نقول نحن في جواب هذا السؤال: لا يستوي مؤمن وكافر. ومن يقل بهذا فقد وافق مراد ربه.

وما دام المؤمن لا يستوي مع الفاسق، فلكلٍّ منهما جزاء يناسبه.

السؤال الثاني :

جاءت كلمة (مؤمن) و(فاسق) بالصيغة الاسمية، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

١ـ كثيراً ما استعمل القرآن للإيمان الصيغة الاسمية؛ وذلك لأنّ الإيمان له حقيقةٌ ثابتةٌ تقوم بالقلب، وليس كالإنفاق يحدث وينقطع، كما هو واضح بالآيات الواردة هنا في سور السجدة ١٨ ﴿مُؤْمِنًا﴾ [طه:٧٥] ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ والروم٤٧ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٢ـ كما استعمله بالصيغة الفعلية في المواطن الدالة على الحدوث، كما في سورة الأنعام ١٠٩ ﴿لَيُؤْمِنُنَّ﴾؛ لأنه لم يحصل بعد، وكما في البقرة:١٣ ﴿ءَامَنُواْ﴾ و﴿أَنُؤْمِنُ﴾.

٣ـ كذلك التقوى والصبر والشكر والهدى والضلال والعمى والبصر، كل هذه لها مسميات حقيقيةٌ أو مجازيةٌ تليق بها، فحيث يُراد تجدد حقائقها أو آثارها فالأفعال، وحيث يُراد الاتصاف بها فالأسماء.

❋❋❋❋

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في استخدام ﴿ٱلَّذِى﴾ مع عذاب النار مرة، كما في آية السجدة ٢٠، ومرة ﴿ٱلَّتِى﴾ كما في آية سبأ ٤٢؟

الجواب :

في سورة السجدة الخطاب موجّه للفاسقين، و﴿ٱلَّذِى﴾ يشير إلى العذاب نفسه.

أمّا في سورة سبأ ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [سبأ:٤٢] فالخطاب في هذه السورة موجّه إلى الكافرين، و﴿ٱلَّتِى﴾ مقصود بها النار نفسها.

والفاسق يمكن أنْ يكون مؤمناً، ويمكن أنْ يكون كافراً، فهو لا يُكذّب بالنار، إنما يُكذّب بالعذاب، أمّا الكافرون فهم يُكذّبون بالنار أصلاً، ولا ينكرون العذاب فقط.

السؤال الثاني :

لماذا ذكر في آية الحج ٢٢ ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ ولم تذكر في آية السجدة؟

الجواب :

١ـ في الحج: لمّا تقدم أنواع العذاب ناسب قوله ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ أي من الغموم المذكورة من صب الحميم وثياب أهل النار وغيره.

٢ـ ولم يذكر في السجدة سوى ﴿مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ فناسب عدم ذكر (من غم) واقتصر على﴿مِنْهَا﴾ أي لا يخرجون منها.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾

السؤال الأول :

يأتي الضر مع الفعل (مسّ)، ومع الرحمة يأتي الفعل (أذقنا) فى القرآن الكريم، فما الفرق بين المسّ والإذاقة في القرآن؟

الجواب :

هذا التفريق غير دقيق، فالذوق والمس يأتي للضر وغير الضر. والذوق هو إدراك الطعم، والمسّ هو أي اتصال.

وأمّا كون المس يأتي مع الشر فغير صحيح؛ لأنّ المس يأتي مع الرحمة أيضاً، كما في الآيات: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج: ٢٠ - ٢١] ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ [آل عمران:١٢٠] ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام:١٧].

وكذلك الإذاقة تأتي مع العذاب ومع الرحمة، كما في الآيات: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة:٢١] ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا﴾ [الشورى:٤٨] ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:١٩]. فليس هنالك تقييد في الاستعمال.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الآيتين ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف:٥٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [السجدة:٢٢]؟ لماذا استعمل (ثم) في آية السجدة واستعمل (الفاء) في آية الكهف؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الكهف ٥٧.

السؤال الثاني :

ما معاني حرف العطف ﴿ثُمَّ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ١.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين الإعراض عن الذكر والإعراض عن الآيات؟

الجواب :

١ـ الذكر: عام، وهو الوحي أو العبادة أو الموعظة.

٢ـ الآيات: أخص، وهي جزء من الذكر.

٣ـ في القرآن إذا ذُكر الإعراض عن (الذكر) زاد في بيان العذاب والعقوبة، وإذا ذُكر الإعراض عن (الآيات) كان بيان العذاب أقل؛ لأنّ الذكر أعم من الآيات، والآيات جزء من الذكر، فكان بيان العذاب والعقوبة في الإعراض عن (الذكر) أكبر منه في الإعراض عن (الآيات) والإعراض عن الكل أصعب من الإعراض عن الجزء.

* شواهد قرآنية في الإعراض عن الآيات :

ـ آية الكهف ٥٧ : لم يذكر العقوبة.

ـ آية السجدة ٢٢ : لم يذكر تفاصيل الانتقام.

ـ آية الزخرف ٤١ : لم يذكر تفاصيل الانتقام.

* شواهد قرآنية في الإعراض عن الذكر :

ـ آيات طه ٩٩ـ١٠١ : فصّل في العذاب وأنواعه.

ـ آية طه ١٢٤ : فصّل في العذاب وأنواعه.

ـ آية الجن ١٧ : ذكر العذاب المصعّد.

❁❁❁❁

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا حذف نون (تكن) في آية هود١٧ وأبقاها في آية السجدة ٢٣؟

الجواب :

السبب لاختلاف سياق الآيتين:

١ ـ آية هود تثبيتٌ للرسول ونهيٌ له عن الريب والمرية. فقد بدأ الكلام بقوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ [هود:١٧] وختمه بقوله: ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ فناسب ذلك أنْ يقال: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ أي لا يكون في المرية أصلاً فحذف النون.

والكلام في آية هود في القرآن، وعن قوم الرسول وتهديد من يكفر به.

٢ـ بينما الكلام في آية السجدة عن التوراة وبني إسرائيل، وليس في آية السجدة مثل دواعي الآية الأولى، فذكر النون على الأصل.

❁❁❁❁

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾

السؤال الأول:

كلمتا (يختلفون) و(تختلفون) وردتا في القرآن في مواضع كثيرة، منها البقرة (١١٣) ويونس (١٩) والمائدة (٤٨) و﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [السجدة:٢٥]، ما كُنه الاختلاف بين الآيات؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى في آية المائدة٤٨ : ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ [المائدة:٤٨] أي أنبأهم بالأمر، فقال: ﴿بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾.

وأما آية البقرة١١٣ فهي في القضاء والفصل، فقد حكم في القضية ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [البقرة:١١٣] وهذا حكم، فقال: ﴿فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾، أي: في الذي كانوا فيه يختلفون.

٢ـ القرآن إمّا أنْ يقول: (قضي بينهم) أو (يحكم بينهم)، وعندما يقول (يحكم بينهم وقضي بينهم) يستعمل (فيه).

٣ـ أمّا (كانوا) و(كنتم) فالأكثرعندما يقول: ﴿كَانُواْ﴾ أن يكون الكلام عن يوم القيامة والاختلاف كان في الدنيا، كما في الآيات: ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [البقرة:١١٣] و﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [الجاثية:١٧].

وأمّا الآية: ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٩﴾ [يونس:١٩] فهذه الآن، وليست في يوم القيامة، فقال: ﴿بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾؛ لأنها تقصد الدنيا.

السؤال الثاني :

هل (كان) فعل ناقص؟

الجواب :

نعم فعل ناقص، وأحياناً يأتي تاماً وله استخدامات كثيرة.

السؤال الثالث :

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الجاثية:١٧]

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [السجدة:٢٥]

ما الفرق بين (يفصل) و(يقضي)؟ وما دلالة ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ في آية السجدة؟

الجواب :

١ـ لو قرأنا الآيتين تتضح الإجابة :

آيات سورة السجدة [٢٣ـ٢٥]

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [السجدة:٢٣-٢٥] السياق هو بين المؤمنين والكافرين، والله يفصل بين الأنبياء وأممهم.

آيات سورة السجدة [١٨ـ٢٦]

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [السجدة:١٨-٢٦].

السياق في أمتين: جماعة بني إسرائيل ونبيهم موسى عليه السلام،وأنت أيضاً يا محمد آتيناك الكتاب، فصاروا أمتين مختلفتين، فقال ربنا لرسوله محمد عليه السلام: ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾.

آيات سورة الجاثية[١٦ـ١٧] :

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الجاثية:١٦-١٧]

السياق هو في الاختلاف بين بني إسرئيل في ملة واحدة.

٢ـ في سورة السجدة: الاختلاف بين أمم مختلفة، وعلى الأقل بين أمة الإسلام وبني إسرائيل، وأمّا في سورة الجاثية فالفصل بين ملة واحدة مختلفة فيما بينها.

فلمّا كان بين ملل مختلفة قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾، وقال: (يفصل) وأكّد بـ (هو)، وأمّا ما كان بين ملة واحدة فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ﴾ فاستعمل (يقضي)، ولم يأت بـ (هو).

٣ـ هناك فرق دلالي بين (يقضي) و(يفصل)، يفصل: يعني يجعلها مختلفين وبينهما حاجز، أي افتراق بين الطائفتين.

فلمّا كان الخلاف في الملل المختلفة فهؤلاء لا يلتقون ويذهب بعضهم إلى النار وبعضهم إلى الجنة؛ ولهذا قال: (يفصل).

وأمّا (يقضي) فهي بين ملة واحدة، فقال: (يقضي بينهم)؛ أي يحكم بينهم وليس بالضرورة (يفصل)، والحكم لا يقتضي الفصل، لكنّ الفصل يقتضي الحكم؛ لأنّ فيه حكماً وفصلاً، ولهذا الاختلاف في الملل يُحتاج حكم وفصل.

٤ـ وقال: ﴿هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ هو: ضمير الفصل، وهو يقع بين المبتدأ والخبر، أو ما أصله مبتدأ وخبر، مثال: محمد هو القائل، مبتدأ وخبر، وكما في الآيات: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ﴾ [آل عمران:٦٢] يقع الضمير(هو) بين اسم إنّ وخبرها، وكذلك: ﴿فَكَانُوٓاْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [الصافات:١١٦] يقع الضمير (هو) بين اسم كان وخبرها.

والغرض البلاغي من ضمير الفصل (هو) التوكيد والقصر في الغالب ومعنى قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة:٥]؛ أي حصراً، وليس هناك مفلح غيرهم حصراً وتوكيداً، وكذلك الآية: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة:٢٥٤] لذلك ضمير الفصل يفيد في الغالب التوكيد والقصر.

حتى في تسمية ضمير الفصل قالوا: يفصل الخبر عن الصفة، وهذا أصل التسمية؛ حتى يُعلم أنّ الذي بعده خبر وليس صفة. فمثلاً في الآية: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾، يحتمل أنْ يكون (القصص) بدلاً، وفي ذلك التباس فإذا أردنا أنْ نجعل (القصص) هو الخبر وليس الصفة نقول هذا (هو القصص)، هذا أصل التسمية.

٥ـ ثم ذُكر له فوائد في الغالب وهو القصر الحقيقي أو الادعائي (تدعي أنّ فلانا شاعر مثلاً وهو ليس بشاعر)، أو التوكيد.

أمّا في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فهذا ضمير الشأن وليس ضمير الفصل.

٦ـ ضمير الفصل على الأرجح ليس له محل من الإعراب، وهوفي أشهر الأقوال حرف لا محل له من الإعراب.

السؤال الرابع :

ما الفرق بين الحكم والفصل في القرآن الكريم؟

الجواب :

١ـ الفرق بين الحكم والفصل أنّ الحكم هو القضاء والفصل أشد؛ لأنّ الفصل هو بين فريقين، ويصبح بينهما فاصلاً أوحاجزاً.

وعندما يقول في القرآن :(يفصل بينهم) تكون المسافة بينهما أبعد كأنْ يذهب أحدهم إلى الجنة والآخر إلى النار، وأمّا الحكم فلا، وقد يكون في ملة واحدة.

* شواهد قرآنية:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة:١١٣].

هؤلاء يذهبون معاً إلى جهة واحدة اليهود والنصارى كلاهما معاً، وليس أحدهما إلى الجنة والآخر إلى النار، فليس فيه فصل، فقال: (يحكم).

ـ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النحل:١٢٤].

اختلاف في ملة واحدة وهم اليهود، وكلهم يذهبون معاً إلى جهة واحدة مع بعض، فقال: (يحكم).

ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزُّمَر:٣] كلهم يذهبون إلى جهة واحدة لا جهتين. فقال: (يحكم).

ـ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحج:١٧].

هؤلاء لا يذهبون إلى جهة واحدة فهم فئات مختلفة، فقال: (يفصل).

﴿ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ ﴾ [ص:٢٢]هذا حكم قضاء فقط فقال: (احكم).

٢ـ الفصل يتضمن الحكم، أي :حكم وفصل فيكون أشد. ولذلك قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [السجدة: ٢٤ - ٢٥].

قالوا: الفصل هنا هو بين الأنبياء وأممهم، وبين المؤمنين والمشركين.

فإذن الفصل حكم، لكنْ فيه بَوْن، وكل جهة تذهب إلى مكان.

السؤال الخامس :

قال في آية الحج١٧ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ﴾ وقال في آية السجدة٢٥ : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفۡصِلُ﴾ فلماذا استعمل لفظتي ﴿ٱللَّهَ﴾ و﴿رَبَّكَ﴾؟

الجواب :

لو نظرنا إلى استعمال هاتين اللفظتين في كل من هاتين السورتين لرأينا أنه وضع كل لفظة بحسب كثرة ورودها في كل سورة:

اللفظ	الحج	السجدة
الله	٧٥ مرة	١ مرة
الرب	٨ مرات	١٠ مرات

إضافة إلى ما يقتضيه المقام من ناحية المعنى، فإنه لمّا ذكر الاختلاف في آية السجدة ﴿فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ أكّد الفصل بضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ لأنّ الأصل في الفصل أنْ يكون عند الاختلاف، فاستخدم ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ في الآية ليفيد التأكيد والاختصاص بأنه لا أحد يفصل بينهم يوم القيامة إلا الله، فجاءت كلمة ﴿هُوَ﴾ لتقطع الشك في وجود فاصل غير الله.

وعندما لم يذكر الاختلاف في سورة الحج لم يؤكده. والله أعلم.

﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي
مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۚ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ
ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ
أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الاختلاف بين الآيات ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۚ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [السجدة:٢٦] ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يس:٣١] ﴿أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾ [طه:١٢٨] ؟

الجواب :

انظر الجواب في آية طه ١٢٨.

السؤال الثاني :

ما دلالة اختلاف الفاصلة القرآنية بين قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍۚ أَفَلَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [السجدة:٢٦]

وبعدها مباشرة ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [السجدة:٢٧]؟

الجواب :

آيتان متتاليتان في سورة السجدة. قال في الأولى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ هذا يأتي عن طريق السماع، فالقرون الماضية تسمع بالأخبار، فقال: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾.

وقال في الثانية ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ﴾ هذا يُنقل مشاهدة وليس سماعاً، فقال: ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾.

فلمّا كان الأمر يأتي عن طريق السماع قال: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ ولمّا كان الأمر مشاهداً يأتي عن طريق المشاهدة قال: ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾.

السؤال الثالث :

ماذا عن استعمال القرون والقرن بعد كم الخبرية التكثيرية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ٦.

السؤال الرابع :

ما دلالة تقديم (الناس) على (الأنعام) في آية عبس ٣٢ وتقديم (الأنعام) على (الناس) في آية السجدة ٢٧؟

الجواب :

١ ـ في آية السجدة ٢٧ قدّم الأنعام على الناس، وذلك لمّا تقدّم ذكر الزرع فناسب تقديم الأنعام.

٢ ـ في آية عبس ٣٢ السياق في طعام الإنسان، فذكر طعام الإنسان من الحب والفواكه أولاً، ثم ذكر بعده طعام الأنعام ﴿وَأَبًّا﴾ وهو التبن. قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ [عبس:٢٤-٣١] فناسب تقديم الإنسان على الأنعام ههنا في آية عبس.

رابعاً ـ تناسب فواتح السجدة مع خواتيمها:

قال في أولها:

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾ [السجدة:٢-٣].

وقال في أواخرها:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [السجدة:٢٣].

١ ـ فكما آتى ربنا موسى الكتاب، فإنّ تنزيل الكتاب على رسوله محمد إنما هو من رب العالمين.

٢ ـ وقال في بداية السورة: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾. وذكر قولهم إنه افتراء.

وقال في الأواخر: ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾. أي فلا يكن عندك ريب.

٣ ـ وقال في أول السورة: ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

وقال في أواخرها: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

فكتابه هدى لقومه وللعالمين، كما أنّ كتاب موسى هدى لقومه من بني إسرائيل.

٤ ـ قال في أوائل السورة: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ١٠﴾ [السجدة: ١٠].

وقال في آخرها: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٨ قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٢٩﴾ [السجدة: ٢٨ - ٢٩].

فسألوا أولاً: هل سيعودون إلى الحياة مرة أخرى؟ ثم قالوا: متى ذلك؟

فقال في الآية الأولى: ﴿بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ﴾ فذكر أنهم كافرون بذلك اليوم.

وقال في الآية الأخيرة: ﴿قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٢٩﴾ أي لا ينفع الذين كفروا باليوم الآخر في الدنيا إيمانهم به في الآخرة.

والله أعلم.

سورة الأحزاب

أولاً ـ تناسب خواتيم السجدة مع فواتح الأحزاب:

١ ـ قال سبحانه في خاتمة السجدة:

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

وقال في أول الأحزاب:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ ﴾.

فعدم طاعة الكافرين والمنافقين إنما هو من الإعراض عنهم.

٢ ـ قال في أواخر السجدة:

﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

ولو أنهم آمنوا في الدنيا لنفعهم إيمانهم.

وقد أمر الله نبيه في الأحزاب بتقوى الله، وهي التي تنفع في الدنيا ويوم الفتح. ويوم الفتح هو يوم القيامة.

٣ ـ قال سبحانه في أواخر السجدة:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ ﴾ [السجدة:٢٢].

وقال في أول الأحزاب:

﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٢].

فذكر في آيات السجدة من أعرض عن آيات ربه.

وأمره في الأحزاب باتباع آيات ربه، وهي ما يوحى إليه منه.

جاء في (البحر المحيط): ((ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها واضحة، وهي أنه حكى عنهم أنهم يستعجلون يوم الفتح وهو الفصل بينهم وأخبر تعالى أنه يوم الفتح لا ينفعهم إيمانهم.

فأمره في أول هذه السورة بتقوى الله ونهاه عن طاعة الكفار والمنافقين فيما أرادوا به)).

ثانياً ـ هدف السورة: الاستسلام لله في المواقف الحرجة.

الأجزاء التي سبقت من القرآن الكريم من الجزء الأول إلى جزء ٢١ شملت المنهج الكامل للمسلم الذي هو مستخلف في الأرض، وكان لكل سورة هدف واضح محدد يوضّح لنا عنصراً من عناصر هذا المنهج.

أما الأجزاء القادمة في القرآن من ٢٢ إلى ٣٠ فكل مجموعة من السور تشترك في هدف محدد مجتمعة، وتتطرق كل سورة من السور إلى جانب من هذا الهدف كما سنلاحظ في السور القادمة.

ونبدأ بالجزأين ٢٢ و٢٣ من سورة الأحزاب إلى سورة ص، والواضح أنها مجتمعة تهدف إلى الدعوة إلى الاستسلام إلى الله تعالى، واسم ديننا الإسلام، وهو التسليم الكامل لله رب العالمين خالقنا، والخضوع التام للخالق عزّ وجلّ. وكل سورة في هذين الجزأين تركّز على جانب من جوانب الاستسلام لله تعالى: ونستعرض سريعاً هذه الأهداف، كما هو مبين ثم نفصّل كل سورة على حدة

الهدف	السورة
الاستسلام لله في المواقف الحرجة	سورة الأحزاب
الاستسلام لله سبيل بقاء الحضارات	سورة سبأ
الاستسلام لله هو سبيل العزة	سورة فاطر
الاستسلام لله بالإصرار على الدعوة	سورة يس
الاستسلام لله وإن لم تفهم الأمر	سورة الصّافّات
الاستسلام لله بالعودة للحق بلا عناد	سورة ص

وكأنّ الله تعالى يريدنا أن نعلم بعد أن استقرّ المنهج وثبت معنى الإيمان الذي أوضحه الله في سور القرآن في الأجزاء [١ – ٢١].

لذلك يجب علينا أن نكون خاضعين مستسلمين لله تعالى الذي شرّع هذا المنهج وارتضى هذا الدين لنا. ولنعلم أن عزّتنا هي في استسلامنا لله تعالى والخضوع التام له وفي هذا يتحقق معنى العبودية التامة لله. وكيف ذلك؟ الإيمان بالله قد يكون على هيئتين: فقد يؤمن أحدنا بالله تعالى لكن بعد أن يعلم الحكمة من كل أوامر الله ويطمئن لها عقله وقلبه فيؤمن، ومنها أن يؤمن بالله لما يرى من إبداع خلق الكون والمخلوقات من حوله، ولكنّ الإيمان الحقّ أن تؤمن وأنت لا تفهم مراد الله تعالى في أوامره ونواهيه وهذا هو الإيمان المطلق بالله، أن أؤمن بالله سواء عرفت الحكمة من الامتثال لأوامره أم لم أعرف؛ لأني على يقين أن هذا هو الحق.

والإيمان هو التصديق التام والخضوع التام لله فيما أمر وفيما نهى عنه. وإلا فكيف أكون مؤمناً إذا طالبت في كل مرة أن أعرف المقصود من أمر الله وأفهم الحكمة من وراء ذلك؟ واستسلامي لله هو الذي يعطيني العزّة في الدنيا، وهو الذي يعطيني اليقين بأني لو أخطأت لا أستكبر عن العودة للحق.

نتقل للحديث عن سورة الأحزاب، وهي سورة مدنية تحدثت عن غزوة الأحزاب أو (غزوة الخندق): ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:٢٢-٢٣]. وصورتها السورة تصويراً دقيقاً بتآلب قوى الشرّ على المؤمنين، وقد أحاط المشركون بالمسلمين من كل جانب: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب:١٠-١١]وكان موقف المسلمين حرجاً للغاية، ولكنّ هذا هو الابتلاء من الله تعالى، ولتأكيد معنى أنه لمّا استسلم المؤمنون لله تعالى في هذا الموقف رد تعالى كيد أعدائهم بارسال الملائكة والريح. وتحدثت السورة عن عدة مواقف صعبة مرّت على الرسول ﷺ وعلى المسلمين في تلك الفترة، منها:

إلغاء التبني: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾ [الأحزاب:٥].

وتطليق زيد بن حارثة لزينب بنت جحش ثم يتزوجها الرسول عليه السلام.

ثم موقف الحجاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب:٥٩]

ونقض اليهود عهدهم مع الرسول ﷺ.

ومحور هذه السورة هو الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب:٣٦]. تؤكد على معنى الاستسلام لله تعالى والامتثال لأوامره وأوامر رسوله عليه السلام بدون معرفة الحكمة من وراء ذلك، فهو الله، وطاعته لازمة واجبة و لانتجرأ بأن نطيعه في أمور ونقول له: لن أطيع في هذا الأمر إلا بعد أن أعرف الحكمة من ورائه، تخيّل هذا المعنى من رفض الاستسلام لله وإطاعته! إنْ كان البشر لا يتجرؤون أنْ يعصوا ولي الأمر أو رئيسهم في العمل وإنما ينفذون الأوامر بلا تردد فكيف بنا بأوامر خالق الخلق؟ !

ويأتي ختام السورة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب:٧٢]

عرض الله سبحانه الأمانة على السموات والأرض والجبال فرفضن حملها؛ لأنها أرادت أن تبقى مستسلمة لله بدون أن تكون مخيّرة وخافوا من حمل الأمانة، أما الإنسان فحملها؛ لأنه كان جاهلاً ثقلها والعواقب الوخيمة التي تقع على من يفرّط بها.

سميّت السورة بـ (الأحزاب): لأن غزوة الأحزاب هي رمز لأصعب موقف مرّ به الصحابة: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب:١١] بعد أن تحزّب عليهم

المشركون من كل جهة، ولكن الله ردّهم وكفى المؤمنين المستسلمين له الخاضعين له القتال.

❁❁❁❁

ثالثاً- من اللمسات البيانية في السورة:

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

وردت كلمة ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ في آية الأحزاب ٤ وكلمة ﴿سَبِيلَا﴾ في الآية ٦٧، ما دلالة اختلاف الفاصلة؟

الجواب:

١- الفاصلة ليست مرادة لذاتها، ولكنها تأتي التقاطاً، واللفظ هو المطلوب، فهي تأتي في المرتبة الثانية بعد المعنى المُراد .

٢- في الآية الرابعة من سورة الأحزاب ضحّى بالفاصلة من أجل المعنى ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾، مع أنّ جميع الآيات مطلقة في السورة.

٣- كلمة (السبيل) عندما تقف عليها تقف على السكون، والسكون فيه معنى الاستقراروالسكون. و السبيل المعروف هو الإسلام.

٤ـ وقد وردت كلمة (السبيل) مرة بالإطلاق في سورة الأحزاب ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾ [الأحزاب:٦٧] (سبيلا) بالألف واللام والإطلاق؛ والسبب أنهم في وضع اصطراخ، فهم يصطرخون في النار فحتى كلامهم عن السبيل جاء فيه صريخ وامتداد صوت فناسب المد.

في حين أنّ الآية ٤ من سورة الأحزاب ليست كذلك، وإنما هي قول الله مقرراً حقيقة عقلية مستقرة، والمقام لا يقتضي المد.

٥ـ وللعلم فإنّ عدد آيات سورة الأحزاب ٧٣ آية منها ٧٢ آية فاصلتها الألف عدا الآية ٤، وهذا يدل على أنّ الفاصلة ليست مطلوبة بذاتها.

السؤال الثاني :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾؟

الجواب :

في آية الأحزاب ٤ يقول الله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ ولم يقل مثلاً لبشرٍ أو خلقٍ أو امرأة، وإنما قال:﴿لِرَجُلٍ﴾؛ لأنّ هذه الكلمات قد تعني الرجل أو المرأة، بينما المقصود هو الرجل بذاته؛ لأنه لا يمر بحالة الحمل كالمرأة، حيث يكون في جوف المرأة حينها أكثر من قلب خلال حملها، أي قلبها وقلب جنينها، وقد تحمل بتوأم أو أكثر. والله أعلم.

السؤال الثالث :

استعمل ﴿ٱلَّٰٓـِٔي﴾ في الأحزاب ٤، والمجادلة٢، والطلاق ٤، بينما استعمل ﴿ٱلَّٰتِي﴾ في النساء٢٣، ويوسف ٥٠، فلماذا؟

الجواب :

١ ـ اللاتي: اسم موصول (جمع التي) وتكون للعاقل وغيره، وهذا اللفظ شبيه بلفظ جمع المؤنث السالم الذي يكون للعاقل وغيره، مثلا: اشتريت الكتب اللاتي كانت عند محمد، وتقول: طالبات وشجرات. و(اللاتي) مختصة بالإناث.

٢ ـ اللائي: هي جمع التي أيضاً. فتقول: عادت اللائي ذهبن. واستعمال اللائي قليل بالنسبة إلى استعمال اللاتي، واللائي قد ترد للذكور قليلا.

٣ ـ اللائي كأنها مشتقة من اللأي أو من اللأواء، وهي الشدة. وفي الحديث « **من كانت له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن كن له حجابا من النار**» و «**من صبر على لأواء المدينة..**». واللأي هو الإبطاء والاحتباس والجهد والمشقة والشدة.

٤ ـ لذلك نجد القرآن استعمل﴿ٱلَّٰٓـِٔي﴾ بالهمزة في حالتي الظهار والطلاق فقط، ولم يستعملها في غيرهما، فاستعمل الهمزة لثقلها للحالات الثقيلة النادرة، وهي حالات المفارقة والشدة والاحتباس، حيث إنّ المُظاهر والمُطلِق محتبس عن امرأته مبطىءٌ عنها، وفي ذلك ما فيه من الجهد والمشقة والشدة للطرفين ، فجمع القرآن حسن المناسبة في اللفظ والمعنى والاستعمال.

﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ٥ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ وقوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ﴾؟

الجواب :

١ـ (لا جناح عليكم) جملة اسمية، و (لا) هنا هي لا النافية للجنس على تضمن (من) الاستغراقية والمؤكِّدة ودخلت على المبتدأ والخبر، والنحاة يقولون: إنّ (لا) في النفي هي بمثابة (إنّ) في الإثبات.

ومن المسلمات الأولية في المعاني أنّ الجملة الاسمية أقوى وأثبت وأدلّ على الثبوت من الجملة الفعلية، وعليه يكون ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ مؤكّدة كونها جملة اسمية، وكونها منفية بـ (لا)، وهذا من الناحية النحوية.

٢ـ أمّا الجملة ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ﴾ فهي جملة فعلية. والجملة الاسمية أقوى وأثبت من الجملة الفعلية.

٣ـ أمّا من حيث الاستعمال القرآني، فإذا استعرضنا الآيات التي وردت فيها (ليس عليكم جناح) و(لا جناح عليكم) في القرآن نجد أنّ ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ﴾ تستعمل فيما يتعلق بالعبادات وتنظيم الأسرة وشؤونها والحقوق والواجبات الزوجية والأمور

المهمة، أمّا ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ فتستعمل فيما دون ذلك من أمور المعيشة اليومية كالبيع والشراء والتجارة وغيرها مما هو دون العبادات في الأهمية. ونورد أدناه بعض الآيات القرآنية التي جاءت فيها الجملتان:

(لا جناح. ..):

في سورة البقرة:[(١٥٨) عبادة، (٢٢٩) (٢٣٠) (٢٣٣) (٢٣٤) (٢٣٥) (٢٣٦) (٢٤٠))] وهذه الآيات كلها في الحقوق وفي شؤون الأسرة.

وكذلك في سورة الأحزاب ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ [الأحزاب:٥١].

و ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ [الأحزاب:٥٥].

(ليس عليكم جناح):

في سورة البقرة: الآية (١٩٨) هي فى الإفاضة من عرفات، وكذلك قوله تعالى ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾ [البقرة:٢٨٢].

وكذلك في سورة الأحزاب ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾[الأحزاب:٥].

﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٦) ﴾

السؤال الأول :

كيف جعل الله أزواج النبي بمنزلة أمهات المؤمنين حكماً، وما جعل النبي ﷺ بمنزلة أبيهم، حيث يقول تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن ﴾؟

الجواب :

أراد الله من أمة الرسول ﷺ أنْ يدعو أزواجه بأشرف الأسماء، وأشرف الأسماء هو(الأم)، وأشرف الأسماء للنبي ﷺ هو رسول الله لا الأب.

من جهة أخرى فإنّ الله تعالى جعلهن أمهات المؤمنين تحريماً لهن وإجلالاً وتعظيماً له عليه السلام؛ كيلا يطمع أحد في نكاحهن بعده.

ولو جُعل النبي أباً للمؤمنين أيضاً لكان أباً للمؤمنات، فلم يجعل له نكاح امرأة من المؤمنات بل يحرمن عليه، وذلك ينافي إجلاله وتعظيمه. وقد جعله الله أعظم من الأب في القرب والحرمة بقوله تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ فجعل النبي ﷺ أقرب إليهم من أنفسهم.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين الزوج والبعل؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٣٥.

❁❁❁❁

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾

السؤال الأول :

كيف قُدم النبي ﷺ على نوح في آية الأحزاب ٧؟ ولماذا ذكر بعض النبيين في الآية؟

الجواب :

١ـ هذا من باب عطف الخاص على العام؛ وذلك لبيان التفضيل والتخصيص، فلمّا كان النبي ﷺ أفضل هؤلاء المفضلين قُدم عليهم.

٢ـ وقد ذكر الله في آية الأحزاب أربعة من الأنبياء، وهؤلاء الأنبياء هم :

أ ـ نوح عليه السلام باعتباره أصلاً ثانياً للناس، حيث وُجد الخلق منه بعد الطوفان، ولم يذكر آدم عليه السلام؛ لأنّ خلقه كان للعمارة و نبوته كانت للإرشاد، بينما نوح كان مخلوقاً للنبوة وأرسل للإنذار؛ ولهذا أهلك قومه وأغرقوا.

ب ـ إبراهيم عليه السلام، فقد كان العرب يقولون بفضله ويتبعونه في بعض شعائرهم.

ج ـ موسى وعيسى عليهما السلام باعتبار وجود اليهود والنصارى فذكرهما احتجاجاً على قومهما.

السؤال الثاني :

كيف قُدم نوح عليه السلام في نظير ذلك في آية الشورى ١٣؟

الجواب :

هذه الآية سيقت لوصف دين الإسلام بالأصالة والاستقامة، كأنه قال: شرع لكم الدين الأصيل الذي بُعث عليه نوح عليه السلام في العهد القديم وبُعث عليه محمد ﷺ في العهد الحديث، وبُعث عليه من توسطهما من الأنبياء المشاهير، فكان تقديم نوح عليه السلام أنسب.

من جهة أخرى، أعاد في نفس آية الأحزاب (٧) قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ للتأكيد ووصف الميثاق المذكور بالجلالة والعظم.

وقيل إنّ المراد بالميثاق الغليظ اليمين بالله تعالى على الوفاء بما حملوا من إبلاغ الرسالة لأقوامهم، فلا إعادة لاختلاف دلالة الميثاقين.

السؤال الثالث :

مادلالة التقديم في آية النساء ٦٩ والأحزاب ٧؟

الجواب :

١ ـ في آية النساء٦٩: قُدّم الله على الرسول، ثم قدّم السعداء من الخلق بحسب تفاضلهم، فبدأ بالأفضلين وهم الأنبياء وهم أقل الخلق، ثم بالصديقين وهم أكثر، ثم بالشهداء ثم بالصالحين، فهو تدرج من القلة إلى الكثرة ومن الأفضل إلى الفاضل، ولا شك أنّ أفضل الخلق هم أقل الخلق إذ كلما ترقى الناس في الفضل قلّ صنفهم.

٢ ـ في آية الأحزاب ٧ بدأ بالرسول؛ لأنه أفضلهم ﷺ.

❁❁❁❁

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ ﴾

السؤال الأول :

قال تعالى في الآية ﴿وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ﴾ ما المقصود بكلمة: لم تروها؟

الجواب :

في سورة الأحزاب قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ ﴾ [الأحزاب:٩].

﴿ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ ﴾ جنود تراها العين: قريش ومن جاء معهم من الأحزاب. وكذلك الريح وهي من جنود الله، وقد رأيتم فعلها أيضاً.

وهناك ﴿وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾، وهذه الجنود منها: التخذيل الذي حدث والملائكة التي أدخلت الرعب في قلوب هؤلاء الناس، والخلاف الذي وقع بينهم (نبقى أو نمضي)، كل هذا هو من جنود الله غير المرئية.

فإذن لا يتوقع المسلم أنّ الله سبحانه وتعالى دائماً يرسل جنداً مرئية؛ لأنّ الملائكة شاهدها بعضهم في القتال وسمعها بعضهم. وهناك جند لم يروها ولم تقع أعينهم عليها سواء من الملائكة أو من غير الملائكة.

المهم أنْ تكون واثقاً بنصر الله سبحانه وتعالى، وأنه تعالى له جنود يسخّرها ليكونوا نصراً لدينه.

❁❁❁❁

﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

لماذا جاءت كلمة ﴿أَسْفَلَ﴾ منصوبة في قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأحزاب:١٠]؟

الجواب :

أسفلَ مجرورة، وعلامة جرها الفتحة؛ لأنها ممنوعة من الصرف، ومثلها أصفر وأخضر وأحمر.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [النساء:٨٦] (بأحسنَ) ليست منصوبة، وعلامة جرها الفتحة لأنها ممنوعة من الصرف، حسب القاعدة النحوية: [وجُرّ بالفتحة ما لا ينصرف].

أحسن: اسم تفضيل على وزن أفعل ، والقاعدة تقول: إنّ الوصفية إذا كانت على وزن (أفعل) تمنع من الصرف ما لم تؤنّث بالتاء.

السؤال الثاني :

لماذا مد كلمة ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾ وأطلقها؟

الجواب :

مد (الظنونا) وأطلقها؛ وذلك لأنهم ظنوا ظنوناً كثيرة مختلفة فأطلقها في الصوت مناسبة لتعددها. والمؤمنون ههنا في ضيق شديد فغرتهم الظنون وشرّقوا وغرّبوا بها فأطلق الصوت لإطلاق الظنون. هذا علاوة على رعاية الفاصلة.

كذلك لم يقل: (ظنونا) وهي مطلقة أصلاً؟ بل قال: ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾؛ لأنها معلومة للمؤمنين ومعلومة لله سبحانه، فهي معارف لا نكرات، فناسب ذلك المد والتعريف.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين الفعل ظن والفعل حسب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٥٤.

❁❁❁❁

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين العورة والسوءة؟

الجواب :

العورة: هي كل شيء تستره عن الناس لجماله، ومنها ستر البيت بسياج عالٍ؛ حتى لا يرى الناس فيه جمال البيت وجمال من فيه.

السوءة: هي كل شيء تستره عن الناس لقبحه.

السؤال الثاني:

قوله تعالى﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ ما الفرق بين (ما) و (لا)؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ٢.

❁❁❁❁

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين الموت والقتل في الآية ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [الأحزاب:١٦]؟

الجواب:

الموت نقيض الحياة. وعندما نقول: قتله، يعني: أماته بضرب أو حجر أو سُمّ، يعني: بفعل فيه يؤدي إلى أنْ يموت.

الموت: أنْ يموت وحده وتخرج روحه هكذا، أمّا القتل: فيكون بفعل فاعل.

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال (قد) في قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الأحزاب:١٨] في سورة الأحزاب؟

الجواب :

نحن عُلّمنا بشكل موجز أنّ (قد) إذا دخلت على الفعل الماضي تفيد التحقيق (فقد جاء) محققاً، وإذا دخلت على الفعل المضارع تفيد التقليل (قد يأتي زيد) أو الشك. وهذا ليس على إطلاقه، وإنما السياق يتحكم في (قد) ومن الممكن أنْ تأتي (قد) للتكثير.

و عندما يقول الباري عز وجل: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ الرسول عليه السلام كان يقلّب وجهه في السماء، فهل ﴿قَدْ نَرَىٰ﴾ تعني أنّ الله تعالى محتمل أنْ يراه؟ أو كثيراً ما كان يرى تقلب وجه النبي في السماء؟

في لغة العرب نجد أن ﴿قَدْ﴾ يمكن أنْ تستعمل في الكثرة، وفي هذا المعنى السياق يضبطها.

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

السؤال الأول :

هل كلمة (الأسوة) مذكر أم مؤنث؟ ولماذا أنّثها في آية الممتحنة ٤ وذكّرها في آية الممتحنة ٦ والأحزاب ٢١؟

الجواب :

١ـ الأسوة: تطلق على الخصلة أو الصفة التي يؤتسى بها، وهي هنا بمعنى المؤنث. وقد تطلق على الشخص المتأسى به، وهنا بمعنى المذكر.

والراجح في آية الممتحنة ٤ أنه أُريد بها الخصلة أو الصفة فأنّث، أمّا في الآيتين الأخريين [الممتحنة ٦ والأحزاب ٢١] فيُراد بها الشخص المتأسى به، ولم يذكر الخصلة فذكّر الفعل.

٢ ـ الأمور اللغوية والبلاغية :

أـ من الناحية النحوية: عندما تكون الفاصلة بين الفعل والفاعل، أو إذا كثرت الفواصل، فالتذكير أفضل.

ب ـ ومن الناحية البلاغية: التذكير في العبادات أفضل وأهم من التأنيث كما جاء في مريم ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾؛ لأنّ الذين كملوا في التذكير أكثر.

وكذلك من الناحية البلاغية عندما يتحدث عن عبادة الملائكة يذكّر.

* شواهد قرآنية:

في الممتحنة ٤ توجد فاصلة بين الفعل والفاعل، فأنث ﴿كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾ والفاصل﴿لَكُمْ﴾.

وفي الممتحنة ٦ يوجد أكثر من فاصل بين الفعل والفاعل فذكّر ﴿كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ﴾، وهذه الفواصل هي: ﴿لَكُمْ﴾ ﴿فِيهِمْ﴾.

وفي الأحزاب ٢١: يوجد أكثر من فاصل بين الفعل والفاعل فذكّر ﴿كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ﴾ والفواصل هي﴿لَكُمْ﴾ ﴿فِي رَسُولِ اللَّهِ﴾.

السؤال الثاني:

نلاحظ أنه أنّث في الفعل (كانت) في الممتحنة ٤، وذكّر(كان) في الممتحنة ٦ والأحزاب ٢١، فلماذا أيضاً؟

الجواب:

أي العبادات أكثر في هذه الآيات؟

في الممتحنة ٤ كانت الأسوة في القول في أمر واحد إلا ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ والاستثناء هو من قول إبراهيم. وهنا جاء بـ﴿قَدْ﴾ وأنّث الفعل.

في الممتحنة ٦ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ هذه عامة وهي أهم؛ ولذلك أكّدها باللام ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ لذا عندما اتسعت العبادة ذكّر.

في آية الأحزاب ٢١ الآية عامة، ولم يخصص بشيء؛ ولهذا ذكّر.

السؤال الثالث :

لماذا قدّم الأسوة في الآية الرابعة من الممتحنة على المؤتسى به وأخّرها في الآيتين الأُخريين؟

الجواب:

قدّم الأسوة في الآية الرابعة؛ لأنّ الكلام يدور عليها، وقد بينها بقوله: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ﴾ فكانت الخصلة محط الاهتمام.

وأمّا في الآيتين الأخريين فلم يذكر الخصلة، وإنما ذكر المؤتسى به فقط فقدّمه على الأسوة؛ لأنّ المؤتسى به هو محط الاهتمام.

وأكّد باللام في الممتحنة ٦ وآية الأحزاب فقال: ﴿لَقَدْ﴾ لأنه أطلق التأسي ليشمل كل الأمور الحسنة أكثر مما أكّد في آية الممتحنة ٤، فجاء باللام إضافة إلى ﴿قَدْ﴾.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب:٢٤]ما دلالة استخدام كان بصيغة الماضي؟

الجواب :

١ـ لفظة (كان) بحد ذاتها فيها كلام عند النحاة، وفيها معانٍ وفيها بحث مخصوص. وهي فعل لكنْ له دلالاته الخاصة.

٢ـ لدينا: كان الاستمرارية بمعنى: لا يزال ولم يزل.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ أي لا يزال، فهذه صفة مستمرة.

ـ ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء:٥٣]كان ولا يزال.

ـ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب:٢٧]معناه: مستمر.

ـ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف:٥٤]مستمر.

ـ ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء:١١]مستمر.

٣ـ (كان) فعل ماضٍ لكن له دلالات، (ليس) فعل ماضٍ وتقبل علامات الفعل الماضي وتقبل بالتاء، والتاء من علامات الفعل الماضي، والأصل في ليس أنْ تقال للحال (لست مسافراً)، وكما في الآية: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هود:٨] فبعض الأفعال له خصائص معينة وله بحوث خاصة عند النحاة.

٤ـ (كان) قد تكون للحال.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [النمل:٢٠]هذا الآن.

ـ ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يس:٧٠]الآن، وهذه دلالة على الحال.

ـ ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠] الآن وهذه دلالة على الحال.

٥ـ (كان) قد تكون للاستقبال، نحو: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإنسان:٧].

٦ـ (كان) فعل ماضٍ من حيث الإعراب النحوي، لكنْ من حيث الدلالة الزمن مختلف.

٧ـ عادة تكون هناك قرينة في الآية تدلنا على معنى معين.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ هذه مطلقة؛ لأنّ صفات الله تعالى ثابتة دائماً.

ـ ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾ [الإنسان:٥] بمعنى صار.

ـ ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ [النبأ: ١٩ - ٢٠] بمعنى: صار وتحوّل.

٨ـ (كان) قد تكون فعلا ماضيا تاما بمعنى (وُجِد) مثل قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾ [مريم:٢٩]هل كان في المهد صبياً؟ هو الآن في المهد بحيث أتت به قومها تحمله، بمعنى من وُجِد في المهد صبياً. هذا فعل تام أو يدل على الحال.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة:٢٨٠]يعني إنْ وُجِد، هو مدين وليس أنه كان ذا عسرة والآن صار غنياً، أي بمعنى: وجد ذو عسرة.

٩ـ إذن الفعل (كان) متعدد الدلالة في التراكيب المستخدم فيها.

السؤال الثاني :

كيف علّق الله تعالى عذاب المنافقين بمشيئته، وعذابهم متيقن مقطوع به لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء:١٤٥] ؟

الجواب :

المعنى إنْ شاء تعذيبهم بإماتتهم على النفاق، وقيل: معناه: إنْ شاء ذلك وقد شاءه.

السؤال الثالث :

هناك عدة اختلافات بين الآيتين (٢٣ـ٢٤) و (٧٢ـ٧٣) في سورة الأحزاب، فما تلك الاختلافات في الصيغة؟

الجواب :

هناك عدة اختلافات بين الآيتين المذكورتين في سورة الأحزاب نلخصها في الجدول التالي :

الرقم	الآيات ٢٣ ـ٢٤	الآيات ٧٢ـ ٧٣
١	﴿ وَيُعَذِّبَ ﴾	﴿ لِّيُعَذِّبَ ﴾
٢	﴿ لِّيَجْزِىَ ﴾	﴿ يَتُوبَ ﴾
٣	قدّم جزاء المؤمنين وأخّر عذاب المنافقين	قدّم عذاب المنافقين وأخّر التوبة للمؤمنين
٤	ذكر المشيئة ﴿إِن شَآءَ﴾	لم يذكر المشيئة
٥	ذكر احتمال التوبة	لم يذكر احتمال التوبة

٦	ذكر المؤمنين والمنافقين ذكوراً	ذكر المؤمنين والمنافقين والمشركين ذكوراً وإناثاً

وأما سبب ذلك فهو السياق بشكل أساسي. ونلخص الأمور حسب التالي :

الآيات: ٢٣ ـ ٢٤ :

١ ـ السياق في المؤمنين الصادقين؛ ولذا قدّمهم وأكرمهم وأخّر المنافقين.

٢ ـ الآيات جاءت بعد وقعة الأحزاب؛ لذا فُتِحَ مجالُ التوبة والتشجيع للمنافقين للدخول في الإيمان والإسلام؛ ولذا جاءت ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾لأنهم ما زالوا في الدنيا.

٣ ـ حيث إنّ وقعة الأحزاب هي للرجال؛ لذا لم يرد ذكرٌ للنساء، فذكر ما يخص الرجال ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ ولم يقل الصادقات؛ لأنّ الموطن يقتضي ذلك.

٤ ـ أكّد المغفرة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ليفتح للمنافقين باب التوبة والدخول في الإسلام؛ حتى يغفر الله للعبد كل ما تقدم. إضافة إلى أنّ توكيد المشيئة واحتمال التوبة يقتضي توكيد المغفرة.

٥ ـ حيث إنّ سياق الآيات في المؤمنين الصادقين، فقد أكّد جزاءهم باللام فقال: ﴿لِّيَجْزِيَ﴾بينما لم يؤكد عذاب المنافقين، فقال: ﴿وَيُعَذِّبُ﴾بدون لام التأكيد؛ لأنه علقها على المشيئة أو التوبة، وهذا لا يناسب تأكيد العذاب.

الآيات ٧٢ ـ ٧٣ :

١ ـ السياق في هذه الآيات عن المنافقين، وليس عن المؤمنين؛ لذا قدّم عذابهم وأكّده، ولم يذكر المؤمنين.

٢ ـ الآيات هنا في الآخرة، فقد سبقها﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ فلا يوجد هنا مجال للتوبة أو المشيئة، ولم يفتح لهم باب الأمل في التوبة ولم يعلقها بالمشيئة.

٣ ـ ذكرت الآية المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات؛ لأنّ العذاب في الآخرة يطال الجميع ذكوراً وإناثاً.

٤ ـ قال في آخر الآيات: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ بدون توكيد؛ لأنه لا يوجد هنا احتمال التوبة، فلم يحتج إلى توكيد المغفرة.

٥ ـ السياق في المنافقين، وهو في الآخرة، فأكّد عذاب المنافقين حيث لا يوجد هناك توبة، وترك فعل التوبة دون توكيد للمؤمنين (ويتوب)؛ لأن ذلك تابع له سبحانه.

❋❋❋❋

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾

السؤال الأول :

لماذا قدّم القوة على العزة في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾؟

الجواب :

قدّم القوة على العزة؛ لأنه قوي فعزّ؛ أي غلب، فالقوة أولاً.

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة تقديم وتأخير كلمة (فريقاً) في قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ في سورة الأحزاب؟

الجواب :

١ـ حالة القتل التي وردت في هذه الآية هي أغرب حالات القتل وأندرها، والإنسان يدافع عادة عن نفسه، عن ماله، عن عرضه، عن داره عن أهله، عن أرضه، فإذا اجتمعت كلها يدافع عن كل شيء. فكيف إذا جاء أحدهم وقال لك: أعطني سيفك لأقتلك وآخذ مالك وأرضك وأموالك وكل ما تملك؟ هذه تعتبر من أغرب حالات القتل وأندرها. فما بالك إذا كان هذا الشخص في حصن فقيل له: انزل حتى أقتلك؟

هذه حالة أعجب!

٢ـ والحالة في الآية المذكورة تقول: إنه أنزلهم من الحصن وألقوا أسلحتهم وأخذ أراضيهم وديارهم وأموالهم وأولادهم. فهل هناك أعجب وأغرب من هذه الحالة؟ كانوا ٦٠٠ رجل في الحصن فألقوا أسلحتهم من غير قتال، وكانوا في حالة رعب عجيبة، فسلّموا كل ما عندهم ونزلوا من حصونهم، وأُخذ أرضهم وديارهم وأموالهم ، وأُسرت نساؤهم وذريتهم فقدّم (فريقاً) في حالة القتل؛ لأنها حالة عجيبة من الرعب

والذعر ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ وصياصيهم بمعنى حصونهم.

٣ـ أمّا مع الأسر فلا داعي هنا لتقديم (فريقاً) على تأسرون؛ لأنه ليس هناك مقاتلة وإنما أسروا النساء والأطفال، فهذا الفريق الثاني ليس بينهم مقاتل أصلاً وهذه الحالة لا تستدعي التقديم. أمّا الأولى فهي أعجب وأندر وأغرب حالات القتل.

السؤال الثاني :

ما دلالة استخدام صيغة المضارع في الفعلين (تقتلون وتأسرون) بينما استخدمت باقي الأفعال في الآية بصيغة الماضي (أنزل، قذف)؟

الجواب :

١ـ هذا يُسمّى حكاية الحال. بمعنى إذا كان الحدث ماضياً وكان مهماً فإنّ العرب تأتي بصيغة المضارع حتى تجعل الحدث وكأنه شاخص ومُشاهد أمامك.

والمضارع يدل على الحال والاستقبال، والإنسان يتفاعل عادة مع الحدث الذي يشاهده أكثر من الحدث الذي لم يره أو الذي وقع منذ زمن بعيد، فالعرب تحول صيغة الأحداث إلى صيغة مضارع وإنْ كانت ماضية.

٢ـ وهذا الأمر ورد في القرآن كثيراً، كما في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[البقرة:٩١] وقتل الأنبياء حالة مستغربة .

٣ـ وفي القرآن يأتي بصيغة المضارع مع الأشياء التي تدل على الحركة والحيوية والمهمة. وقد جاء في قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩﴾ [فاطر:٩].

فقد جاء الفعل ﴿أَرۡسَلَ﴾، بصيغة الماضي ثم جاء الفعل ﴿فَتُثِيرُ﴾ بصيغة المضارع، ثم جاء الفعل ﴿فَسُقۡنَٰهُ﴾ بصيغة الماضي، مع أن السّوق يأتي بعد الإثارة، والأحداث كلها ماضية، لكنّ الإثارة هي في مشهد الحركة فجعلها بصيغة المضارع ليدل على الحضور.

وهذا الأمر نجده أيضاً في السيرة، ففيما روي عن الصحابي الذي قتل أبا رافع اليهودي الذي آذى الرسول عليه السلام قال يصف ما حصل شعراً:

فناديت أبا رافع فقال نعم فأهويت عليه بالسيف فأضربه وأنا دهش

فجعل صيغة المضارع للمشهد الأبرز وهو الضرب، فكأن السامع يرى الحادثة أمامه ويرى الصحابي وهو يضربه.

السؤال الثالث:

ما كلمات منظومة الحصن والصياصي؟

الجواب:

انظر الجواب في آية النساء ٧٨.

﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما إعراب كلمة (أرضهم وديارهم) في الآية ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب:٢٧]؟

الجواب :

الفعل (أورث) ينصب مفعولين، وعليه ضمير الكاف في (أورثكم) في محل نصب مفعول به أول، و(أرضهم) مفعول به ثان، و(ديارهم) معطوف منصوب.

❁❁❁❁

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين (يا أيها النبي) و(يا أيها الرسول)؟

الجواب :

١ـ الرسول من الرسالة والتبليغ حتى لو لم يكن نبياً: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [مريم:١٩]الرسول معه رسالة تبيلغ، والنبي أعم فقد يكون رسولاً وقد يكون لنفسه، لكن ليس مكلفاً بتبليغ دعوة إلى الآخرين.

٢ـ كلمة النبي أعم، وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً. وقد لا يكون مكلفاً بالتبليغ مثل يعقوب عليه السلام، وهو نبي، وإسحق نبي، والمكلف بالرسالة والتبليغ هو رسول، وغير المكلف هو نبي. والنبي قد يكون رسولاً وقد يكون غير رسول.

النبي أعم، وقد يكون رسولاً، وقد يستعمل في جانب الرسالة والدعوة والتبليغ، وقد يستعمل في جانب آخر في الجانب الشخصي في غير التبليغ.

٣ـ في القرآن: عندما يقول: (يا أيها الرسول) ينظر فيها إلى جانب التبليغ، نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة:٦٧] و ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ [المائدة:٤١].

٤ـ النبي عامة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِ﴾ [الأنفال:٦٥]﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾ [الأنفال:٧٠]﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾[التوبة:٧٣]﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ [الأحزاب:٢٨]﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم:١]هذا شيء شخصي بينه وبين أزواجه.

إذن النبي أعم. والقرآن يستخدم (يا أيها الرسول) إذا كان يتكلم في أمر الرسالة والتبليغ، ويستخدم لفظة النبي بشكل عام.

السؤال الثاني :

لسائل أنْ يسأل: ما سر هذه النقلة الكبيرة من الكلام من حرب الأحزاب وحرب بني قريظة إلى هذا التوجيه لزوجاته ﷺ؟

الجواب :

لأنّ مسألة الأحزاب انتهت بقوله تعالى﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا﴾فربما طلبت زوجات الرسول ﷺ أن يُمتعهن وينفق عليهن مما فتح الله عليه من خيرات، فجاءت هذه الآية. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استخدام المذكر أولاً ثم المؤنث في قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الأحزاب:٣٠-٣١] ثم لماذا الخطاب مرة لجماعة الإناث ثم جماعة الذكور؟

الجواب :

١ـ من المعلوم أنّ (ما) و (مَن) لفظهما مذكر ومعناهما يختلف، وقد يدل على واحد أو أكثر، مذكراً أو مؤنثاً. (مَن) و(ما) تسمى من الأسماء المشتركة، وتشترك في العدد والجنس سواء كانتا اسم استفهام أو اسم موصول، إذاً من حيث اللغة يجوز.

والعرب في الغالب عندما تأتي (مَن) يبدؤون بذكر ما يدل على لفظها ثم يبينون المعنى، ولفظها مفرد مذكر فيأتي أول مرة بالمفرد المذكر ثم يوضح المعنى.

* شواهد قرآنية:

- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة:٨].

(من يقول) جاءت للمفرد المذكر و﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ (هم) جمع ليبين المعنى، بدأ بالمفرد المذكر على اللفظ، ثم بيّن معناه.

- ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التوبة:٤٩].

- ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٩٩﴾ [التوبة:٩٩]

- ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٧٥﴾ [التوبة:٧٥].

وهذا أمر جارٍ وهو الأفصح في اللغة، والأكثر والأشيع أنْ تبدأ بالمفرد المذكر، ثم تبين المعنى.

٢- إذا طبقنا هذا على آية سورة الأحزاب: ﴿مَن يَأْتِ﴾ و﴿وَمَن يَقْنُتْ﴾ مفرد مذكر، ثم بين المعنى بـ﴿وَتَعْمَلْ﴾.

والقاعدة النحوية هو أنّ الفعل يؤنّث ويذّكر، و الخطاب الموجه لنساء النبي عليه السلام في قوله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ هذا خطاب خاص بهن، فجاء بصيغة خطاب الإناث.

أمّا في الآية ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ هذا الخطاب يشمل كل أهل بيت النبوة وفيهم الإناث والذكور؛ لذا اقتضى أن يكون الخطاب بصيغة المذكر.

السؤال الثاني :

في الآية ٣٠: حين ذكر الفاحشة ومضاعفة العذاب جاء الفعل ﴿يُضَٰعَفْ﴾ مبنياً للمجهول.

أمّا في الآية ٣١: عند الكلام عن القنوت لله قال: ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا﴾ فجاء الفعل مسنداً إلى الحق سبحانه، فلماذا؟

الجواب :

الحق سبحانه في القرآن الكريم يسند فعل الخير إليه، أمّا في مقام فعل العذاب أو الشر فلا يسنده إلى نفسه. وهو خط واضح في جميع القرآن الكريم.

السؤال الثالث :

ما دلالة تأنيث الفعل في قوله تعالى: ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ راعى المعنى، مع أنه لغة يجوز أنْ يقول: (ومن يقنت منكن لله ورسوله ويعمل صالحاً نؤتها أجرها) هنا يكون قد راعى اللفظ فقط.

لغة العرب تراعي لفظ (من) أولاً ثم تعكف عليه بمراعاة المعنى؛ لأنّ اللفظ هو الظاهر، والمعنى يأتي بعد ذلك، فهي أولاً تراعي اللفظ ثم تعلّق عليه بمراعاة المعنى. ولو عكس لاعترضت العرب وقالوا: هذا ليس من كلامنا.

٢ـ و خمسة من القرّاء السبعة أي أكثر القبائل العربية وحتى لغة قريش قرؤا (من يقنت - وتعمل).

٣ـ عندما ننظر﴿وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا﴾ هذا التأنيث إذا تم تذكيره قد يُلبس؛ لأن قبله ﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ في الآية ﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا﴾ وكأن العمل يعود على الرسول ﷺ، فتفادياً لمثل هذا اللبس الذي قد يحدث قرأ الجمهور ﴿وَتَعۡمَلۡ﴾ وليس هذا هو السبب لكنْ أيضاً روعي اللفظ ثم المعنى، ولكنْ لمّا روعي ابتعد هذا اللبس.

٤ـ الواو في ﴿وَتَعۡمَلۡ﴾ عاطفة على ﴿وَمَن يَقۡنُتۡ﴾ ولذلك جزم.

❁❁❁❁

﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾

السؤال الأول :

ما المقصود بكلمة (أهل) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ ؟

الجواب :

يستعمل القرآن الكريم كلمة (أهل) للأزواج، وهذه الآية ليست الوحيدة في القرآن التي وردت فيها كلمة أهل. فقد جاء في قوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ في قصة إبراهيم عليه السلام، وفي قصة امرأة العزيز ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾وفي قصة موسى عليه السلام ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾. إذن (أهل) هي الأزواج، كما وصفها القرآن وفي اللغة أيضاً.

السؤال الثاني :

المطلوب تسليط الضوء على لفظ (الجاهلية الأولى) في الآية: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣]وهل هناك ما يسمى بجاهلية أخرى غير هذه الأولى؟ وكيف كانت تتبرج النساء في الجاهلية الأولى؟

الجواب :

المفسرون ذكروا أيضاً عدة جاهليات، وهي ليست واحدة. وأمّا المقصود بالجاهلية الأولى فهناك أكثر من رأي. قسم قالوا: في زمن ما بين نوح وإدريس، وقالوا: كان لهم عيد وكان الرجال يتبرجون للنساء والنساء تتبرج للرجال، وكان هذا في يوم العيد، فظهرت فيهم الفاحشة.

وقسم قالوا: في زمن سليمان وداود حيث كانت النساء تلبس قميصاً لا جوانب فيه وغير مخيط الجانبين فيظهر ما يظهر وهذه قديمة من زمن داوود وسليمان. وقسم قال:

الجاهلية الأولى هي جاهلية الكفر قبل الإسلام والجاهلية الأخرى هي جاهلية الفسوق.

و ما يحدث الآن هو جاهلية جديدة مستحدثة، وما نشاهده الآن ليس إسلاماً، لكن هذه جاهلية مستحدثة حصلت في العصر الحديث، و حصل مثلها في عصر الإسلام، وفي مختلف العصور لو حصلت فهي جاهلية.

الخطاب في الآية لنساء النبي، والتبرج للنساء. إذن الجاهلية الأولى قبل الإسلام، وكل ما يحدث في الإسلام من أمور مخالفة هي جاهلية جديدة.

❁❁❁❁

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما الحكمة من ذكر المسلمات والمؤمنات في الآية رغم أنّ ذكر المسلمين والمؤمنين يشمل الجميع؟

الجواب :

١ـ في سبب النزول: أنّ أم سلمة رضي الله عنها قالت للرسول ﷺ: ما لنا لا نُذكر في القرآن كما يُذكر الرجال؟ فنزلت الآية، فهي إجابة من الله تعالى لها.

٢ـ السياق في الآيات [٢٨ـ ٣٤] من سورة الأحزاب هو في ذكر الإناث ونساء النبي عليه السلام ونساء المؤمنين، فناسب ذلك.

قال تعالى :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾[الأحزاب: ٢٨ - ٣٤].

فالسياق في ذكر الإناث والنساء، وهن نساء النبي ونساء المؤمنين.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين كلمة ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ و ﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ في آيات الحديد ١٨ والأحزاب ٣٥ ويوسف ٨٨؟

الجواب:

انظر الجواب في آية يوسف ٨٨.

❁❁❁❁

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

يذكر عقد الزواج بالنكاح في القرآن، فما الفرق بين النكاح والزواج؟

الجواب:

١ـ ورد في القرآن في هذه الآية لفظة: ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ .

الزواج لغة: هو زوّجه؛ أي قرنه به، وزوج الرجل هو قرينه، وأمّا النكاح فأصله العقد، أي عقد الزواج ثم استعير للجماع بدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [الأحزاب:٤٩] فالنكاح هو العقد قبل الدخول وهذا هو الأصل، لكنه استعير للدخول أي لعملية الجماع نفسها.

٢ـ العقد في الزواج هو النكاح. نقول: عقد النكاح، ومن حيث اللغة جائز أنْ يقال: تزوجت ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧] يعني أصبحت زوجة له.

٣ـ كلمة (الزواج) تدل على الاقتران وكلمة (النكاح) تدل على العقد ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ۝٥٨﴾ [ص:٥٨]﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٢٢﴾ [الصافات:٢٢] وكلمة الزواج تدل على الاقتران لكنْ فيها عموم وشمول، وأمّا كلمة النكاح ففيها خصوصية العلاقة بين الرجل والمرأة، والزواج أعم.

٤ـ والملاحظ أيضاً في استعمال القرآن أنه لا يستعمل في الزواج مع الحور العين الفعل (زوّج) متعدياً إلى مفعولين، وإنما يقول: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ وإنما في زواج الدنيا نقول: زوّجته فلانة، كما في قوله تعالى: ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ متعدٍ إلى مفعولين (الكاف والهاء)، أمّا في الحور العين فما قال: نزوجهم حوراً عيناً، وإنما قال: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾.

الاستعمال القرآني في الحياة الدنيا يستعمل الفعل (زوّج) متعدياً إلى مفعولين، وفي الآخرة يستعمله متعدياً لمفعول به واحد ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٥٤﴾ يعني قرنّاهم بحور عين.

السؤال الثاني :

ما اللمسة البيانية في هذه الآية، مع أنّ الرسول عليه السلام من ضمن من قال تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب:٣٩]؟ وما المقصود بالخشية؟

الجواب :

١ـ جملة (تخشى الناس) أي تستحي من اعتراضهم وليس الخوف، فقد كان في المجتمع الجاهلي أمراً كبير أنْ يتزوج الرجل ممن كانت زوجة ابنه بالتبني. وزيد كان ابن

الرسول بالتبني، ثم أنزل تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾[الأحزاب:٤٠]، وقال: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٥]، فكيف يتزوج المرء زوجة ابنه؟! هذا الأمر يعتبرونه عندهم في المجتمع الجاهلي كبيرة وعندهم أنّ امرأة المتبنى لا يمكن أنْ تتزوجها. وإلغاء التبني وإلغاء ما يتبعه يجب أنْ يصير حكماً شرعياً.

٢ـ الأمر من زواج النبي ﷺ بزينب بعدما يطلقها زيد دلالة على القضاء التام على التبني وعلى ما يتبعه من أمور، وهذا أمر الرسول سيقوم به. فلذلك قال: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ أي: يستحي؛ لأنه كيف يفعل هذا الفعل والناس أطبقوا على أنّ هذا أمر مستنكر في عقولهم، لكنْ: ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ هذا أمر وحكم شرعي ينبغي أنْ يقوم به هو.

٣ـ ربما يفهم أحدهم الآية ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ أنّ الرسول ﷺ كان يحب زينب في قرارة نفسه ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ ؟

والرسول ﷺ يقول لزيد: لا تطلقها ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ وقال: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ ربنا سبحانه وتعالى أوحى إلى الرسول أنّ زيداً سيطلق زوجته زينب بنت جحش فكيف يقول له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ إذا كان يريدها؟ كان يمكن أنْ يقول له طلقها! إنما هذا تشريع.

٤ـ هذه الآية خاصة بإلغاء التبني، والدلالة على ذلك أنّ الرسول ﷺ يتزوج زوجة ابنه بالتبني ، وهذا الأمر كان كبيراً عند العرب في الجاهلية.

٥- قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾ يعني أنّ الحكم هو إلغاء التبني وما يتبعه من أمور.وهو أمر وحكم من الله، والرسول مأمور بتنفيذه، لذلك أمره الله عزوجل أنْ يجعل الخشية لله وحده ويطبق الأمر الإلهي.

٦- في قوله تعالى: ﴿لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا﴾ فيه رد كامل على ما قيل في حق الرسول ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ﴾ فقد أبدى الله ذلك وهو الحكم بإلغاء التبني وما يتبعه من أمور.

وكأنّ الله عز وجل يبيّن فيها زيادة تبرئة للنبي ﷺ من الشبهات أنّ الله يريد إنهاء التبني، وأنّ هذا الأمر شاق جداً حتى عليك أنت يا رسول الله فإذا أنت تخشى الناس أنْ تواجه بهذا الأمر فكيف بالآخرين؟!.

الله تعالى يبين للناس جميعاً أنّ هذا الأمر ثقيل حتى على رسول الله فلو لم يفعله ما كان لأحد أنْ يفعله، وهذا فيه زيادة تبرئة وزيادة تأكيد على أنّ الرسول عليه السلام إنما فعله لأنه ملزم أن يفعله.

السؤال الثالث :

ما دلالة كتابة كلمة ﴿لِكَيۡ لَا﴾ منفصلة مرة و ﴿لِّكَيۡلَا﴾ موصولة مرة أخرى؟

الجواب :

كتبت (لكي لا) منفصلة؛ لأنه لا يحلّ الزواج بامرأة أخرى إلا بعد انفصالها عن زوجها الأول وقضاء العدّة، فلا يصح إذن الزواج بها إلا بعد الانفصال، فجاء رسم (لكي لا) منفصلاً.

لمزيد من المعلومات انظر الجواب في آية آل عمران ١٥٣.

❁❁❁❁

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الذكر والتسبيح؟

الجواب :

التسبيح هو تنزيه الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله عما لا يليق به ويحتمل أنْ يكون باللسان وأنْ يكون بالاعتقاد.

وأمّا الذكر فهو عبارة عن وصف الله تعالى بصفات الجلال والكبرياء ولا شك أنّ النفي مقدم على الإثبات.

السؤال الثاني :

لماذا قدّم الذكر على التسبيح؟

الجواب :

قدّم الذكر على التسبيح للأمور التالية :

١ـ الذكر أعم من التسبيح، والتسبيح أخص.

لذلك لم يحدد وقتاً للذكر في آيتي [الأحزاب٤١ وآل عمران ٤١]، بينما خصّص مع التسبيح في العشي والإبكار؛ لأنّ التسبيح أخص.

٢ـ التسبيح ينجي من الكرب والهم والغم كما ورد في آية الصافات ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الصافات:١٤٣-١٤٤].

وقال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨].

وقال في آية الحجر: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الحجر:٩٧-٩٨].

وحالة موسى وهارون على رسولنا وعليهما أفضل الصلاة السلام في خوف من فرعون، والتسبيح ينجي من الكرب والهم والغم والخوف ولذلك تم تقديم الذكر على التسبيح.

السؤال الثالث :

ما دلالة الأفعال: سبّح ـ يسبّح ـ يسبحون، وكذلك ما معنى (سبحان)؟

الجواب :

١ـ سبحان: هو اسم مصدر، واسم المصدر يكون خالياً من بعض حروف الفعل الأصلي دون تعويض.

* أمثلة :

سبح تسبيحاً، ومنه (سبحان) فقد نقصت باء عن الباء المشددة في الفعل (سبّح).

أعطى إعطاء، ومنه(عطاء)، فقد نقصت الهمزة من الفعل: أعطى.

سلّم تسليماً، ومنه (سلام) فقد نقصت لام من اللام المشددة في الفعل (سلّم).

٢ـ الأفعال: سبّح ـ يسبّح ـ يسبحون، تدل كلها على الزمن وعلى الفاعل.

أمّا (سبحان) فليست مرتبطة بفعل أو زمن، فقد كان التسبيح قبل الخلق وكان بعده، وقبل من يسبح وبعد من يسبح.

السؤال الرابع :

ما دلالة كلمة كثيراً في قوله تعالى في الآية ﴿ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ ؟

الجواب :

كلمة ﴿كَثِيرٗا﴾ مصدر، أي ذكراً كثيراً، وتحتمل أنْ يراد بها الزمن الكثير. فالتعبير جمع المعنيين في آن واحد: المقدار والزمن.

السؤال الخامس :

ما دلالة هذه الآية؟ وما الرقائق الواردة في الذكر؟

الجواب :

قد ينسى المؤمن ذكر الله تعالى، فأمر بدوام الذكر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ أمّا النبي فلا ينسى، ولكنْ قد يغتر المقرب من المَلِكِ بقربه منه فيقل خوفه فقال: ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فإنّ المخلص على خطر عظيم، وحسنة الأولياء سيئة الأنبياء.

من الرقائق في هذا المجال :

١ـ أول منازل القوم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ وأوسطها ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ وآخرها: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞ﴾ .

٢ـ ليس العَجبُ من مملوك يتذلل لله ويتعبد له ولا يمل من خدمته مع حاجته وفقره إليه، إنما العجبُ من مالك يتحبب إلى مملوكه بصنوف إنعامه ويتودد إليه بأنواع إحسانه مع غناه عنه، كفى بك عزاً أنك له عبد وكفى بك فخراً أنه لك رب.

٣ـ إذا علقت شروش المعرفة في أرض القلب نبتت فيه شجرة المحبة فإذا تمكنت وقويت أثمرت الطاعة فلا تزال الشجرة ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ﴾.

٤ـ ليس العجب من قوله: ﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ وإنما العجب من قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ﴾.

٥ـ ليس للعابد مستراح إلا تحت شجرة طوبى، ولا للمحب قرار إلا يوم المزيد.

السؤال السادس :

قوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الروم:١٧]ما دلالة تقديم الإمساء على الإصباح، مع أنّ الإصباح أسبق، وكذلك فى قوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب:٤٢]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الروم ١٧.

❁❁❁❁

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في استعمال كلمة﴿سَلَٰمٌ﴾ و﴿ وَٱلسَّلَٰمُ﴾ في سورة مريم في قصتي يحيى وعيسى عليهما السلام؟ وفي آية الأحزاب ٤٤؟

الجواب :

انظر الجواب في آية مريم ١٥.

❁❁❁❁

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَـذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ في الآية ترتيب حسن ﴿شَـٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَـذِيرٗا﴾ فالنبي أُرسل شاهداً بقول (لا إله إلا الله)، ويُرغّب في ذلك بالبشارة بالجنة، فإنْ لم يكف ذلك يرّهب بالإنذار من النار.

٢ـ لم يقل (وشاهداً بإذنه)، بل قال: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ﴾ وذلك لأنّ من يقول: عن مَلِكٍ أنه ملك الدنيا لا غيره لا يحتاج فيه إلى إذن منه، فإنه وصفه بما فيه ، وكذلك إذا قال: من يطعه يسعد ومن يعصه يشقى، لا يحتاج إلى إذن الملك.

أمّا إذا قال: تعالوا إلى سماطه واحضروا على خوانه يحتاج فيه إلى إذن.

٣ـ قال تعالى في حق النبي ﷺ ﴿وَسِرَاجٗا﴾، ولم يقل إنه شمس، مع أنّ الشمس أشد إضاءة من السراج؛ لفوائد منها :

أ ـ أنّ الشمس نورها لا يؤخذ منه شيء، والسراج يؤخذ منه أنوار كثيرة فإذا انطفأ الأول يبقى الذي أخذ منه، وكذلك الرسول ﷺ إنْ غاب كان كل صحابي أخذ منه نور الهداية، كما قال عليه ﷺ: « **أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**».

ب ـ وفي الحديث السابق جعل النبي ﷺ أصحابه كالنجوم لا كالسرج، لأنّ النجم لا يؤخذ منه نور، بل له في نفسه نور إذا غرب هو لا يبقى له نور مستفاد منه.

والصحابي كذلك إذا مات فالتابعي يستنير بنور النبي ﷺ ولا يأخذ القول والفعل إلا من النبي، وكذلك المجتهدون.

ولو جعلهم الرسول كالسرج والنبي ﷺ سراج كان للمجتهد أنْ يستنير بمن أراد منهم ويأخذ النور ممن اختار. وليس الأمر كذلك، فإنه مع نص النبي ﷺ لا يُعمل بقول الصحابي، لذلك يؤخذ النور فقط من النبي ولا يؤخذ من الصحابي فلم يجعله سراجاً.

٤ـ السراج هو القرآن؛ لأنه يهتدى به.

السؤال الثاني :

قدم النذارة في هود٢، بخلاف آيات البقرة ٢١٣، الأحزاب ٤٥، فصلت٤، حيث قُدمت البشارة، فلماذا؟

الجواب :

١ـ في هود بدأ الآية بقوله تعالى: ﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فناسب تقديم النذارة على عبادة غير الله تعالى.

٢ـ أمّا في البقرة والأحزاب فناسب كرامته تعالى تقديم البشارة.

٣ـ وكذلك في فصلت تقدّمها قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ فناسب تقديم البشارة.

السؤال الثالث :

كيف حصر رسالة النبي ﷺ في آية ص ٦٥: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ بأنه منذر مع أنه في آية الأحزاب والفتح (شاهد ومبشر ومنذر)؟

الجواب :

١ـ أنّ ما يتقدمه التخويف يناسب أنْ يليه إنذار. وهو ذلك في ص كذلك لأنه جاء بعد ذكر جهنم والنار وعذاب أهلها ومحاجتهم فيها: انظر الآيات [٥٥ـ٦٥].

٢ـ وأمّا ما يتقدمه الرجاء فقط أو التخويف مع الرجاء فيَليه الوصفان: التبشير والإنذار، كما في آيات الأحزاب والفتح وفاطر. قال تعالى:

ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥﴾ [الأحزاب:٤٥].

ـ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨﴾ [الفتح:٨].

ـ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فاطر:٢٤].

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝٤٧﴾

السؤال الأول :

قال تعالى في سورة النساء: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣٨﴾ [النساء:١٣٨]

وفي سورة البقرة ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة:٢٥]

وفي سورة الأحزاب ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب:٤٧]

ذكر (الباء) في آية النساء والأحزاب ﴿بِأَنَّ﴾ وحذفها في البقرة ﴿أَنَّ﴾ مع أنّ التقدير هو (بأن)، فلماذا؟

الجواب :

لأنّ تبشير المنافقين آكد من تبشير المؤمنين. ففي سورة النساء أكّد وفصّل في عذاب المنافقين في عشر آيات ابتداء من قوله:﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ ﴾.

أمّا في آية البقرة فهي الآية الوحيدة التي ذكر فيها كلاماً عن الجزاء وصفات المؤمنين في كل سورة البقرة.

وفي سورة الأحزاب قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ لأنه تعالى فصّل في السورة جزاء المؤمنين وصفاتهم.

إذن ﴿بِأَنَّ﴾ أكثر من﴿أَنَّ﴾ فالباء الزائدة تناسب الزيادة في ذكر المنافقين وجزائهم.

السؤال الثاني :

في قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ وفي إعراب(أشهد أن لا إله إلا الله)، تقدر الباء بعد أشهد، مع أنّ حرف الباء لا يدخل إلا على الاسم، فكيف ذلك؟

الجواب :

في إعراب(أشهد أنْ لا إله إلا الله) الباء داخلة على اسم؛ لأنها داخلة على أنْ المصدرية، والمصدر المؤول هو الذي يدخل عليه حرف الجر مثل﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ﴾ [النساء:١٣٨] ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأحزاب:٤٧] الباء داخلة على المصدر، والمصدر اسم فصار مصدراً مؤولاً (أن وما بعدها مصدر).

الحروف المصدرية (أنّ) حرف مصدري واسمها وخبرها، نحو: علمت أنك مسافر، أي علمت سفرك. الحروف المصدرية:[أنْ وأنّ ولو وما وكي] فإذن هي لم تدخل على الفعل، كما في السؤال، بل دخلت على المصدر المؤول وهذا جائز، وعلى نزع الخافض في الأصل مثل ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ نُزع الخافض.

إذن في (أشهد بأن لا إله إلا الله)، نُزع الخافض فصارت أشهد أن لا إله إلا الله.

والخافض هو حرف الجر على مصطلح الكوفيين، والخفض هو الجرّ.

❁❁❁❁

﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة الترك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٧٨.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٤٩﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ﴾؟

الجواب :

١ـ أسند العدة للرجال في قوله﴿لَكُمۡ﴾ إشارة إلى أنها حق للمطلِّق فوجوب العدة على المرأة من أجل الحفاظ على نسب الإنسان، فإنّ الرجل يغار على ولده ويهمه ألا يسقى زرعُه بماء غيره.

ولكنها على المشهور ليست حقاً خالصاً للعبد بل تعلّق بها حقُ الشارع أيضاً، فإنّ منع الفساد باختلاط الأنساب من حق الشارع.

٢ـ قوله تعالى: ﴿نَكَحۡتُمُ﴾ أي حدث عقد النكاح، ولم يحدث الجماع بعد لقوله تعالى: ﴿مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٠﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استخدام المفرد ثم الجمع في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ﴾[الأحزاب:٥٠]

الجواب :

١ـ الرسول ﷺ له خالات، وله خال واحد هو عبد يغوث. ويذكرون من خالاته: فريعة بنت وهب، وذكروا :هالة بنت وهب، و خالة اسمها: فاختة.

٢ـ وهناك سؤال آخر عن العم والعمات في قوله تعالى: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ﴾ الرسول ﷺ له عمّات وبناتهن متزوجات، وله أعمام كثيرون بناتهم متزوجات، لكنه قال: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ﴾ وذكروا من أعمام الرسول عليه السلام العباس وحمزة، وعندهم بنات غير متزوجات، لكنّ هؤلاء (العباس وحمزة) إخوان الرسول عليه السلام من

الرضاعة، فإذن لا تحلّ للرسول عليه السلام بناتهم، وذكروا أبا طالب وعنده أم هانئ ولم تكن مهاجرة وفي الآية قال: ﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ﴾ فيكون له عمّ واحد فقط له ابنة، والباقيات متزوجات، فقال: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ﴾. هذا هو الواقع، وهذا أمر تاريخي.

السؤال الثاني :

ما دلالة كتابة كلمة ﴿لِكَيۡ لَا﴾ منفصلة مرة في سورة النحل ومتصلة في سورة الحج وسورة الأحزاب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٥٣.

السؤال الثالث :

ما دلالة قوله تعالى في الآية ﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ﴾؟

الجواب :

يذكر النحاة أنّ الواو في (سرت ومحمداً) بمعنى (مع) فَهَل من فرقٍ بين قولنا: سرت ومحمداً، و: سرت مع محمدٍ؟

١ـ (مع): هي للمكان، نحو: جئت مع سعيد، أو للزمان نحو: جئت مع الغروب،والأكثر أنْ تكون للمكان. وقد وردت في القرآن الكريم في ١٦٠ موطناً كلها للمكان.

أمّا الواو فهي حرف يفيد المصاحبة والاقتران، وليس مكاناً أو زماناً ولذا قد يختلفان في المعنى.

٢ـ لكون (مع) مكاناً أو زماناً صح الإخبار بها ولا يخبر بالواو. تقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ولا تقول: إن الله والصابرين.

٣ـ قد تكون (مع) للمساعدة والإعانة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ ولا تكون الواو لهذا المعنى.

٤ـ آية الأحزاب ٥٠ ﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ﴾ المعنى هاجرن صائرات معك ولو قال: هاجرن وإياك، لاختلف المعنى ولا يصح ذلك؛ لأنهن لم يصحبنه في الهجرة، وإنما صحبه أبو بكر رضي الله عنه.

❋❋❋❋

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين تبدّل وتتبدل؟

الجواب :

في سورة الأحزاب قال تعالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾﴾ [الأحزاب:٥٢].

وقوله تعالى ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ﴿٢﴾﴾ [النساء:٢].

آية سورة الأحزاب مقصورة على الرسول ﷺ، والحكم مقصور عليه ﷺ. أمّا آية سورة النساء فهي آية عامة لكل المسلمين، وهذا التبدّل هو لعموم المسلمين وليس مقصوراً على أحد معين، وإنما هو مستمر إلى يوم القيامة. لذا أعطى الحدث الصغير الصيغة القصيرة ﴿تَبَدَّلَ﴾ وأعطى الحدث الممتد الصيغة الممتدة ﴿تَتَبَدَّلُوا﴾.

السؤال الثاني:

يقول المستشرقون: إذا كان الرسول قد شرّع للناس، فلِمَ لمْ يطبق هذا الأمر على نفسه في عدد الزوجات؟ ولماذا اتخذ تسع زوجات؟

الجواب:

إذا قمنا بعملية حسابية منصفة لوجدنا أنها ليست توسعة لرسول الله ﷺ وإنما هي تضييق عليه.

فأنت حين تأخذها من ناحية العدد فقط تقول إنّ رسول الله أخذ تسع زوجات، وأمته أخذت أربعاً، ولكنك لم تلاحظ مع العدد المعدود. أي أنه إذا ماتت زوجاتك الأربع أُحلت لك أربع أخريات، وإنْ ماتت واحدة أحلت لك أخرى. فأنت كمسلم عندك عدد لا معدود بحيث إذا طلقت واحدة أو أكثر حلت لك زوجة أخرى أو أكثر،فأنت مقيد بالعدد، ولكنّ المعدود أنت حر فيه.

أمّا رسول الله ﷺ فلا يحل له التبدل مطلقاً ولو ماتت كل زوجاته أو طلقهن لما حلّ له أنْ يتزوج بغيرهن.

وهكذا نجد التشريع ضيّق على رسول الله ﷺ في المعدود، وكان استثناؤه عليه السلام في العدد للتشريع، فقد كان ﷺ يتزوج بإرادة التشريع التي يشاؤها الله تعالى.

❁❁❁❁

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في الآية: ﴿مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ ما كلمات منظومة الحواجز؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ٤٦.

❁❁❁❁

﴿ إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين قوله تعالى في سورة النساء: ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء:١٤٩] وقوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [الأحزاب:٥٤].

وقال في آية النساء: ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا﴾ وفي آية الأحزاب: ﴿إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا﴾ فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النساء ١٤٩.

❁❁❁❁

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين بني وأبناء في الآيات﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ [النور:٣١] و ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا﴾ [الأحزاب:٥٥]

الجواب :

انظر الجواب في آية النور ٣١.

السؤال الثاني:

كيف ذكر الأقارب في آية الأحزاب ٥٥ ولم يذكر العم والخال وحكمهما حكم من ذكر في رفع الجناح في آيتي الأحزاب ٥٥ والنور ٣١؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النور ٣١.

❁❁❁❁

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ جاء النبي ﷺ لأمته مبشراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين، وكان ﷺ حريصاً على هداية قومه، كما قال تعالى في سورة التوبة: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨].

وكان ﷺ يألم ويحزن إنْ تَفلّتَ أحدٌ من يده وخَرَجَ عن ساحة الإيمان، وكان يكلّف نفسه في أمر الدعوة فوق ما يطيق، حتى خاطبه ربه بقوله في سورة الكهف: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ [الكهف:٦].

ومعلوم أنّ سيدنا محمداً ﷺ لم يُطلب منه إلا البلاغ، أمّا الهداية فمن الله. ولشدة حرصه ﷺ على هداية قومه عاتبه ربه؛ لأنه شق على نفسه.

٢ـ وقد ظهرت قمة حرصه ﷺ حين أنزل الله عليه ﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾ [الضُّحى:١-٥]

فالتقطها رسول الله من ربه وجعلها لأمته، فقال: « **إذن لا أرضى وواحد من أمتي في النار** ».

فإذا كان رسول الله حريصاً عليكم بهذا الشكل فهو يستحق منكم أن تصلّوا عليه؛ لأنّ كل خير يناله يعمكم ويعود إليكم؛ لذلك قال الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٥٦].

٣ـ تلحظ في الآية أنّ الخبر﴿يُصَلُّونَ﴾ خبر عن الله والملائكة فجمع الحق سبحانه بين صلاته وصلاة ملائكته.

ومرة سمع النبي ﷺ خطيباً يخطب يقول: (من يتق الله ورسوله يُثْبه الله ومن يعصهما يعاقبه الله) فقال: الرسول ﷺ له :«**بئس خطيب القوم أنت. . قل: ومن يعص الله ورسوله فقد غوى** » أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود.

لماذا؟ قالوا: لأنه جمع بين الله ورسوله في (ومن يعصهما) وكان عليه أنْ يقول: (ومن يعص الله ورسوله) فالله وحده هو الذي يجمع معه من يشاء قال سبحانه: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ ﴾ [التوبة: ٧٤].

أمّا نحن فليس لنا أبداً أنْ نأتي بصيغة تشريكية بين الله تعالى وأحد من خلقه.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ هكذا قال الله وجمع معه سبحانه من يشاء من خلقه. وأنت لا يجوز لك هذا الجمع إلا اذا كنت تقرؤه على أنه قرآن، فإنْ أردت أن تنشىء كلاماً من عندك فلا بدّ أنْ تقول: الله يصلي على النبي، والملائكة يصلون على النبي.

لذلك احتاط علماء التفسير لهذه المسألة فقالوا: إنّ ﴿يُصَلُّونَ﴾ ليست خبراً للكل، إنما تقدير الخبر أنّ الله يصلي على النبي، والملائكة يصلون على النبي.

وإذا كان الله يصلي على النبي والملائكة يصلون على النبي فماذا عنكم أنتم؟ يقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾.

٤ـ والصلاة في الأصل الدعاء، لكنْ لها معنى خاص لكلٍ بحسبه... فالصلاة من الله إنما هي رحمة شاملة وعامة ويكفي من رحمته تعالى لنبيه ﷺ أنْ جعله خاتم المرسلين وأنْ قرن اسمه باسمه ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ وأنه سيقبل شفاعته يوم القيامة، لا لأمته فحسب، وإنما للخلق جميعاً. ..وخاطب كل الرسل بأسمائهم المشخصة لهم وخاطبه بالوصف المكرم في ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ و ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾.

٥ـ أمّا صلاة الملائكة فهي دعاء، واقرأ ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩﴾ [غافر: ٧ – ٩]

فإذا كان الخلق محل صلاة الملائكة واستغفارهم ودعائهم حتى الذين أذنبوا منهم ثم تابوا، فما بالك برسول الله وهو هادي الناس جميعاً؟

٦ـ وأمّا الصلاة من المؤمنين فهي الاستغفار، واستغفارهم ليس لرسول الله وإنما لأنفسهم؛ لأنّ رسول الله جاء رحمة لهم، وكان الواجب عليهم ألا يغيب توقيره عن بالهم أبداً.

٧ـ وحين يصلي المؤمن على رسول الله، ماذا يملك من عطاء يؤديه لرسول الله؟ ماذا بأيدينا؟ لذلك تأمل لفظ صلاتك على رسول الله. .أنك لا تقول: أصلي، ولكن تقول: اللهم صل على محمد، أو صلى الله على محمد فنطلب ممن هو أعلى أن يصلي على رسول الله. . لأنه لا يوجد عطاء عندنا نؤديه لرسول الله.

إذن فالصلاة من الله الرحمة العامة المطلقة، والصلاة من الملائكة الدعاء، والصلاة من المؤمنين الاستغفار وإظهار التعظيم.

٨ـ دخل رجل على رسول الله فسأله: ما الصلاة عليك؟ قال ﷺ : «**ذلك من العلم المكنون ولولا أنكم سألتموني ما قلته. .إنّ الله وكل بي ملكين فإذا صلى واحد عليّ قال الملكان غفر الله لك ويقول الله: آمين، وتقول الملائكة: آمين**». . ذكره السيوطي في (الدر المنثور).

سبحان الله. . الله عز وجل بذاته يؤمّن على دعاء الملكين وجاء في الحديث « **أبْخَلُ البخلاء من ذُكرتُ عنده فلم يصل علي** ».

٩ـ وقوله تعالى بعدها: ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ لك أنْ تلحظ في صدر الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ ولم يقل سبحانه: ويسلمون، فلمّا أمر المؤمنين قال: ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾.

قال العلماء؛ لأنّ الصلاة على رسول الله لا تكون إلا مع التسليم له بمعنى طاعته وأنْ تسلم زمامك له في كل صغيرة وكبيرة، وإلا كيف تصلي عليه وأنت تعصي أمره، وقد قال تعالى في سورة النساء﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥].

١٠ـ ومن معاني التسليم أنْ نقول: السلام عليك أيها النبي.. كما نقول في التشهد.. والسلام اسم من أسماء الله، ومعنى السلام عليك يا رسول الله أي: جعل الله لك وقاية، فلا ينالك أحد بسوء.

❁❁❁❁

﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة ارتكاب الذنوب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٨٢.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما معنى (الدنو) في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب:٥٩]؟

الجواب :

نحن نتكلم في اللغة وليس في الفقه. الإدناء هو التقريب. الجلباب في اللغة هو ما يستر من الملابس سواء فوق الثوب أو الثوب نفسه. لغوياً هو الساتر من اللباس، ويسمى جلباباً.

وقوله تعالى: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ﴾ أي يرخين عليهن. الإدناء هو الإرخاء والإسدال، ما ستر الجسم كله. وعند اللغويين من فوق إلى أسفل هذا في اللغة.

إذن الجلباب الذي يستر من فوق إلى أسفل، وقسم يقول: هو كل ثوب تلبسه المرأة فوق الثياب. (يدنين) أي يقرّبن عليهن، يسدلن عليهن؛ لأن الإدناء فيه الإرخاء والإسدال. فالإدناء ستر الجسد من فوق إلى أسفل.

وفي سورة النور ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:٣١]الخمار هو غطاء الرأس، والجيب هو فتحة الصدر. هذا في حدود اللغة، وليس من الناحية الفقهية.

السؤال الثاني :

ما المقصود بآيات الحجاب في القرآن ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ﴾ [الأحزاب:٥٩]؟ فهل الستر أوجب أم الكشف أوجب؟

الجواب :

ليس المقصود أنْ يعرفها فلان، وهي لا يمكن أنْ تُعرَف. الآية نزلت بسبب أنه في الليل تخرج المرأة لقضاء حاجتها فلا تُعرف، فأمرها بالتستر بلبس الجلباب، فيعرفون أنها حرّة وليست أمة، فلا يتعرضون لها. وهم إذا رأوا المرأة تلبس جلباباً يعرفون أنها حرة، وأمّا النساء الباقيات فكُنّ يلبسن القميص. ونحن الآن من اللباس نعرف الشخص من أين هو؟

في المدينة جُعل الجلباب علامة لمعرفة أنّ هؤلاء من الحرائر ولسن من الإماء، فلا يُتعرض لهن. ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ﴾ أنّ هؤلاء حرائر أي أقرب إلى المعرفة، وليس المقصود معرفة الوجه أو كشفه، فهذا لا يُعرف، وإنما الغرض تمييز النساء الحرائر بالجلباب، فلا يعتدى عليهن، وليس هو الكشف، وإنما هو إدناء الجلباب؛ حتى تُعرف أن هذه حُرّة إذا خرجت في الليل والنهار. ويكون اللباس علامة أنها حُرّة وفيها معنى الستر.

السؤال الثالث :

هل يمكن شرح آيات الحجاب، وما معنى الخمار والجلباب والجيوب؟ وكذلك في الحديث النبوي «فشققن مروطهن»؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النور ٣١.

السؤال الرابع :

قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ هذا النداء، لِمَ لم يقل (يا أيها الرسول)؟ ثم ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾لِمَ لم يقل: أزواج وبنات المؤمنين؟

الجواب :

١ـ كلمة ﴿ٱلنَّبِىُّ﴾ كل رسول هو نبي. والرسول هو الذي لديه رسالة إلى الناس ومطلوب منه أن يبلّغها، بينما النبي هو الذي كان يوحى إليه أشياء قد لا تكون مطلوبة منه أنْ يذيعها للناس، فقد تكون لأهل بيته أو قبيلته فقط. فكلمة الرسول أوسع من النبي.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾: إذا نظرنا في الآيات التي وردت فيها (يا أيها الرسول) والآيات التي وردت فيها (يا أيها النبي) نجد أنّ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾جاءت في مكانين فقط في مخاطبة رسول الله ﷺ: ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [المائدة:٤١].

و ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة:٦٧].

والكلام فيهما عن الرسالة والإيمان بالرسول، وفيما سوى ذلك عندما يتعلق الأمر بتنظيم شؤون الحياة وليس الموضوع الرسالة يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ وذلك في ١٣ موضعاً في القرآن كله.

فإذن هنا في الآية هي ليست في تبليغ رسالة، وإنما تنظيم شؤون الحياة لذلك من المناسب هنا أن يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ لأنّ الكلام في أمور حياتية وليس في الرسالة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ أي: لنسائك أو لنساء المؤمنين، والآية تشملهم. والله سبحانه وتعالى في هذه الآية يرفع من قدر أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وأرضاهن جميعاً، ومات رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهن جميعاً ومات وهو في حجر عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ أي قرّبهن بذكرهن؛ لأنّ المطلوب حماية لهنّ، فهؤلاء رفيعات الشأن.

٣ـ ﴿وَبَنَاتِكَ﴾ رفعة لشأنهن وكل بناته ﷺ جميعاً من صُلبه ومن رحِم خديجة رضي الله عنها، لا كما يقول البعض: إنّ فاطمة فقط هي بنت محمد ﷺ والباقيات بنات خديجة من زوجها السابق، هذا كذب وافتراء على التاريخ.

﴿وَبَنَاتِكَ﴾ رُسمت بالألف في كل المصاحف؛ حتى لا يأتي ضال أو مضل فيقرأها بنتك، فزوجات عثمان رضي الله عنه هما ابنتا محمد ﷺ وخديجة ليعلم المسلمون ذلك؛ لأنّ هناك نوعاً من التشويش والتضليل.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لِمَ لم يقل: أزواج وبنات المؤمنين؟ اختصرها بـ ﴿وَنِسَآءِ﴾؛ لأنه اكتفى بما تقدّم؛ لأنه قال: الأزواج والبنات. والنساء تشمل الأزواج والبنات.

والملاحظ أنّ كلمة أزواج جمع زوج، وهي اللغة الفصحى. وهناك لغة ضعيفة يقولون هي (زوجته) بالتاء، كما نقول الآن، والفصيح أنْ يقال: زوج فلان وتكمّل معه النصف الثاني. ولفظة (زوجة) لم ترد في القرآن الكريم أبداً، وكلمة زوج يُقصد بها المرأة ويقصد بها الرجل.

٥ـ ﴿وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: كلمة نساء تشمل الزوجات والبنات، وتُطلق على الإناث.

ذكر تعالى صنفين: ﴿لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ﴾؛ ولأنه ذكر الصنفين جمع الاثنين مرة أخرى في كلمة ﴿نِسَآءِ﴾ حتى لا يكرر فيقول: قل لأزواجك وبناتك وأزواج المؤمنين وبنات المؤمنين.

وكلمة (نساء) تطلق - كما قلنا - على الأزواج وعلى البنات، كما في الآيات ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾. وفي تقسيم المواريث ﴿نِسَآءً﴾ تدل على بنات المتوفّى.

وقوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ يعني الزوجات ﴿وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾تشمل هذه وتشمل تلك.

٦ـ ﴿وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: المؤمنين ولم يقل المسلمين؛ لأنّ المؤمنين تشمل المسلمين عامة. والمؤمنون دخل ضمنهم هؤلاء المسلمون الذين التزموا بتعاليم الله سبحانه وتعالى في قلوبهم، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات: ٣٥ - ٣٦].

فعندما يقول: ﴿وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني الذين استقر الإيمان في قلوبهم من المسلمين. أمّا الذين لم يستقر الإيمان في قلوبهم فهؤلاء ينبغي أنْ يكونوا تبعاً حتى من المنافقين ليحافظوا على أعراضهم، وهذه فرصة أنْ تميّز نساؤهم من الإماء، فالكل سيتبعون المؤمنين، فجعل المؤمنين سمة أو ميزة على الذين أسلموا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحُجُرات: ١٤].

فهؤلاء الذين دخل الإيمان في قلوبهم مميّزون مقدّمون. والجميع سيقلدون المؤمنين.

٧ـ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ وذلك عمّا بدر منكم سابقاً من عدم تحجّب نسائكم بهذه الطريقة. والله سبحانه وتعالى غفور بالشيء الماضي رحيم بكم في توجيهه لكم بأنْ تعملوا هذا.

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب:٦٣]كلمة الساعة جاءت بالمؤنث وقريب بالمذكر، فهل يجوز ذلك من الناحية اللغوية؟

الجواب :

المعروف في اللغة أنّ كلمة (قريب) إذا كان القُرب للنَسَب تطابق، تقول: هو قريبي وهي قريبتي، هذا (قريب) في النسب تحديداً.

وإذا لم تكن للنسب فتجوز المطابقة وعدمها، قال تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب:٦٣] ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾ [الشورى:١٧]هذه ليست للنسب. فإذن في النحو جائز.

السؤال الثاني :

في سورة الأحزاب قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب:٦٣]وفي سورة الشورى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾ [الشورى:١٧]ما الفرق بين الآيتين؟ وما معنى ﴿لَعَلَّ﴾ في آية الشورى؟

الجواب:

١ـ آية الأحزاب تفيد أنّ الكفار لا يهمهم سواء قامت الساعة أم لم تقم لأنهم في الأصل ليسوا مؤمنين بها.

٢ـ وفي آية الشورى يقول تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ هنا الساعة معلقة بالفعل، أي الإنسان ينتظر، ففي أي وقت يمكن للساعة أنْ تأتي فيكون مستعداً لها. والله أعلم.

السؤال الثالث :

مالفرق بين ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ بصيغة المضارع، و﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ بصيغة الماضي؟

الجواب :

١ـ جاءت الصيغة ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ في آيات عديدة، منها :

ـ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾ [المدّثر:٢٧].

ـ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾﴾ [المرسلات:١٤].

ـ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾﴾ [الحاقة:٣].

ـ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾ [القارعة:٣].

ـ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾ [البلد:١٢].

ـ ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾﴾ [القارعة:١٠].

ـ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾﴾ [الانفطار:١٧].

ـ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾﴾ [القدْر:٢].

وهكذا في كل ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ تعني أنك لم تكن تعرفه من قبل، لكنّ الله سيخبرك به.

٢ـ وأما صيغة ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ فتعني أنّ هذا الشيء المبهم سيظل مبهماً لا يطلعك الله عليه لا لك ولا لغيرك ولو كان الله مُطْلعاً أحداً لأطلع نبيه، لكن أبداً لا هذه ولا هذه.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ﴾ [الشورى:١٧].

﴿يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب:٦٣].

ولذلك كان النبي ﷺ إذا سئل عن الساعة قال: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**».

والله أعلم.

❋❋❋❋

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٦٥﴾﴾

السؤال الأول :

لماذا اقترن لفظ ﴿أَبَدٗا﴾ في خلود الكافرين في النار، وأحياناً لا ترد؟

الجواب :

١ـ ﴿أَبَدٗا﴾ ترد أحياناً مع أهل النار، وأحياناً مع أهل الجنة، وأحياناً يذكر الخلود من دون (أبداً).

٢ـ والقاعدة هو أنه إذا كان المقام مقام تفصيل وبسط للموضوع يذكر (أبداً)، أو إذا كان المقام مقام تهديد كثير أو وعيد كثير أو وعد كثير، كما جاء في الوعد الكثير

للمؤمنين في سورة البينة وتفصيل جزائهم ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البيِّنة:٨].

وكذلك في سورة الجنّ الآيات فيها تهديد ووعيد شديد للكافرين، فجاءت (أبداً) ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن:٢٣].

وكذلك في سورة الأحزاب في مقام التفصيل والتوعّد الشديد، فذكر(أبداً) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤ - ٦٥].

وإذا لم يكن كذلك، أي كان مقام إيجاز لا يذكر (أبداً)، مثل قوله تعالى في سورة البيّنة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البيِّنة:٦].

❁❁❁❁

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾

السؤال الأول :

استعمل المد في هاتين الآيتين ﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾ ﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ ولم يستعمل المد في آية الأحزاب ٤، حيث قال: ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأحزاب رقم ٤.

السؤال الثاني :

مادلالة كلمة ﴿رَبَّنَآ﴾ في الآية؟

الجواب :

١ـ كلمة ﴿رَبَّنَآ﴾ هي منادى بإسقاط حرف النداء، والنداء هو طلب الإقبال، والمنادى اسم يقع بعد أداة من أدوات النداء، وأدوات النداء تختلف باختلاف المسافة بينك وبين المنادى:

أ ـ فإذا كان المنادى بجوارك تقول: محمدُ افعل كذا، أي: بدون أداة نداء.

ب ـ فإنْ كان بعيداً تقول: أمحمد، أي باستعمال الهمزة.

ج ـ فإنْ كان أبعد من سابقه تقول: يا محمد، أي: باستعمال الياء.

د ـ فإنْ كان أبعد من سابقه تقول: أيا محمد، أي: باستعمال الهمزة والياء.

٢ـ إذا أضيف المنادى إلى ياء المتكلم جاز حذف الياء والاستغناء عنها بالكسرة، نحو قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

٣ـ قد يأتي المنادى ويحذف حرف النداء، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

لمزيد من المعلومات انظر الجواب في آية البقرة ١٢٦.

❁❁❁❁

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ [الأحزاب:٦٩] مم برّأه الله تعالى؟

الجواب :

١ـ الآيات لا تقول لنا مم برّأه ولا ما الذي قالوه، لكنها تدعو المسلمين أنْ لا يكونوا كهؤلاء الذين آذوا نبيّهم. أي يا أيها الذين آمنوا لا تؤذوا محمداً ﷺ بشيء،أو بأي نوع من الإيذاء، وذكّرهم أنّ موسى ﷺ آذاه قومه فبرّأه الله من هذا الأذى، فهو نهي عن إيذاء محمد ﷺ ولم يحدثنا ما هو.

٢ـ عندنا روايات في الكتب: يمكن أنهم قالوا له ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ﴾عندما عبروا وقالوا ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾: وهذا أشد إيذاءً. وهناك روايات أخرى وهذا كلام لا ينفعنا ، لكنّ المهم أنّ المؤمنين منادون بأحب الأسماء إليهم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أنْ لا يرتكبوا ما يؤذي رسول الله ﷺ فالمسلم يتفكر إلى قيام الساعة في كلامه أو فعله هل يؤذيان رسول الله ﷺ؟ لأنّ الرسول ﷺيقول: «**إني مباهٍ بكم الأمم، مفاخرٌ بكم الأمم**». هل هذا العمل أو القول يؤدي إلى إيذائه ﷺ؟ إنْ كان يؤدي إلى ذلك يفترض أنْ لا يفعله.

السؤال الثاني :

ما معنى قوله تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ ؟

الجواب :

١ـ موسى عليه السلام كانت له في دعوته علاقتان :

أ ـ علاقة مع بني إسرائيل ليؤمنوا فهو مرسل لهم؛ وليخلصهم من استعباد فرعون لهم.

ب ـ علاقة مع فرعون على هامش دعوته الأساسية لبني إسرائيل، ومع ذلك لم يسلم من أذاه.

٢ـ قال العلماء: إنّ بني إسرائيل آذوا موسى في المواطن التالية :

أ ـ حين آذوا من بعثه، وهو الله بقولهم ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [النساء:١٥٣].

ب ـ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١].

ج ـ حين اعترضوا على طعام المن والسلوى ﴿لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾ [البقرة:٦١].

د ـ آذوا موسى في شخصه حين اتهموه بقتل أخيه هارون حين صعدا الجبل ومات هارون هناك.

هـ ـ اتهموا موسى بمرض في جسده أو بعيب في أعضائه.

و ـ حين استأجر قارون امرأة بغياً لتتهم موسى فشاء الله أنْ ينطقها وتقول: قارون فعل كذا وكذا فبرأه الله بذلك.

لذلك برأه الله من العيوب التي قالوها ثم أثبت له الوجاهة والشرف بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا﴾.

السؤال الثالث :

ما القيمة التعبيرية في استعمال اسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في ﴿كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ﴾، ولم يقل كبني إسرائيل مثلاً؟

الجواب :

هذا فيه نوع من الإبعاد لهم، فلو ذكرهم لقرّبهم. عندما يخاطبهم أو يبكّتهم أو يدعوهم أو يذكرهم في الأحكام الشرعية يقول: يا بني إسرائيل لكنْ هنا في موطن الأذى لا يستحقون الذِّكر، فقال: ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ فالإعراض عن ذكر اسمهم مقصود. وتكون أيضاً مواءمة بين ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ و﴿كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟﴾ والاستعانة باسم الموصول لأداء هذا الغرض البلاغي.

❊❊❊❊

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة الحديث بأصوات الفم الإنساني؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ٤٦.

❊❊❊❊

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ و ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ ؟

الجواب :

١ـ (من) تبعيضية أي بعض الذنوب، وبدون (من) معناه: يغفر لكم الذنوب جميعاً.

٢ـ لم يرد في القرآن كله ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ إلا مع أمة الرسول ﷺ إكراماً له ولأمته.

أمّا التعبير ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ فعام ولبقية الرسل عليهم السلام.

٣ـ ورد التعبير بدون (من) ثلاث مرات في القرآن: [آل عمران ٣١ـ الأحزاب ٧١ـ الصف ١٢].

وورد التعبير مع وجود (من) ثلاث مرات أيضاً :[إبراهيم ١٠ـ الأحقاف ٣١ـ نوح ٤].

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة ذكر الجبال مع السموات والأرض في آية الأمانة في سورة الأحزاب، مع أنّ الجبال من الأرض؟

الجواب :

قال تعالى في أواخر سورة الأحزاب ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب:٧٢] من حيث الحكم

النحوي هذا ما يُسمّى عطف الخاص على العام، كما في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة:٢٣٨].

فالصلاة الوسطى مشمولة في الصلوات، لكن لأهميتها وعظمة شأنها ذكرت وحدها.

وقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة:٩٨]وجبريل من الملائكة، وذكره يفيد رفعة منزلته عند الله.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرحمن:٦٨].

والنخل والرمان من الفاكهة، وهي فاكهة أهل الجنة.

فمن حيث التكييف اللغوي جائز، لكنْ لماذا يؤتى بها؟

ذكر تعالى الجبال؛ لأنها أعظم مخلوقات الأرض، هذا أمر. والأمر الآخر أنّ الأمانة ثقيلة وذكر الجبال مناسب للأمانة. ثم من قال: إنّ الأرض خاصة بالجبال فقط، فكل الأجرام فيها جبال، والأمر الثالث أنّ الجبال هي رواسي الأرض ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ [لقمان:١٠].

فوظيفة الجبال أنْ تثبّت الأرض كيلا تميد، وكذلك المؤمنون﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم:٢٧] فالجبال تزول ولا تزول الأمانة؛ لأنها في الآخرة تثبت المؤمنين على الصراط، فهي أرسى من الجبال.

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٧٢] لِمَ خصّ الإنسان تحديداً والجن أيضاً مكلَّف؟

الجواب :

هذه الآية من سورة الأحزاب، ولو نظرنا في السورة لوجدنا أنها في الإنسان من أولها لآخرها، كما في الآيات:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ [الأحزاب:١].

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ ﴾.

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب:٣٧].

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب:٤٠].

﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأحزاب:٦٠].

﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب:٦٣]قال الناس ولم يقل الجن.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [الأحزاب:٧٠] إلى آخرها.

﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ [الأحزاب:٧٣].

إذن السياق في الإنسان، وتكلم عن الإنسان، لكنْ لم يحصره فيه، مع أنّ الجن مكلّف، ولم يقل: لم يحملها إلا الإنسان.

سؤال:

مع أنّ الجن مكلّف، وهو يتحدث عن الأمانة بمعنى التكليف الشرعي والجن مكلف شرعياً؟ أليس في ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ قصر على أن الإنسان حملها وحده؟

جواب:

﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ من الناحية البيانية ليس فيها قصر على الإنسان فقط، ربما الإنسان وغيره، لكن الآن ذكر الإنسان وقد يكون الجن لم يحملها، أي أبى أنْ يحملها، لكنّ السياق في الإنسان، والإنسان هو الذي حملها، والقرآن لا يخرج عن السياق.

السؤال الثالث:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ الأرض والسماء والجبال مقهورة باختيارها؛ لأنّ الله لمّا عرض عليهن الأمانة أبين أنْ يحملنها وأشفقن منها، بينما الإنسان اغتر بعقله وذكائه فقَبِلَ الاختيار.

٢ـ الأمانة هي أمانة الاختيار والتكليف في أنْ تؤمن أو تكفر أو في أنْ تطيع أو تعصي، وفرقٌ بين وقت التحمل ووقت الأداء. فمن يلاحظ وقت التحمل فقط يُقدم عليها ويقبلها، لكن من يلاحظ مع التحمل الأداء يرفض.

٣ـ لا تدخل نفسك في فهم كيف تم العرض على السماوات والأرض والجبال وهي جمادات، والعرض كان من خالقها وربها فهو الذي يخاطبها فأرح نفسك وانسب الفعل

إلى فاعله وأنت تستريح؛ لأنّ العرض ليس منك حتى لا تفهمك الجمادات وإنما كان العرض من ربها وخالقها.

٤ـ قوله: ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ أي خفن وقت التحمل مخافة أنْ يأتي وقت الأداء فلا يؤدى؛ لذلك حملها الإنسان لما عنده من فكر واختيار، لكنْ قد يأتي فكره بالضرر.

٥ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ هذه صيغة فعول الدالة على المبالغة في الظلم والمبالغة في الجهل.

وقد يُعقل الظلم للغير مظنة أنّ يستفيد الظالم من ذلك، أما أنْ يظلم المرء نفسه بأنْ يمنعها خيراً أو يجلب لها ضراً، فهذا مما لا يُعقل ودليل الغباء.

وحُكمُ الله على الإنسان بأنه ظلوم؛ لأنه ظلم نفسه بتحمل الأمانه، وجهول لأنه ضمن وقت التحمل ولم يضمن وقت الأداء. والعاقل هو الذي ينظر إلى وقت أداء الأمانة لا إلى وقت تحملها.

السؤال الرابع :

جاءت قصة آدم عليه السلام في سورة البقرة في الآيات (٣٠-٣٨) وجاء في آيتي الأعراف [١٠ - ١١] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: ١٠ - ١١] والخطاب فيها بصيغة الجمع وليس بالإفراد لآدم، وقوله تعالى في آية الأعراف ١٧٢: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾ وقوله تعالى في آية الأحزاب ٧٢: ﴿إِنَّا

عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ والمطلوب بعد استعراض جميع الصور القرآنية لجوانب قصة الإنسان والأنفس وآدم أنْ نبين ترتيب مراحل هذه المسألة.

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١١.

❁❁❁❁

﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾

السؤال الأول :

هناك عدة اختلافات بين الآيتين (٢٣ـ٢٤) و (٧٢ـ٧٣) في سورة الأحزاب، فما تلك الاختلافات في الصيغة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأحزاب ٢٣.

السؤال الثاني :

ختمت الآية ٧٢ بقوله تعالى ﴿ظَلُومًا جَهُولًا﴾، وختمت الآية ٧٣ بقوله تعالى: ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، فما دلالة هذا التقابل؟

الجواب :

١ ـ ذُيلت الآية السابقة ٧٢ بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ وذُيلت هذه الآية بقوله سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ فكأنّ وصف ﴿ظَلُومًا﴾ قابله ﴿غَفُورًا﴾ ولفظ ﴿جَهُولًا﴾ قابله ﴿رَّحِيمًا﴾.

فالحق سبحانه غفور لمن ظلم ورحيم لمن جهل، لكنْ لا ينبغي أنْ تغرك صفات الجمال في ربك فتُقدم على الذنب وتظلم اعتماداً على أنّ ربك سيغفر ويرحم.

٢ ـ الحق جعل التكليف ليتبعه الناس فلا يعذبون. واللام في قوله تعالى:

ـ﴿لِّيُعَذِّبَ﴾ليست للتعليل، وإنما هي لام العاقبة الدالة على النتيجة، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ فساعة التقطه آل فرعون التقطوه؛ ليكون قرة عين لهم لا ليكون عدواً، لكنّ الذي حدث أنه صار عدواً وحزنا، فاللام ليست للتعليل، وإنما للعاقبة والنتيجة.

٣ـ في قوله تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ﴾ وقوله: ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ﴾ قد فصل الفعلين بتكرار الفاعل الصريح وهو لفظ الجلالة، وذلك لفصل هذا عن هذا، ويعزله بحكم خاص به؛ لأنّ الله تعالى له صفات جلال تختص بالكافرين والمنافقين وصفات جمال تختص بالمؤمنين، ولكلٍّ من النوعين سياقٌ خاصٌّ مستقل.

٤ـ جاءت اللام المؤكدة مع عذاب المنافقين والمشركين، ولم تأت اللام مع التوبة على المؤمنين، وذلك أنّ عذاب المنافقين والمشركين مؤكد ثابت في الآخرة بسبب كفرهم. أمّا

التوبة على المؤمنين عن ذنوبهم التي اكتسبوها في حياتهم فهي عائدة لمشيئة الله تعالى وليست بالضرورة فإنْ شاء تاب عليهم وإنْ شاء عذبهم، لكنهم لا يخلدون في النار.

٥ـ عطف الله المشرك على المنافق ولم يعد اسمه تعالى، وعند التوبة أعاد اسمه تعالى لتفضيل المؤمن على المنافق، والله سبحانه يظهر نفسه مع الخير، فذكر الفاعل.

٦ـ الله سبحانه أعلَمَ عبده بأنه (غفور رحيم) وبصّره بنفسه فرآه (ظلوماً جهولاً)، ثم عرض عليه الأمانة، فقبلها مع ظلمه وجهله لعلمه فيما يجبرها من الغفران والرحمة.

والله أعلم.

رابعاً ـ تناسب فواتح الأحزاب مع خاتمتها

قال تعالى في أول السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾﴾ [الأحزاب:١].

وقال في أواخرها:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

١ ـ فقد قال في أول السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾.

وقال في أواخرها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ فقد أمر نبيه أولاً بالتقوى، ثم أمر المؤمنين بها بعد ذلك.

٢ ـ قال في أول السورة: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾.

وقال في أواخرها: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

فنهى عن إطاعة الكافرين والمنافقين في البدء.

وبيّن في الآخر عاقبة طاعة الله ورسوله من الفوز العظيم.

٣ ـ قال في خاتمة السورة: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب:٧٣].

فذكر الكافرين والمنافقين في بداية السورة.

وذكر المنافقين والمشركين في الخاتمة.

وقدّم المنافقين في الآخرة؛ لأن السياق كان فيهم، وذلك ابتداء من قوله تعالى:

﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾ [الأحزاب:٦٠-٦١].

ثم ذكر الكافرين بعدهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٥].

والله أعلم.

سورة سبأ

أولاً ـ تناسب خواتيم الأحزاب مع فواتح سبأ:

١ ـ قال في أواخر الأحزاب:

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب:٦٣].

وقال في أوائل سبأ:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ [سبأ:٣]. فالموضعان في الساعة.

٢ ـ ذكر عقوبة الكافرين في أواخر الأحزاب، فقال:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٥]. وذكر المؤمنين وخاطبهم بقوله:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١] وذكرهما في أوائل سبأ فقال في الكافرين:

﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [سبأ:٥].

وقال في المؤمنين:

﴿ لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ﴿٤﴾ ﴾ [سبأ: ٤].

٣ ـ قال سبحانه في آخر الأحزاب:

﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمَۢا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٣].

وذكر جزاء كل منهما في سبأ، كما ذكرنا.

وذلك قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٞ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٞ ﴿٥﴾ ﴾ [سبأ: ٥].

وقوله: ﴿ لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ﴾ [سبأ: ٤]. فالمناسبة ظاهرة كما هو بيّن.

ثانيا ـ هدف السورة: الاستسلام لله سبيل بقاء الحضارات.

هذه السورة مكيّة، وقد ضربت مثالين مهمَّين لنماذج حضارات راقية: قصة سيدنا داوود وسليمان وقصة سبأ.

أما قصة سيدنا داوود وسليمان فكانت نموذجاً لحضارة قوية راقية استقرّت وانتشرت؛ لأنها كانت مستسلمة لله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾ [سبأ: ١٠]، وفي استخدام القرآن لكلمة ﴿أَوِّبِي﴾ دلالة على منتهى الاستسلام، وقد سخر الله تعالى لسليمان الريح وعين القطر والجن لمّا استسلم لله تعالى.

ويأتي النموذج العكسي لقصة سليمان وداوود في قصة سبأ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ:١٥-١٧]هذه الحضارة العريقة؛ لأنها لم تستسلم لله تعالى ولم تعبده، كان مصيرها الزوال.

وتسمية السورة بـ (سبأ) هو رمز لأي حضارة لا تستسلم لله تعالى؛ لأنّ الاستسلام لله هو سبيل بقاء الحضارات، أمّا الحضارات البعيدة عن الله فلن تستمر في الكون مهما ارتقت وعظمت تماماً مثل مملكة سبأ. ففي كل عصر يمكننا أنْ نضع اسماً مكان سبأ ينطبق عليهم قول الله تعالى، فلكل عصر سبأ خاص.

ثالثاً- من اللمسات البيانية في السورة :

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ثم كرر الحمد بقوله: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾؟

الجواب :

وردت جملة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ في القرآن الكريم ثماني وثلاثين مرة، وخُصت منها في فواتح السور خمس مرات، وهي سور (الفاتحة ـ الأنعام ـ الكهف ـ سبأ ـ فاطر).

وهذه الجملة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قائلها الحق سبحانه لا لنفسه، وإنما ليعلمنا الصيغة التي يحبها لنقولها، ويستوي فيها الفيلسوف وراعي الغنم.

ـ والله سبحانه بدأ خلقه من عدم، فله علينا نعمة الخلق من عدم.

ـ ثم أمدّنا بمقومات الحياة المادية كالأقوات والتناسل وغيرها، وأمدّنا بالمنهج الذي يحكم حياتنا،ثم في الآخرة سوف نعيش مع المسبب سبحانه.

وعند النظر في هذه السور الخمس التي بدأت بالحمد نجدها تتناول هذه المراحل كلها:

١ـ في أول الأنعام﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام:١] فتكلم الحق عن بدء الخلق، أي عن الخلق الأول.

٢ـ في أول الكهف ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ [الكهف:١].

فذكر الحق مسألة وضع المنهج والقيم لتتساند الحياة ولا تتعاند.

٣ـ في أول سبأ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ [سبأ:١] فذكر الحق الحمد في الآخرة، وهو حمد مركب لأنك في الدنيا تحمد الله تعالى على خلق الأشياء التي تتفاعل بها لتعيش بالأسباب، لكنْ في الآخرة لا توجد

أسباب، إنما المسبب هو الله سبحانه. لذلك حمد الآخرة أكبر؛ ليناسب عيشك مع ذات ربك سبحانه.

٤ـ قال في أول فاطر ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا﴾ [فاطر:١] لنحمد الله على القيم وعلى المنهج الذي وضعه الله لنا بواسطة الملائكة الذين هم رسل الله إلى الخلق.

٥ـ ثم جاءت أم الكتاب فجمعت هذا كله في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى آخر السورة؛ ولأنها جمعت البداية والنهاية والدنيا والآخرة سُميت فاتحة الكتاب، وسميت المثاني، وسميت أم القرآن.

٦ـ كرر اسم الموصول في الآية، ولم يقل: (ما في السماوات والأرض) لأنّ هناك خلقاً خاصاً في الأرض، وخلقاً خاصاً في السماء، وخلقاً بين السماء والأرض. فإذا أراد الكل قال: (ما في السماوات والأرض)، وإنْ أراد الاختلاف كلاً في جهته قال: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

٧ـ الحمد هنا إشارة إلى النعمة، فذكر سبحانه أولاً النعم المرئية، وهي ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ثم قال: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ وهي غير مرئية الآن لتقاس نعم الآخرة بنعم الدنيا ويعلم فضلها بدوامها وفناء العاجلة؛ ولهذا ختمها بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ إشارة إلى أنّ خلق هذه الأشياء بالحكمة والخبرة.

السؤال الثاني :

ما اللمسة البيانية في تقديم (الرحيم) على (الغفور) في سورة سبأ، وقد وردت في باقي القرآن (الغفور الرحيم)؟

الجواب :

١ـ في آية واحدة وردت تقديم الرحيم على الغفور وفي بقية الآيات تقديم الغفور على الرحيم.

٢ـ لو لاحظنا آية سبأ التي تقدم فيها الرحيم على الغفور نجد :

أ ـ أولاً المغفرة تكون للمكلّفين، والرحمة عامة، حتى الحيوانات تشملها الرحمة، لكنّ المغفرة للمكلفين. وفي سورة سبأ لم يتقدم الآية ما يتعلق بالمكلّفين، وإنما تقدّمها أمر عام، قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [سبأ: ١ - ٢] فليس فيها ذكر للمكلفين. وقد جاء ذِكر المكلفين بعدها ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾ [سبأ:٣].

ب - إذاً تأخّر ذكر المكلفين فتأخّر ما يتعلق بهم ﴿ٱلْغَفُورُ﴾.

٣ـ قدّم الرحمة؛ لأنّ ما تقدم كان أمراً عاماً ليس خاصاً بالمكلفين، فقدّم الرحمة، ولمّا ذكر المكلفين فيما بعد قدم الغفور فيما بعد.

٤ـ ولذلك في جميع المواطن في القرآن بلا استثناء إذا قال: غفور رحيم يتقدم ذكر المكلفين، كما في الآيات :

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [البقرة:١٩٩]. وهؤلاء مكلّفون.

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة:٧٤].

﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزُّمر:٥٣].

السؤال الثالث :

كرر اسم الموصول في الآية ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فما دلالة ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١١٦.

السؤال الرابع :

ما دلالة الآية بشكل عام؟ وما دلالة قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾؟

الجواب :

١ـ المعنى العام: مايلج في الأرض من الحبوب والأموات. ..وما يخرج منها من النبات والأحياء. ..وما ينزل من السماء من أنواع رحمته تعالى ومنها المطر والملائكة والقرآن. .. وما يعرج فيها من الأعمال الصالحة والأرواح؛ لقوله تعالى:

﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠].

٢ـ قدّم ما يلج في الأرض على ما ينزل من السماء؛ لأنّ الحبة تبذر أولاً ثم تسقى ثانياً.

٣ـ قال: ﴿وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَا﴾، ولم يقل: (إليها)؛ لأنّ (إلى) للغاية، ولو قال (إليها) لفُهم الوقوف عند السماوات؛ لأنها الغاية؛ ولذلك قال: ﴿وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَا﴾ ليفهم نفوذها فيها وصعودها؛ لأنّ الله هو المنتهى ولا مرتبة فوق الوصول إليه، وأمّا السماء فهي دنيا وفوقها المنتهى؛ ولذلك قال في سورة فاطر: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾ (رحيم) بالإنزال، حيث ينزل الرزق من السماء، و(غفور) عندما تعرج إليه الأرواح والأعمال، فرحم أولاً بالإنزال، وغفر ثانياً عند العروج.

السؤال الخامس :

ما دلالة تأخير المغفرة على الرحمة في الآية، بينما تقدمت المغفرة على الرحمة في آيات كثيرة في القرآن الكريم؟

الجواب :

تقدمت المغفرة على الرحمة في آيات كثيرة في القرآن الكريم، وسبب ذلك - والله أعلم - أنّ المغفرة سلامة، والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة.

بينما في آية سبأ تأخرت المغفرة على الرحمة؛ وذلك أنّ جميع الخلائق من الإنس والجن والحيوان وغيرهم محتاجون إلى رحمته، فهي برحمته تعيش وتحيا، وبرحمته تتراحم، وأمّا المغفرة فتخص المكلفين فالرحمة أعم.

السؤال السادس :

قال الله في ختام آية سبأ ٢ ﴿ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ .

وقال الله في ختام آية الحديد ٤ ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد:٤] .

فما الحكمة من ذلك؟

الجواب :

١ـ ذكر في آية الحديد ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ ، وهي تفيد المراقبة، بينما لم يذكرها في آية سبأ، فأراد الله أنْ يرحم الناس بعدم ذكر المراقبة في آية سبأ فناسب في سبأ ذكر ﴿ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ بينما ذكر المراقبة في آية الحديد ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ ، فناسب ذكر ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ .

ولا شك أنّ عدم ذكر المراقبة أنسب معه ذكر الرحمة والمغفرة، وإنّ ذكره أنه بصير بعملنا أنسب مع ذكر المراقبة.

انظر الجدول التالي :

السورة	المراقبة	ختام الآية	آيات قبلها أو بعدها
الحديد	﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾	﴿ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾
سبأ	-	﴿ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾	-

٢ـ آية الحديد في بدء خلق السماوات والأرض، وبالتالي في بدء الأعمال فناسب مع بدء الأعمال الختام بـ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ .

بينما سورة سبأ تتحدث في بداياتها عن الآخرة، والتي هي للجزاء وليست للعمل، فقد طويت صفحة الأعمال، وبدأ وقت المحاسبة، فناسب ذلك الرحمة والغفران.

٣ـ جو سورة سبأ مليء بذكر الآخرة، فناسب ذكر الرحمة والغفران بينما جو سورة الحديد مليء بذكر العلم والمراقبة، فناسب ذكر ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

٤ـ قدّم العمل على البصر ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لأنه معهم أينما كانوا.

بشكل عام وكخط واضح في القرآن:

أـ عندما يكون السياق في العمل يقدّم العمل على البصر فيقول: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

ب ـ وعندما يكون السياق في غير العمل أو في صفات الله يقدّم البصر على العمل، فيقول ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

* شواهد قرآنية على ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ :

ـ ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فُصِّلَت:٤٠].

ـ ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [سبأ:١١].

ـ ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:٢٦٥].

*** شواهد قرآنية على: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾**

ـ ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [البقرة:٩٦].

ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [الحُجُرات:١٨].

ـ ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ٧١﴾ [المائدة:٧١].

❁❁❁❁

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣﴾

السؤال الأول:

ما الفرق بين قوله تعالى في آية يونس ٦١: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ وقوله في آية سبأ ٣ ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؟

الجواب:

انظر الجواب في آية يونس ٦١.

السؤال الثاني:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ أخبر الله بإتيان الساعة وأكّده باليمين.

٢ـ والدليل على قيام الساعة قوله تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ﴾ لأنه تعالى إذا كان عالماً بجميع الأشياء وأجزائها ويقدر على جمعها فالساعة ممكنة القيام، وقد أخبر الله عنها فتكون واقعة.

٣ـ في قوله تعالى: ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾إشارة إلى علمه بالأرواح، وفي قوله: ﴿ذَرَّةٖ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾إشارة إلى علمه بالأجسام.

وإذا كان يعلم الأرواح والأجسام ويقدر على جمعها لا يبقى استبعاد في المعاد.

٤ـ في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ﴾ أراد الله إثبات الأمور في الكتاب صغيرها وكبيرها، ولو اقتصر على الأصغر، لتوهم أنّ الأكبر محل النسيان، فبيّن علمه بالصغائر والكبائر، وجمع ذلك إثباتاً للجزاء.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين﴿وَمَا يَعۡزُبُ﴾ في آية يونس٦١ وبين ﴿لَا يَعۡزُبُ﴾ في آية سبأ ٣؟

الجواب :

انظر الجواب في آية يونس ٦١.

السؤال الرابع :

التقديم والتأخير في السماء والأرض، حيث قدّم الأرض على السماء في آية يونس ٦١، بينما قدم السماء على الأرض في آية سبأ٣، فلماذا؟

الجواب :

١ـ الكلام في سورة يونس عن أهل الأرض، فناسب أنْ يقدم الأرض على السماء في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ و حيث إنّ السياق في سورة يونس هو في الاستغراق جاء بأوسع حالة، وهي ﴿السَّمَاءِ﴾؛ لأنها أوسع بكثير من السموات في بعض الأحيان. فالسماء تعني السموات أو كل ما علا.

٢ـ وأمّا في سورة سبأ فالكلام عن الساعة، والساعة يأتي أمرها من السماء، وتبدأ بأهل السماء ﴿فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ و﴿فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾.

وفي سورة سبأ استخدم ﴿السَّمَاوَاتِ﴾ حسب ما يقتضيه السياق.

❊❊❊❊

﴿لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ ذكر الله في الآية أمرين: الإيمان والعمل الصالح. وذكر لهما أمرين: المغفرة والرزق الكريم. فالمغفرة جزاء الإيمان، وكل مؤمن مغفور له لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨] وقوله ﷺ: « **يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه ذرة من إيمان** »

٢ـ اللام في ﴿لِيَجْزِيَ﴾ للتعليل، ومعناه الآخرة للجزاء.

٣ـ قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ يحتمل وجهين:

أ ـ أنْ يكون ذلك لهم جزاء فيوصله إليهم.

ب ـ أنْ يكون ذلك لهم والله يجزيهم بشيء آخر؛لأنّ قوله: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُم﴾ جملة تامة اسمية، وقوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾جملة فعلية تامة وهذا أبلغ في البشارة من القول (ليجزي الذين آمنوا رزقاً).

٤ـ ميّز الله الرزق بالوصف بقوله (كريم)، ولم يصف المغفرة؛ وذلك لأنّ الرزق أنواع منه الطيب مثل الفواكه والشراب ومنه الكريه مثل شجرة الزقوم والحميم. فميّز الرزق لحصول الانقسام فيه ولم يميز المغفرة لعدم الانقسام فيها.

❁❁❁❁

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ القول يحتاج إلى قائل وإلى مقول له.

فالقائل هم الذين كفروا، والمقول له: هم أتباعهم الذين يقلدونهم أو قالوا لبعضهم وهم يتسامرون.

٢ـ كلمة ﴿رَجُلٍ﴾ نكرة قصدوا منها الاستهزاء والتقليل من شأن الرسول ﷺ، وهذا يدل على غبائهم؛ لأنهم وصفوه رسول الله في قولهم: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون:٧].

٣ـ قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ من النبأ، ولا يطلق إلا على الخبر الهام، كقوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

٤ـ قوله تعالى: ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ التمزيق إبعاد الأجزاء عن بعضها وكلمة ﴿كُلَّ﴾ غير كلمة (كُلِّي).

فالكل مكون من أشياء كثيرة مختلفة في الحقيقة في التكوين كأجزاء الكرسي (خشب ـ مسمار ـ غراء)، والكل يقتضي الإحاطة بالأبعاض.

أمّا الكلي فيُطلق على أشياء كثيرة منفصلة لكنها متفقة في الحقيقة، مثل (إنسان) يُطلق على المجموع من جسم وروح وأعضاء.

وقوله تعالى: ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ هو استقصاء لأبعد حدود التمزق، لكنّ قدرة الله تعالى تستطيع أنْ تعيد الإنسان من جديد إلى أصل تكوينه وهو الخلق الجديد لأنّ الله يعلم عن مكان كل ذرة تبعثرت، كما هو في قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ [ق:٤] وعلم الله علم مسجل محفوظ لا يناله تغيير ولا تبديل.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾

السؤال الأول :

استعمل في آية الطور ٤٤ لفظة الكسف، فقال: ﴿كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ واستعمل في آية سبأ ٩ الخسف في الأرض، فقال: ﴿نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ فما دلالة ذلك؟

الجواب :

١ـ في آية الطور ٤٤ استعمل في السماء لفظة الكسف، فقال: ﴿كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ واستعمل في آية سبأ ٩ الخسف في الأرض، فقال: ﴿نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ﴾ وهو يدل على صحة من قال: يقال في القمر خسوف وفي الشمس كسوف.

٢ـ ووجه ذلك أنّ مخرج الخاء دون مخرج الكاف، ومخرج الكاف فوقه متصل به. فاستعمل وصف الأسفل للأسفل والأعلى للأعلى، فقالوا في الشمس والسماء (الكسوف والكسف)، وفي القمر والأرض (الخسوف والخسف).

والله أعلم.

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة ﴿ٱلرِّيحَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ [سبأ:١٢]؟ ولماذا جاءت على صيغة الإفراد؟

الجواب :

١ـ كلمة ريح في القرآن الكريم تستعمل للشّر، كما في قوله تعالى في سورة القمر: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ ﴾ [القمر:١٩].

وفي سورة الحجّ ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [الحج:٣١]فَتَخْطَفُهُ

وفي سورة الإسراء ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الإسراء:٦٩].

٢ـ أما كلمة الرياح فهي تستعمل في القرآن الكريم للخير كالرياح المبشّرات، كما في قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحجر:٢٢] وسورة النمل ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النمل:٦٣].

٣ـ وأما قوله تعالى في سورة سبأ : ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [سبأ:١٢].

استعملت كلمة (ريح) مع سليمان، لكنها لم تُخصص لشيء، فجاءت عامة قد تكون للخير أو للشر؛ لأنّ الله سخّرها لسليمان يتصرف بها كيف يشاء.

❊❊❊❊

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾

السؤال الأول :

في سورة سبأ ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ:١٣]

لماذا ورد فعل (اعملوا)، مع أنّ الأقرب إلى العقل أن يقول: (اشكروا آل داوود شكراً) باعتبار الشكر مصدراً؟ ولماذا ورد الفعل (اعملوا) ولم يقل: افعلوا؟ وما إعراب (شكراً)؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ الشكر لله مطلوب دائماً، لكنه ليس لساناً فقط وإنما هو عمل أيضاً.

٢ـ ما معناها وما إعرابها؟

أ ـ إمّا مفعول به بتقدير: اعملوا الشكر. مثلاً: لو أعطاك الله مالاً فتشكره ليس بأنْ تقول الحمد لله فقط، وإنما أن تؤدي حقّه، فإنْ لم تؤد حقه فأنت لست بشاكر ولو بقيت تشكر ربك كلاماً طوال عمرك، فالشكر عمل مع القول، وليس قولاً فقط.

ب ـ وقسم يجعل شكراً: حالاً. أي: اعملوا كونكم شاكرين. مثل ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾ [الأنفال:١٥] زحفاً: حال.

ج ـ وقسم يجعلها مفعولاً لأجله بتقدير: اعملوا لأجل الشكر، أنتم أعطاكم نِعَماً فاعملوا لتشكروه واللام لام التعليل، إذن صار مفعولاً لأجله.

٣ـ الشكر هو عمل بأنْ تؤدي الحقوق التي عليك فيما آتاك الله من النعم وأنْ تقوم به عملاً. أعطاك الله جاهاً فتنفع الناس بجاهك في الخير، أعطاك الله علماً وكتمته فأنت آثم، حتى لو قلت: الحمد لله على ما أعطاني من النعمة، إذا كنت كاتماً للعلم فأنت لست بشاكر. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ و(الشكور) مبالغة، وهو الذي يشكر ربه دائماً؛ لأنّ هذا متعلق بالأعمال ومتعلق باللسان.

٤ـ إذن (اعملوا شكراً) فيها جملة معانٍ، وهي مقصودة ومرادة، ولو قال: اشكروا شكراً، لكان معنى واحداً ، بينما هنا المفعول به والمفعول لأجله والمفعول المطلق والحال. أيُّها الأشمل؟ (اعملوا) أشمل؛ لاتساع دائرة الدلالة.

٥ـ وأيضاً قال: (اعملوا) وليس (افعلوا)، لأنّ العمل بقصد، ولو قال: (افعلوا آل داوود شكراً)، فليس بالضرورة أنْ يكون بقصد. وفي الحديث «**إنما الأعمال بالنيات**» فالله تعالى حكمه عام وكيف يشاء ولا أحد يحاسبه.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين رواسي وراسيات؟

الجواب :

وردت كلمة ﴿رَوَاسِيَ﴾ تسع مرات كلها بمعنى الجبال، بينما لم ترد كلمة ﴿رَّاسِيَاتٍ﴾ إلا مرة واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ﴾ [سبأ:١٣].

فلمّا أراد الاسمية جمعها جمع تكسير، ولمّا أراد الحدث جمعها جمعاً سالماً.

السؤال الثالث :

ما أهم دلالات هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الآية بشكل عام تصف سكن داود وسليمان، وهي أبنية ملكية.

فالمحاريب إشارة إلى الأبنية المرتفعة ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ والتماثيل ما فيها من نقوش.

والجفان الجواب، جمع جابية، وهي الحوض الكبير أو الخزان للماء والقدور الراسيات، أي ثابتات لا تنقل لكبرها يغرف منها الأكل ولا تحضر هناك.

٢ـ قدّم المحاريب، وهي الأبنية على التماثيل؛ لأنّ النقوش تكون في الأبنية، إشارة إلى وصف هذه الأبنية الملكية لبيان عظمتها.

٣ـ بيّن حال الجفان العظيمة، وأشار إلى القدور المناسبة للجفان، إشارة إلى الطعام وكميته.

٤ـ داود عليه السلام قتل جالوت والملوك الجبابرة، واستوى على الحكم فاشتغل في الحرب، وورث سليمانُ داودَ، وكان السِلم هو المسيطر في زمانه وإنْ حاربه أحد كان زمان الحرب يسيراً؛ لإدراكه إياه بالريح فكان في زمانه العظمة بالإطعام والإنعام.

٥ـ لمّا قال في الآية السابقة: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ وهي الدروع من الزرد قال هنا: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ وفي ذلك إشارة إلى عدم الالتفات إلى هذه الأشياء الدنيوية والاستغراق فيها، بل المطلوب الإكثار من العمل الصالح الذي يكون شكراً.

٦ـ لفظة﴿شُكْرًا﴾ منصوبة، فقد تكون: مفعولاً به ـ مفعولاً لأجله ـ أو مفعولاً مطلق ـ أو حالاً: أي شاكرين ـ أو مصدراً: أي: اشكروا شكراً، أو اعملوا الشكر، أو لأجل الشكر؛ أي اعملوا طاعة.

والمعنى أنّ الشكر ليس باللسان فقط وإنما هو عمل، لذلك ﴿ٱعْمَلُوٓاْ﴾ بحيث تؤدي الحقوق التي عليك فيما آتاك الله من النعم، فيكون الشكر عملاً مع القول، وليس قولاً فقط.

فوسّع دائرة الدلالة، ولو قال مثلاً: اشكروا شكراً، لأفاد معنى واحداً فقط.

٧ـ قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ إشارة إلى أنّ الله خفّف الأمر على عباده فكأن الله قال: إنْ كنتم لا تقدرون على الشكر التام، فليس عليكم في ذلك حرج، فإنّ عبادي قليل منهم الشكور.

٨ـ قوله: ﴿عِبَادِىَ﴾ مع الإضافة إلى نفسه هو تكريم من الله سبحانه في حق الناجين كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ﴾ [الزُّمَر:٥٣].

لذلك الشكر التام صعب جداً، وكأنّ الله يقول: يا عبدي ما أتيت به من الشكر القليل قبلته منك وكتبت لك أنك شاكر لأنعمي. وهذا القبول نعمة عظيمة لا أكلفك شكرها.

❁❁❁❁

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة كلمة (منسأته) في آية سورة سبأ؟

الجواب :

١ـ المنسأة هي العصا.

٢ـ نسأ في اللغة لها دلالتان :

أ ـ نسأ البعير إذا جرّه وساقه، والمنسأة هي عصا عظيمة تُزجر بها الإبل لتسوقها.

ب ـ ونسأ بمعنى: أخّر الشيء، ومنه ﴿ٱلنَّسِىٓءُ﴾.

٣ـ لماذا إذن استعمل كلمة منسأة، ولم يستعمل كلمة عصا؟

قلنا إنّ المنسأة لها معنيان، وهما سوق الإبل والتأخير. وفي قصة سليملن هذه العصا كانت تسوق الجنّ إلى العمل، مع أنّ سليمان كان ميتاً إلى أنْ سقطت العصا وسقط سليمان ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ فكما أنّ الراعي يسوق الإبل لتسير، فهذه المنسأة كانت تسوق الجنّ.

والمنسأة كأنها مدّت حكم سليمان، فهي أخّرت حكمه إلى أنْ سقط. فاستعمالها في قصة سليمان أفاد المعنيين، واستعمالها من الجهتين اللغويتين في غاية البيان من جهة السوق ومن جهة التأخير.

٤ـ أمّا في قصة موسى فاستعمل كلمة العصا ﴿قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [طه:١٨]ليهشّ بها على غنمه وبها رحمة بالحيوان، ولا يناسب استخدام كلمة (منسأة) فيها.

السؤال الثاني:

ما معنى القضاء؟ وما الفرق بينه وبين الحكم؟

الجواب :

١ـ القضاء يقتضي فصل الأمر على التمام، من قولك: قضاه إذا أتمه وقطع عمله.

* شواهد قرآنية :

ـ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ أي فصل الحُكم به.

ـ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي فصلنا الإعلام به.

ـ﴿قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ أي فصلنا أمر موته.

ـ ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ أي فصل الأمر به.

٢ـ وقولك: قضى إليه؛ أي أعلمه، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ﴾ أي أعلمناه.

٣ـ الحُكم يقتضي المنع عن الخصومة، من قولك: أحكمته إذا منعته. ويجوز أنْ يقال: الحُكم فصل الأمر على الأحكام بما يقتضيه العقل والشرع.

ويستعمل الحُكم في مواضع لا يستعمل فيها القضاء، كقولك: حُكم هذا كحُكم هذا، أي هما متشابهان في السبب أو العلة.

٤ـ وأحكام الأشياء تنقسم إلى قسمين: حُكم يُردّ إلى أصل، وحُكم لا يُردّ إلى أصل؛ لأنه أول في بابه.

❋❋❋❋

﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ﴿١٥﴾﴾

السؤال الأول:

من سبأ؟ وما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ (سبأ) عَلَمٌ على رجل اسمه (عمرو بن عامر)، وكان له عشرة أولاد ذهب ستة منهم إلى اليمن وأربعة إلى الشام. واسم سبأ كان علماً على شخص تعدّى إلى أنْ صار اسماً لقبيلة، ثم اسماً للمكان الذي يسكنونه.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فِى مَسْكَنِهِمْ﴾ المكان الذي يعيش فيه الإنسان يسمى: (سكن أو بيت أو منزل).

أ ـ فالسكن فيه دوامٌ واستقرار، وتتوفر فيه مقومات الحياة والأمن، وفي القرآن على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾.

ب ـ المنزل هو استراحة تنزل فيه مرة أو عدة مرات ثم ترحل عنه ولا تقيم فيه إقامة دائمة. كما قال الصحابي الجليل الحباب بن المنذر قبيل معركة بدر: يا رسول الله: أهذا منزل أنزلكه الله؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟

ج ـ البيت: يلاحظ فيه البيتوتة، والإنسان لا ينام نوماً مريحاً إلا في مكان يأمن فيه على نفسه وعلى ماله؛ لأنّ الخائف والجوعان لا ينامان.

٣ـ كلمة ﴿ءَايَةً﴾ معناها الشيء العجيب النادر، ولم يقل الله آيتين للجنتين لأنّ الآيتين آية واحدة، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ فلم يقل: آيتين؛ لأنّ الأمر العجيب الذي جمعهما واحد، فعيسى عليه السلام ولد من لا ذكورة، وأمه حملت وولدت كذلك من لا ذكورة.

٤ـ قوله: ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ كانت إحدى الجنتين عن يمين الوادي والأخرى عن شماله، وكانتا آية في ثمارها وطيب أرضها وليس فيها هوام.

٥ـ قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ أي من هاتين الجنتين؛ لأنّ الثمر طيب حلو لايصيبه العطب سريعاً؛ ولذلك يجب شكر الله على هذه النعمة؛ لأنها رزق الله من دون أسباب.

وقد قيل إنّ المرأة كانت تمشي فيها وعلى رأسها مكتل فيمتلىء وما مسته بيدها. لذلك طلب الله منهم أنْ لا يغتروا بالنعمة فيظنوا أنها أصبحت ملكاً أصيلاً لهم، لكنهم لم يشكروا وأعرضوا وأترفتهم النعمة، أي: غرتهم النعمة، ونسبوها إلى أنفسهم ونسوا المنعِم فأرسل الله عليهم سيل العرم فأهلكهم.

ومن العجيب أنّ الله جعل من الماء كل شيء حي، لكنّ الله إذا أراده وسيلة هلاك أهلك، وبه أهلك الله قوم نوح و وبه أهلك فرعون وجنوده وهذا من طلاقة القدرة، حيث يوجه الشيء للحياة فيُحيى وللهلاك فيُهلك.

السؤال الثاني :

وصفت البلدة في آية الفرقان٤٩ ﴿بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا﴾ بالتذكير، ووصفت في سبأ ١٥ ﴿بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ﴾ بالتأنيث؟ فما دلالة ذلك؟

الجواب :

التذكير تارة يكون باعتبار اللفظ، وتارة باعتبار المعنى، كقوله تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ﴾ و ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾.

وأيضاً فإن ما فيه روح يقال له: ﴿مَّيِّتٖ﴾ بالتشديد، و ما لا روح فيه يقال له: (ميْت) بالتسكين.

❁❁❁❁

﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما معنى قوله تعالى: ﴿وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ﴾؟

الجواب :

المراد هل يُجازى بسبب الظلم والمعاصي إلا الكفور؛ لأنّ المؤمن قد يعفى عنه، فلا يجازى بمعصية تفضلاً عليه ولشرف إيمانه.

❁❁❁❁

﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ أهل سبأ لم يعجبهم أنْ قارب الله لهم بين القرى، فطلبوا من الله أنْ يباعد بين هذه القرى، بحيث لا يستطيع السفر فيها إلا الأغنياء وأصحاب المطايا القوية فقط؛ لأنّ قرب المسافة بين القرى شجّع الفقراء على السفر لرحلة الشام.

٢ـ هذا هو بطرٌ لنعمة الله عليهم، وظلموا أنفسهم؛ لأنهم حرموا من الراحة التي حباهم الله إياها.

ونظرتهم في هذه المسألة نظرة اقتصادية فيها جشع وطمع، فهم يريدون أنْ يحرموا الفقراء والضعفاء من السفر معهم، فيستأثر الأغنياء بالتجارة ويحتكروها، وهذا يدل على عدم اكتمال الإيمان في نفوسهم؛ لأنّ الإيمان لا يكتمل حتى يحب المؤمن لغيره ما يحبه لنفسه.

٣ـ كانت عاقبة هذا الجشع والطمع ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي أحدوثة يتحدث بها الناس، فجعلهم الله عبرة لغيرهم حتى صارت سيرتهم مثلاً؛ ولذا يقال في المثل العربي الدال على التفرق (تفرقوا أيدي سبأ) والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما دلالة استخدام صيغة﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾؟ ولماذا جاءت صبّار مقدّمة على شكور؟

الجواب :

انظر الجواب في آية لقمان ٣١.

❁❁❁❁

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ ﴾ تأكيدان: (اللام) و(قد)؛ أي حقّق وأكّد إبليس ظنه.

٢ـ هذا الظن من إبليس ليس علماً بالغيب، وإنما قياس قاس به ذرية آدم على أبيهم، بمعنى أنه قدر على أبيهم بإغوائه وإخراجه من الجنة فهو على ذريته أقدر، وهذا قياس؛ ولذلك سماه ظناً.

فلمّا قدر إبليس على ذرية آدم وأغواهم بالفعل قال: ظني جاء في محله.

٣ـ ثم يأتي بعد ذلك هذا الاستثناء ﴿إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مطابقاً للاستثناء الأول ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

❁❁❁❁

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ ـ الشفع هو اثنان؟ وهو يقابل الوتر، وسميت شفاعة؛ لأنّ صاحب الحاجة واحد، وإذا انضم إليه الشافع فهما اثنان.

وقال العلماء: للشفاعة شروط منها :

أ ـ شرط في المشفوع له أنْ يكون من أهل التوحيد.

ب ـ شرط في الشافع، وهو أنْ يُؤذن له بالشفاعة، فلا يقوم الشافع فيشفع مباشرة، وإنما ينتظر أنْ يُؤذن له بها. وهنا يضطرب المشفوع له ويفزع ويكون قلقاً. يا تُرى أيُؤذن للشافع أم تُرد شفاعته؟

لذلك يقول الله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي أُزيل عنها الفزع؛ لأنّ التضعيف في﴿فُزِّعَ﴾ أفاد إزالة الحدث المأخوذ منه الفعل، كما تقول: (مرّضه) يعني أزال مرضه، و(قشّر) البرتقالة؛ أي أزال قشرتها.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾، ولم يقل (تُقبل) فانتفى نفع الشفاعة لا قبولها، وفرق بين أنْ توجد الشفاعة وأنْ تنفع الشفاعة.

٣ـ قوله تعالى: ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾ أي قال القول الحق، وأَذن بالشفاعة لمن ارتضى.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ فالله عليٌّ في أي قرار يتخذه، وكبيرٌ بمعنى أنه تعالى أكبر من الشافع، وأكبرمن المشفوع له، فلا يعبأ بشافع مهما كانت منزلته ولا بمشفوع له مهما كانت ذلته؛ لأنه سبحانه العلي الكبير.

❁❁❁❁

﴿ ۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال الحرف (على) مع الهداية والحرف (في) مع الضلال؟

الجواب :

استعمل مع الهداية حرف الاستعلاء [على] ومع الضلال [في]؛ وذلك لأنّ من كان على الهدى كان مستعلياً على الحق ومتمكناً منه ومتثبتاً مما هو فيه، بخلاف من كان في الضلالة؛ إذ هو كأنه ساقط فيها والساقط في الشيء غير متمكن من نفسه؛ لذا جاء مع الهدى بحرف الاستعلاء [على] ومع الضلال بـ[في].

جاء في كتاب الكشاف للزمخشري : فإنْ قلت كيف خُولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال؟ قلت: لأنّ صاحب الحق كأنه مستعلٍ على فرس جواد يركضه حيث يشاء، والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجه.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي قل لهم يا محمد هذا السؤال، وهم لن يجيبوا؛ لذلك أجاب الله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ فهذه حقيقة لا يستطيعون مجابهتها، ولو اعترفوا بها لقلنا لهم إذن: لماذا لم تؤمنوا بالله وهو رازقكم؟ أي اعترافهم بهذه الحقيقة يلزمهم الحجة.

٢ـ الهدى: هو الدلالة على الخير والطريق إليه. والضلال: أنْ تضل عن الخير والدلالة إليه.

والهدى والضلال من التناقضات في الدين، والمتناقضان لا يجتمعان أبداً.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي الرسول يقول لهم: أنا وأنتم على النقيض، إنْ كان أحدنا على الهدى فالآخر في ضلال.

٤ـ الحرف ﴿عَلَىٰ﴾ يفيد الاستعلاء كأنه مطية توصلك للخير المطلوب وللطريق المستقيم وإلى الجنة والنعيم.

أمّا الحرف ﴿فِى﴾ فيظهرها كأنها ظلمة تحيط بالضال، وهو يتخبط فيها.

٥ـ ومعنى ﴿مُّبِينٍ﴾ أي واضح بيّن.

❁❁❁❁

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الآيتين﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سبأ:٢٥] و﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [هود:٣٥]؟ وما دلالة نسب الإجرام للمؤمنين والعمل لغير المؤمنين؟

الجواب :

انظر الجواب في آية هود ٣٥.

السؤال الثاني :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

الآية ٢٥:

هذا تلطف وارتقاء في حجاج الكفار، ويُظهر مدى حرص النبي ﷺ على أنْ يستل الضغينة من نفوس الكفار.

١ـ قوله تعالى: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ فلم يسو الرسول هذه المرة بين الطرفين، فجعل الإجرام في جانبه ولم يقل عن الكفار: (تجرمون)، بل قال: ﴿تَعْمَلُونَ﴾.

٢ـ لفظة ﴿أَجْرَمْنَا﴾ بالماضي، كأنّ الإجرام حدث بالفعل، ومعهم كانت اللفظة﴿تَعْمَلُونَ﴾ بصيغة المضارع؛ ليدل على أنه لم يحدث منهم شيء بعد وهذا تلطف آخر وارتقاء بالنقاش وتودد إلى الخصم علّه يرعوي ويتوب ويؤمن فيفرح الله به.

٣ـ هذا الأسلوب لا يأتي إلا من المجادل القوي الحجة.

٤ـ لسائل أنْ يسأل: كيف يأمر الله تعالى نبيه ﷺ أنْ ينسب الإجرام إلى نفسه؟ قالوا لأنّ الجُرم يختلف باختلاف المخاطب به، كما قالوا: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

الآية ٢٦:

١ـ حيث إنّ الرسول يتكلم بالحق والكفار يتلاعبون بالباطل تنتهي المناقشة في الآية السابقة إلى أنْ الله يفصل بيننا وبينهم يوم القيامة في محكمته الإلهية بعد أنْ يجمع الله الجميع عنده للحساب والجزاء.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ أي الذي يحكم عن علم كامل، ولا تخفى عليه خافية.

٣ـ سُمي الحكم فتحاً؛ لأنه يفتح فرجة بين شيئين متشابكين بحيث يلتبس الحق بالباطل فيأتي الحكم يفتح بينهما، ولا يفتح بين الحق والباطل إلا الله تبارك وتعالى.

❁❁❁❁

﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى ﴿ قُلۡ أَرُونِيَ ﴾ الرسول كان يرى هذه الأصنام التي كان الكفار يعبدونها ويستحيون أنْ يشيروا إليها؛ لأنهم يعلمون أنها أحجار صماء لا تضر ولا تنفع.

٢ـ قوله تعالى: ﴿أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ من الإلحاق، وهو أنْ تأتي بشيء جديد تلحقه بشيء ثابت، فكأنّ ألوهية الله هي الألوهية الثابتة الحقة.

٣ـ لفظة ﴿بَلۡ﴾ تفيد الإضراب عما قبلها وإثبات الحكم لما بعدها، فالإله الحق هو الله.

٤ـ الضمير ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن، ولا ينصرف إلا لغائب واحد هو الموجود الأعلى سبحانه.

❁❁❁❁

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الفعل ﴿ أَرۡسَلۡنَٰكَ ﴾ أي جعلناك رسولاً، وهو الرسول الخاتم الذي جاء ليعالج كل الداءات في كل المجتمعات، بعد أنْ أصبح العالم مهيئاً ليكون قرية واحدة.

٢ـ معنى أنه خاتم الرسل أنه مشهود له، وليس شاهداً لغيره.

٣ـ لفظة ﴿كَآفَّةً﴾ هي وصف للناس، بمعنى: جميعاً، أو هو وصف للرسول عليه السلام، بمعنى: كافٌّ للناس عن الشر.

وكلمة ﴿كَآفَّةً﴾ من كف الشيء يكفه فهو كاف، وزيدت التاء للمبالغة كما في عالم وعلاّم وعلامة، كما في قوله تعالى: ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

فإن قلت: لماذا لم يقل علامة؟ نقول: لأنّ علم الله تعالى لا يترقى بلاغة.

٤ـ قوله تعالى: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ البشارة هي أنْ تخبرأحداً بخير لم يأت أوانه بعد، ويقابلها النذارة، وهي أنْ تخبر بشر لم يأت أوانه بعد.

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾يعني أنّ القلة المؤمنة هي التي تعلم، وهي التي تتمسك بالحق وتسعى إليه، فهي موجودة في كل زمان ومكان وإنْ قلّتْ.

❁❁❁❁

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في عدم ذكر الجواب فى بعض آيات القرآن الكريم؟ كما في هذه الآية؟

الجواب :

قد يُحذف للتعظيم، وهذا ورد كثيراً في القرآن، كما حذف جواب القسم في أوائل سورة ق: ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ [ق:١]. وكما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝٣١﴾ [سبأ:٣١]وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ [الانشقاق:١] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٥٠﴾ [الأنفال:٥٠]

وذلك حتى يذهب الذهن كل مذهب، وهذا أمر عظيم فهناك من يستدعي العقوبات.

السؤال الثاني :

ما أهم دلالات هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قول الكفار: ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾يدل على لجلجتهم وتخبطهم؛لأنهم أقروا بالقرآن، والاعتراض هوعلى من نَزَلَ عليه القرآن لقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝٣١﴾ [الزُّخرُف:٣١]ومثله قولهم: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ...﴾ وقديماً قيل: إنْ كنت كذوباً فكن ذكوراً أي تذكَّر ما قلت.

٢ـ أداة الشرط ﴿لَوْ﴾ تحتاج إلى جواب، وهذا الجواب حُذف من سياق الآية؛ ليدل على التهويل والتفظيع، أي بتقدير: لرأيت أمراً عظيماً.

فقد حُذف الجواب لنأخذه نحن على المحمل المخيف؛ لأنه لو حكى واقعاً لجاء على لون واحد وهيئة واحدة.

٣ـ قوله تعالى: ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ﴾ من المراجعة فواحد يقول، والآخر يرد كلامه. والمراجعة هنا بين السادة الكبار الأقوياء والضعفاء؛ ذلك لأنّ الضعف والاستكبار والتبعية كان كل منها في الدنيا أمّا في الآخرة فقد تساوت الرؤوس، وكلاهما خائب خاسر.

❁❁❁❁

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الحسرة ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ [مريم:٣٩]والندامة﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾[سبأ:٣٣]؟

الجواب :

١ـ الحسرة :هي أشد الندم، حتى ينقطع الإنسان من أنْ يفعل شيئاً. والحسير هو المنقطع. وفي القرآن الكريم :﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [المُلك:٤] ارجع البصر كرتين، ثم ارجع البصر، فالحسير هو المنقطع. وقوله تعالى: ﴿يَـٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾[يس:٣٠] هذه أكبر الحسرات على الإنسان، وليس هناك أكبر منها.

٢ـ النَّدم: قد يندم على أمر، وإنْ كان فواته ليس بذلك، لكنّ الحسرة هي أشد الندم والتلهف على ما فات، حتى قالوا: ينقطع تماماً. ويقولون هو كالحسير من الدواب الذي لا منفعة فيه.

وفي قصة ابني آدم قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة:٣١]

والندم له درجات أيضاً، ولكنّ الحسرة أشد الندم، وهي من الندم، لكنْ أقوى من الندم، حيث يبلغ الندم مبلغاً. وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ أي منقطعة ولا فائدة من الرجوع مرة ثانية.

❊❊❊❊

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ ذُكرت النذارة في هذه الآية ولم تُذكر البِشارة؛ لأنّ الحديث فيها عن قرية استشرى فيها الفساد بحيث لم يعد لها إلا النذارة. أمّا البشارة فتكون في عموم الدعوة.

٢ـ قوله تعالى: ﴿قَرۡيَةٖ﴾ أي في أهل قرية.

٣ـ قوله تعالى: ﴿مُتْرَفُوهَآ﴾ من الفعل (أترف)؛ أي أنّ النعمة أطغته وفتنته فكانّ الترف استدراجاً من الله للعبد. أمّا الفعل: (ترف) يترف أي تنعَّم.

٤ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم﴾ دل على غبائهم؛ لأنهم لم يقولوا بما جئتم به أو بما ادعيتموه؛ لذلك هم يعترفون بأنهم مرسلون، فهذه كلمة الحق ساقها الله على ألسنتهم.

❊❊❊❊

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

السؤال الأول :

وردت (يبصط) بالصاد مرة واحدة في كل القرآن في آية سورة البقرة ٢٤٥، بينما سائر ما في القرآن وردت ﴿يَبْسُطُ﴾ بالسين، فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٤٥.

السؤال الثاني :

ما أحوال الناس في الرزق في مثل هذه الآيات؟

الجواب :

أحوالهم ثلاثة :

١ـ من يُبسط رزقه تارة ويُضيق عليه أخرى، كما جاء في آية العنكبوت٦٢، وهنا يأت ﴿وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾.

٢ـ يوسّع على قوم مطلقاً، مثل حال قارون لا لكرامته، ويضيّق على قوم مطلقاً، كالأنبياء الفقراء منهم لا لهوانهم. ويفهم ذلك من آية القصص٨٢.

٣ـ الإطلاق من دون تعيين بسط ولا قبض، أي: مطلق من غير تعيين.

السؤال الثالث :

لماذا قال في آية سبأ ٣٦ ﴿وَيَقْدِرُ﴾ وقال في آية سبأ ٣٩ ﴿وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾؟

الجواب :

ذكر ربنا في السورة قسمين من العباد :

أـ قسماً بسط الله لهم الرزق ولم يقدره عليهم كداود وسليمان عليهما السلام.

ب ـ قسم بسط الله لهم الرزق ثم قدره عليهم، أي ضيقه، مثل قوم سبأ: انظر الآيات[١٥ـ١٧].

فناسبت كل آية قسماً من المذكورين في السورة.

السؤال الرابع :

لماذا قال في آية سبأ ٣٩: ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ ولم يقل مثل ذلك في آية سبأ ٣٦ ؟

الجواب :

١ ـ قيل إنّ الآية ٣٦ في الكافرين، والثانية ٣٩ في المؤمنين، وقوله: ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ مشعر بذلك.

٢ ـ ختم الآية ٣٦ بالكلام عن الناس، وختم الآية ٣٩ بالكلام عن المؤمنين المنفقين، وهم أخص من الأولين؛ لأنهم جزء منهم.

ولذلك أطلق في الآية ٣٦ ولم يقل (من عباده)، وخصّص في الآية ٣٩ فقال: ﴿مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓ﴾، فناسب العموم العموم والخصوص الخصوص.

والله أعلم.

السؤال الخامس :

اختار كلمة ﴿رَبِّي﴾ في آية سورة سبأ، وكلمة ﴿ٱللَّهِ﴾ في آية سورة العنكبوت، فلماذا؟

الجواب :

السبب - والله أعلم - أنّ لفظ (الرب) قد ورد في سورة سبأ أكثر مما في ورد في العنكبوت، ولفظ (الله) ورد في سورة العنكبوت أكثر مما ورد في سورة سبأ. انظر الجدول التالي :

اللفظ	سبأ	العنكبوت
الرب	١٤ مرة	٥ مرات
الله	٨ مرات	٤٢ مرة

فانظر إلى هذا الاختيار العجيب في استعمال الكلمات.

❁❁❁❁

﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الفعل المضارع (يسعون) في قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨﴾ [سبأ:٣٨]؟

الجواب :

الفعل المضارع له أزمنة كثيرة، فقد يكون للمضي، كما في الآية: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ أو للحال أو الاستمرار أو الاستقبال.

فهو إذن له زمن متّسع اتساعاً كبيراً. وهنا في الآية استعمل للمزاولة المستمرة، وليس بالضرورة ما كان في المستقبل فقط، ولو قال: (سعوا) لاحتمل أنْ يكون هذا الساعي تاب ولا يقام عليه هذا الأمر، لكنّ الذي هو مستمر هو الذي يُقام عليه الأمر.

وقد ورد هذا الفعل﴿يَسْعَوْنَ﴾ بصيغة المضارع أيضاً في سورة المائدة في الآيتين [٣٣ و٦٤].

❊❊❊❊

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٣٩﴾

السؤال الأول :

ما أحوال الناس في الرزق في مثل هذه الآيات؟

الجواب :

انظر الجواب في آية سبأ ٣٦.

السؤال الثاني :

قال في آية سبأ ٣٦ ﴿وَيَقْدِرُ﴾، وقال في آية سبأ ٣٩ ﴿وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية سبأ ٣٦.

السؤال الثالث :

لماذا قال في آية سبأ ٣٩ ﴿مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾، ولم يقل مثل ذلك في آية سبأ ٣٦؟

الجواب :

انظر الجواب في آية سبأ ٣٦.

السؤال الرابع :

اختار كلمة ﴿رَبِّي﴾ في سورة سبأ وكلمة ﴿ٱللَّهُ﴾ في سورة العنكبوت، فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية سبأ ٣٦.

❁❁❁❁

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ﴾ أي: واذكر يوم يحشرهم جميعاً.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ خصّ الملائكة بهذا السؤال؛ لأنهم أعلى الأجناس التي عُبدت من دون الله وأقربهم إلى الله، فالمشركون يظنون أنّ الملائكة لهم كلمة عند الله، ويمكن أنْ يشفعوا لهم عنده؛ ولذلك قالوا عنهم: بنات الله.

ووجِّه السؤال للملائكة المعبودين، ولم يُوجه للعابدين الذين أشركوا؛ لأنّ الحق أراد أنْ يسمع المشركون الرد من الملائكة أنفسهم لتكون الحجة عليهم أبلغ.

٣ـ الجن: هو الجنس الذي يقابل الإنس، وسُمي بالجن لأنه مستور عنا يرانا ولا نراه.

❁❁❁❁

﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في استخدام ﴿ٱلَّذِى﴾ مرة، كما في آية السجدة ٢٠ ومرة ﴿ٱلَّتِى﴾ كما في آية سبأ ٤٢ مع عذاب النار؟

الجواب :

في سورة السجدة الخطاب موجّه للفاسقين و﴿ٱلَّذِى﴾ يشير إلى العذاب نفسه.

أمّا في سورة سبأ، فقال تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [سبأ:٤٢] فالخطاب في هذه السورة موجّه إلى الكافرين و﴿ٱلَّتِى﴾ مقصود بها النار نفسها. فالفاسق يمكن أنْ يكون مؤمناً ويمكن أنْ يكون كافراً، فهو لا يُكذّب بالنار، إنما يُكذّب بالعذاب. أمّا الكافرون فهم يُكذّبون بالنار أصلاً، ولا ينكرون العذاب فقط وإنما يُنكرون النار أصلاً.

السؤال الثاني :

متى يأتي الضر قبل النفع في القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١٨٨.

❁❁❁❁

﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما أهم دلالات هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ في الآية حدة الأسلوب خلافاً لما سبقها من الآيات، وكأنّ الحق يقول لهم: لا تظنوا أننا سنظل نتودد لكم، فالدين سيُظهره الله رغم عنادكم والحق سيعلو رغم كفركم.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ قُلْ ﴾ أي رداً عليهم، بعد أنْ أعطاكم الله الفرصة، وبعد أنْ طال تمردكم، فالآن ربي سيقذف بالحق.

٣ـ قوله تعالى: ﴿يَقْذِفُ﴾ القاذف هو الله بقدرته وعلمه، وهو عالم بكل غيب يؤثر على مسار المقذوف، وهذه العملية لا تخطىء.

والمقذوف الحق لا بد أنْ يصل إلى صاحبه المختار له لا إلى سواه.

٤ـ في هذه الآية رد على بعض طوائف الشيعة، وهم أصحاب (العلباء بن ذراع الدوسي)، وكان يفضل علياً على النبي ﷺ فزعم أنّ الوحي أخطأ فنزل على محمد بدل أنْ ينزل على علي رضي الله عنه.

٥ـ قوله تعالى: ﴿ٱلْغُيُوبِ﴾ تدل هنا على كثرة المؤثرات التي يمكن أنْ تعترض القذيفة فتحول بينها وبين هدفها، وهذه المؤثرات لا يعلمها إلا الله.

٦ـ فإن قلت الفعل ﴿يَقْذِفُ﴾ بالمضارع أي الحال أو المستقبل فهل قذفه إلى رسول الله؟

تأتي الإجابة في الآية التالية ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ أي قذفه بالفعل في صورة القرآن الذي نزل على محمد الذي اختاره الله لحمل الرسالة.

٧ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ أي أنّ الباطل ما هو إلا وهم وخيال في أذهان أصحابه لا وجود له، فلا يبدىء في الأولى؛ أي الدنيا ولا يعيد في الأخرى.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ ﴾ أسلوب شرط وَرَدَ عدة مرات في القرآن الكريم، كما في الآيات: [سبأ ٣١ـ الأنعام ٢٧] ولم يُذكر له جواب؛ لأنّه معلوم من السياق.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَلَا فَوْتَ ﴾ أي لا مهرب ولا نجاة. والإنسان قد يفزع ويخاف، لكنْ قد يستطيع الهرب أو ربما ينقذه أحد، أمّا هؤلاء فسوف يفزعون دون منقذ ودون مهرب ولا مفر. وهذا يشفي صدرك وصدور المؤمنين الذين أوذوا معك في سبيل نشر دعوة الحق.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ أخذوا؛ أي أهلكوا و ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ هو يوم القيامة، يعني أنّ الله لم يترك لهم بحبوحة، إنما أخذهم من الحساب إلى النار والعياذ بالله تعالى.

❁❁❁❁

﴿ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الايتين؟

الجواب :

١ ـ المشهد هو في الآخرة وليس في الدنيا، بدليل قوله تعالى قبل ذلك ﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ وهو مكان الحساب يوم القيامة، فلم يترك لهم الحق بحبوحة، إنما أخذهم من الحساب إلى النار.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي بعد أنْ شاهدوا أهوال القيامة قالوا ذلك حيث لا ينفع إيمان.

٣ـ قوله: ﴿وَأَنَّىٰ﴾لها معنيان: منهما التعجب وهو المقصود هنا، والمعنى الثاني: من أين؟

٤ـ قوله: ﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾أي التناول عن قرب، وقيل عن بعد. والمقصود به تناول الإيمان.

أي كيف لهم الإيمان الآن وهم في موقف البعث والحساب، وقد كان الإيمان قريباً منهم في الدنيا ولم يؤمنوا، أمّا الآن فهو أبعد ما يكون عنهم.

٥ـ لمّا جعل الله تعالى الفعل مأخوذاً كالجسم، جعل ظرف الفعل وهو الزمان كظرف الجسم وهو المكان، فقال: ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ والمراد به ما مضى من الدنيا.

٦ـ قوله: ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ هو القرآن أو الإيمان بالحق الذي جاء به الرسول عليه السلام من ربه، وكانوا هم في الدنيا محل الإيمان والتكاليف فكفروا به.

٧ـ قوله: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ أي كانوا يتكلمون بالظن فيما لا علم لهم به.

والقذف في الأصل هو الرمي. وقذف هؤلاء من مكان بعيد ، و القذف من بعيد لا يصيب الهدف، وهم في قذفهم لا يعلمون الغيب.

ومن ذلك كانوا يقولون بأنّ الساعة حتى إذا كانت قائمة فالثواب والنعيم لنا. وهذا القذف في الدنيا من مكان بعيد عن الآخرة وهم غير مؤمنين بها أصلاً، فكيف يصيبون ما يقولون؟ !!!

السؤال الثاني :

ما معنى هذه الآية ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾ ؟

الجواب :

هذه الآية فيها دلالتان:

١ـ الأولى، قال: ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ﴾ هم الآن في الآخرة ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ وحتى قيل: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِى شَكٍّۭ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾ ﴾ [سبأ:٥٤].

فهم كفروا بالله وهم في الدنيا.

٢ـ الثانية :أنهم ذكروا من صفات الله والشرك. فقسم قال: الملائكة بنات الله، وقسم قال: لله ابن، وقسم ذكروا أموراً أخرى عن صفات الله، ومثلهم كمثل واحد يقذف نحو شيء لا يعلم أين هو حتى يرميه، ودون أنْ يدرك مقدار المسافة عن الشيء حتى

يصيبه، وهذا مثل الكافرعندما يقذف بالغيب، وهو لا يعلم أين هو؟ والمكان بعيد فكيف يصل إليه؟ فهؤلاء يرجمون الكلام عن الله تعالى جزافاً.

لذلك قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ فهم كفروا بالله، وقوله تعالى: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ هم هكذا كانوا في الدنيا، يقذفون بالغيب، أي يرجمون الكلام عن الله تعالى جزافاً. وهذا تصوير عجيب لا يعلمون بما يرمون، ولا أين يرمون، ولا يعلمون هو في أي وجهة ويرمون من مكان بعيد!.

❁❁❁❁

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِي شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ﴾أي فُصِل أو مُنع من أنْ ينال مراده.

٢ـ قوله تعالى: ﴿مَا يَشْتَهُونَ﴾وهي شهوة النفس من الكفار بأنْ يطمسوا دعوة الحق؛ لتبقى لهم السيادة التي نهبوها على حساب الضعفاء، لكنّ الله لم يمكّنهم من طمسها.

وهذه الشهوة من النفس لا مدخل للشيطان فيها، لماذا؟ لأنهم كفروا بالله وفرغ الشيطان منهم، فلم تبق إلا شهوات النفس، فاشتهوا أنْ يطمسوا الدعوة ويذلّوا من آمن بها، لكنّ الله حال بينهم وبين ما اشتهوا.

٣ـ قوله تعالى: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ يعني هذه القضية ليست خاصة بكفار مكة، إنما هي سنة متبعة في الأمم السابقة من أشياعهم وأمثالهم.

٤ـ الكفار معتقدون أنّ الله هو الخالق، لكنهم شاكون في مسألة البلاغ عن الله، وأنها جاءت على لسان محمد ﷺ؛ لذلك فهم في شك يُوقع في الارتياب كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ والله أعلم.

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة سبأ مع خواتيمها:

١ ـ قال في أوائل السورة:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾.

وقال في أواخرها:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ﴾.

فذكر في البدء الكافرين وإنكارهم للساعة.

وذكر في أواخرها حدوثها وحصولها، وذّكر الكافرين بها من قبل وقد أعلنوا إيمانهم حين لا ينفع الإيمان في ذلك الحين.

٢ ـ قال في أوائلها:

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [سبأ:٤].

وقال في آخرها: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ:٥٤].

فذكر في البدء أنّ للذين آمنوا الرزق الكريم.

وذكر في الأخير أن الكافرين حيل بينهم وبين ما يشتهون.

فكأنهما آيتان متتاليتان.

وقال في أول السورة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْآخِرَةِ﴾ [سبأ:١]. فذكر أنّ له الحمد في الآخرة.

وقد ختمت السورة بالكلام عن الآخرة. والله أعلم.

سورة فاطر

أولاً ـ تناسب خواتيم سبأ مع فواتح فاطر:

ذكر سبحانه في خاتمة سبأ عاقبة الكافرين، فقال:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾ [سبأ:٥١-٥٤].

وقال في أوائل فاطر:

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [فاطر:٤-٧].

فالموضعان في عاقبة الكافرين.

جاء في البحر المحيط: ((لمّا ذكر تعالى في آخر السورة التي قبلها ـ يعني سورة سبأ ـ هلاك المشركين أعداء المؤمنين وأنزلهم منازل العذاب تعيّن على المؤمنين حمده تعالى وشكره لنعمائه ووصفه بعظيم آلائه، كما في قوله تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام:٤٥].

ويعني بذلك مفتتح سورة فاطر والآيات التي بعده، وهي قوله سبحانه:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ... ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر:١-٣].

ثانياً ـ هدف السورة: الاستسلام لله هو سبيل العزّة.

سورة فاطر مكيّة نزلت قبل هجرة الرسول ﷺ. الاستسلام لله هو كمال الطاعة، والاستسلام لله ليس مذلة، وإنما هو عزّ، فالعبودية للبشر ذلٌّ وصغار والعبودية لله تعالى رفعة وعزّ، فالعزّة تبدأ بالاستسلام لله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر:١٠].

والناس مهما كانوا وتعاظموا فهم الفقراء والله تعالى هو الغني: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر:١٥].

ثم تتحدث آيات كثيرة في السورة (الآيات ١، ٢، ٣، ٩، ١١، ١٢، ١٣، ٢٧، ٢٨، ٤١، ٤٤) عن آيات الله تعالى في الكون ودلائل القدرة والسيطرة على هذا الكون الفسيح، وكأنما في هذا تأكيد على أنّ الاستسلام لخالق هذا الكون وما فيه ومن فيه لا يمكن أنْ يكون ذلاً أبداً، إنما هو عزٌّ ما بعده عز أنْ أستسلم وأخضع لمن خلق السموات والأرض، وخلق الأكوان والخلق والكائنات على اختلافها، وكل هذه المخلوقات تشهد بعظمة الخالق وتنطق بعظمة الواحد القهّار، فتبارك الخالق رب العالمين.

وإنْ كان أحدنا يستسلم لرأي طبيبه ويرى أنه هو الصواب، وعليه أنْ ينفّذ التعليمات كما وصفها وهو بشر لا يملك أنْ يضر أو ينفع إلا بإذن الله ولا يسأله ما الحكمة من وراء هذا العلاج بالذات ويخضع لأمره دون مناقشة، ثم يعترض على خالق الخلق بأنْ لا يستسلم بالكلّية لأوامره، وهو القدير الحكيم العليم. يا لجهالة البشر بخالقهم، صدق تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾.

سميّت السورة بـ (فاطر) لذكر هذا الاسم الجليل في طليعتها؛ لما يحمل هذا الوصف من دلائل الإبداع والإيجاد من عدم، ولما فيه من التصوير الدقيق الذي يشير لعظمة الله وقدرته الباهرة وخلقه المبدع في هذا الكون.

❁❁❁❁

ثالثاً ـ من اللمسات البيانية في السورة :

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ ـ الرحمة إنْ أرادها الله لعبد فلا أحد يمنعها عنه، فهو يعطي ويمنح، ولا مانع ولا حابس لها.

٢ـ قال: ﴿ مَا يَفْتَحِ ﴾، ولم يقل مقابلها: ما يغلق، بل قال: ﴿وَمَا يُمْسِكْ﴾؛ لأنّ المُغلَق ربما تمكّن أحد من فتحه بالحيلة أو القوة. أمّا ﴿وَمَا يُمْسِكْ﴾ فلا أحد يستطيع أنْ ينال شيئاً أمسكه الله تعالى.

٣ـ من معاني الرحمة (الرسالة) لرسول الله ﷺ.

٤ـ علة قوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾أنه واحد لا شريك له ولا إله غيره، ولو كان معه إله آخر لكان له رأي آخر. لذلك الحق وحده يتصرف في ملكه تصرف من لا شريك له.

ولذلك زيّل الآية بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فهو عزيز لا يُغلب ولا يُمانع وعزته ليست صادرة عن بطش أو ظلم، إنما صادرة عن حكمة، فهو حكيم في عطائه .

❋❋❋❋

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى في آية المؤمنون ١٤ : ﴿أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ وظاهر اللفظ يوهم أنّ هناك خالقين آخرين ، بينما يقول الله في فاطر٣ ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾، هل يوجد تناقض؟

الجواب :

المراد بالخلق التقدير. ويطلق الخلق على التقدير لغة، كقوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾، لكنْ عند الإطلاق هو مختص بالله تعالى. كالرب يطلق على رب المال والدار، وعند الإطلاق يكون لله تعالى.

❁❁❁❁

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما قضية الشيطان مع ابن آدم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ٢٠.

السؤال الثاني :

هل عداوة الشيطان للإنسان هي عداوة عامة؟ وما هدفه؟.

الجواب :

عداوة الشيطان للإنسان عداوة عامة في كل شيء، وهدفه سوق الإنسان إلى الانحراف والمعاصي والضلال حتى يدخله موارد الهلاك فيدخله النار في الآخرة.

ولذلك أعلمنا الله بأنه عدو لنا، وعلينا أنْ نتخذه عدواً.

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الأسلوب في ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ ﴾أسلوب استفهام، لكن لم يذكر المقابل له، وتقديره: هل يستوي ومن لم يُزَين له سوء عمله؟

والحق لم يذكر جواباً؛ لأنه معلوم، ولا يملك أحد إلا أنْ يقول: لا يستويان لأنّ الناس منهم من يعمل السيئة ويعلم أنها سيئة، ومنهم من يتعدى فيفعل السيئة ويدّعي أنها حسنة، وهذه مصيبة أعظم؛ لأنه ارتكب السيئة ثم رآها حسنة، وهذا اختلال وضلال في الرؤية.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ ﴾ يهدي: بمعنى يرشد إلى طريق الخير،وهذا الإرشاد من الله لكل الناس، فمن سمع هذا الإرشاد وسار على هداه وصل إلى طريق الخير، وكان له من الله العون وزيادة الهدى، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾﴾ [محمد:١٧].

وأمّا الذي أغلق سمعه فلم يسمع ولم يهتد فضلّ الطريق وانحرف عن الجادة فزادهم الله ضلالاً، فلا يدخل في قلوبهم إيمان، كما قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ ﴾.

والله سبحانه لم يترك المسألة هكذا، إنما بيّن من يهديه ومن يضله، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ وقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

٣ـ قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍ﴾ هذا خطاب للنبي عليه السلام أي: لا تهلك نفسك حسرة على عدم إيمانهم؛ لأنه عليه السلام كان يألم أشد الألم حين يشرد أحد منهم عن طريق الإيمان.

٤ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ فيه تسلية للرسول عليه السلام بأن الله لا تخفى عليه خافية من أفعالهم، وسوف يجازيهم ما يستحقون من عقاب فاطمئن ولا تحزن.

السؤال الثاني :

ما خط القرآن الكريم مع آيات التزيين؟

الجواب :

في القرآن الكريم وفي آيات التزيين الله تعالى ينسب الخير إلى نفسه، وأمّا تزيين القبيح فيبنيه للمجهول أو ينسبه إلى الشيطان، كقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [الأنفال:٤٨]وقال: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [العنكبوت:٣٨].

وقد تجد في القرآن نحو ﴿زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ لغرض إقامة العقيدة الصحيحة ولكن لا تجد فيه نحو [زينا لهم سوء أعمالهم] بذكر السوء، بل لا تجده إلا مبنياً للمجهول، والفرق ظاهر بين الأمرين.

*** شواهد قرآنية :**

في الحجرات ٧: أسند تزيين الإيمان في القلوب إلى ذاته سبحانه.

في آل عمران ١٤ : بنى تزيين حب الشهوات للمجهول، ولم ينسبه إلى نفسه.

في [الصافات ٦، والملك ٥، والحجر ١٦] أسند التزيين الحسن إلى ذاته.

في البقرة [٢١٢ـ والرعد٣٣ـ والأنعام١٢٢ـ وفاطر٨ـ وغافر٣٧ـ والتوبة ٣٧ـ والفتح ١٢] بنى تزيين القبيح للمجهول.

❁❁❁❁

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة اختلاف صيغة الأفعال بين الماضي والمضارع فى قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩ ﴾ [فاطر:٩]؟

الجواب :

١ـ (أرسل: فعل ماض، تثير: فعل مضارع، سقناه: فعل ماض) أيها الأسبق إثارة: السحاب أم سوقه إلى بلد؟ إثارة السحاب أسبق من السوق. فجاء الفعل ﴿أَرۡسَلَ﴾ بصيغة الماضي، ثم الفعل﴿فَتُثِيرُ﴾ بصيغة المضارع، ثم الفعل﴿فَسُقۡنَٰهُ﴾ بصيغة الماضي، مع أنّ السّوق يأتي بعد الإثارة، والأحداث كلها ماضية ، لكنّ الإثارة هي في مشهد الحركة، فجعلها بصيغة المضارع ليدل على الحركة والحضور.

وحتى في السيرة عندما قتل الصحابى أبا رافع اليهودى تكلم كيف قتله فقال:

فناديت أبا رافع، فقال: نعم، فأهويت عليه بالسيف فأضربه وأنا دهِش.

هو يريد أنْ يسلط الضوء على عملية الضرب، فجعل صيغة المضارع للمشهد الأبرز وهو الضرب، فكأنّ السامع يرى الحادثة أمامه ويرى الصحابي وهو يضربه.

٢ـ حتى هذا الأمر الغريب قد يأتى المضارع مع أداة الشرط، مع أنّ أداة الشرط تصرف الماضي للمستقبل مثل (إنْ زرتنى أكرمتك). لكنْ أحياناً يأتي العربي بالمضارع بعد أداة الشرط ويريد بها الماضي. مثال أحدهم يرثي آخر:

إنْ يقتلــوك فــإنّ قتلــك لم يكــنْ ... عــاراً عليــك ورب قتــلٍ عــارُ

هم قتلوه فى الماضي، وجاء الفعل بعد أداة الشرط بصيغة المضارع.

والآخر يرثي أبناءه الذين هلكوا وماتوا، فقال:

كــأنّ الليــل محبــوسٌ دجــاه ... فأوّلــه وآخــره مقــيم
لمهلــكِ فتيــةٍ تركــوا أبــاهم ... وأصــغر مــا بــه مــنهم عظــيم
فــإنْ يهلــك بنــيّ فلــيس شــيءٌ ... عــلى شيء مــن الــدنيا يــدوم

وقد هلكوا، الشاهد (يهلك) مضارع بعد أداة الشرط ويراد به الماضي.

٣ـ إذن السياق هو الذي يحدد؛ لأنّ المضارع قد يأتي بمعنى الماضي والماضي يأتي بمعنى المستقبل، وهذا اسمه حكاية الحال.

السؤال الثاني :

ما الدلالة البيانية في هذه الآية؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿أَرۡسَلَ﴾ بالماضي، لكن الفعل ﴿فَتُثِيرُ﴾ في صيغة المضارع ولم يقل سبحانه: فأثارت

لأنّ الفعل ﴿أَرۡسَلَ﴾ أي أمر أنْ ترسل فهذه مسألة انتهت وفُرغ منها، أمّا إثارة السحاب وتحريكه فمسألة مستمرة في كل لحظة، فناسبها الفعل المضارع الدال على الحال والمستقبل.

أو أنه التفات من الماضي إلى الحاضر لتنبيه السامع.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا﴾ [العنكبوت:٦٣]في آية العنكبوت٦٣ مع أنه ورد في القرآن﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ في آية [فاطر:٩]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١٦٤.

❁❁❁❁

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠﴾

السؤال الأول :

قال في فاطر ١٠: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ وقال في المنافقون ٨: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ فكيف الجمع بين الآيتين؟

الجواب :

لا تعارض بين الآيتين؛ لأنّ العزة في الأصل لله، وعزة الرسول ﷺ من التحامه بالله العزيز، وعزة المؤمنين من التحامهم بعزيز العزيز، فهي عزة موصولة من الله تعالى لمن اعتز به.

وأول من اعتز به الله رسولُه ثم المؤمنون به.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين الصُعود ـ بضم الصاد ـ كما في آية فاطر ١٠ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ والصَّعود ـ بفتح الصاد ـ كما في آية المدثر ١٧ ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾؟

الجواب :

١ـ الصُّعود : بضم الصاد، هو الارتقاء، وهو مصدر من الفعل (صَعِد) بفتح العين، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾.

٢ـ الصَّعود: بفتح الصاد، هو العقبة الشاقة والطريق الصاعد، قال تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾

٣ـ ذكر المفسرون أن الصَعود هو صخرة أو جبل من نار في جهنم يتصعّد فيه (الوليد بن المغيرة) الذي نزلت فيه الآيات سبعين خريفاً ثم يهوي، فهو فيه كذلك أبداً.

٤ـ والملاحظة العجيبة هنا أنّ الله كتب على الوليد بن المغيرة هذا النوع العجيب من العذاب، وهو التردد بين الأمل في النجاة عندما يبلغ قمة الجبل أو الصخرة ثم السقوط العنيف إلى الهاوية ليبدأ رحلة العذاب من جديد ذلك أنّ هذا الرجل تردد في حكمه

على دين محمد ﷺ وفكّر فيه مراراً وقال فيه في البداية كلاماً طيباً: (والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن والله إنّ له لحلاوة وإنّ عليه لطلاوة وإنّ أعلاه لمثمر وإنّ أسفله لمغدق وإنه ليعلو ولا يعلى عليه).

فلمّا وثبت قريش في وجهه وعنفته تراجع وفكر ثم فكر ثم أدبر واستكبر وقال قولته القبيحة: ﴿...إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدّثر:٢٤-٢٥]

فمثل هذا التردد يناسب ذلك العذاب بين الأمل واليأس، مثلما تردد بين التصديق والكفر.

❁❁❁❁

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾

السؤال الأول:

ما معنى ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾؟

الجواب:

١ـ معنى ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ مُعمَّر صيغة اسم المفعول، أي طويل العمر وإنما سمي معمراً بما هو سائر إليه، أي المعمَّر ذاتٌ ثبت لها التعمير.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ الضمير هنا يعود على الذات دون الصفة؛ أي ينقص من بعض ذاته، أي وما يُعمر من مُعمر ولا ينقص من ذاته.

فالذات لم يثبت لها التعمير إلا بإذن الله، نحو: تصدقت بدرهم ونصفه.

السؤال الثاني :

ما دلالة صيغة الاستمرارية في الكلمتين ﴿يُعَمَّرُ﴾ ﴿يُنقَصُ﴾؟

الجواب :

١ـ القرآن الكريم يبين أنّ الله تعالى يرى في كل لحظة ما عاشه الإنسان حتى هذه اللحظة، وما بقي له من عمره حتى نهاية العمر، وإنْ صعب علينا تصور ذلك فإنه على الله تعالى يسير.

٢ـ وردت الكلمتان ﴿يُعَمَّرُ﴾ ﴿يُنقَصُ﴾ بصيغة الاستمرارية فما يُعمر الإنسان من ولادته حتى لحظة معينة، يزداد كل لحظة على حساب ما بقي له من عمره، وما بقي له من عمره اعتباراً من لحظة معينة ينقص كل لحظة لحساب ما عمّر حتى تلك اللحظة.

٣ـ ربما لا تعني هذه الآية ـ كما ذهب بعضهم ـ أنّ عمر الإنسان يزيد وينقص. .. إنما تعني أنّ عمر الإنسان ـ في علم الله تعالى ـ محدد وثابت حيث يرى الله تعالى في كل لحظة من حياة الإنسان ما عاش حتى تلك اللحظة (الماضي بالنسبة للإنسان) وما بقي له من العمر حتى يموت (المستقبل بالنسبة للإنسان) والزمن مخلوق من مخلوقات الله تعالى، شأنه بذلك شأن جميع المخلوقات الأخرى، واقرأ ما حدث للعزير في آية البقرة ٢٥٩ وما حدث لأصحاب الكهف؛ حتى يتبين ذلك بوضوح.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢)﴾

السؤال الأول :

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ (١٩)﴾ [فاطر:١٩] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ [فاطر:١٢] ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر:١٤]

ما دلالة استعمال أداة النفي (ما) و(لا)؟

الجواب :

ما :

أداة النفي (ما) تدخل على الفعل المضارع وهي لنفي الحال .

* شواهد قرآنية :

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ (١٩)﴾ مشاهد في الدنيا أي للحال، فاستعمل (ما).

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ مشاهد في الدنيا أي للحال فاستعمل (ما).

لا :

أداة النفي (لا) قد تكون للحال والاستقبال، أي نفي غير مُشاهَد، كقوله تعالى :

﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ هذا نفي للحال.

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ﴾ هذا استقبال، فاستعمل (لا).

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هذا في الآخرة أي للمستقبل، فاستعمل (لا).

﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾هذا استقبال، فاستعمل (لا).

السؤال الثاني :

في سورة النحل الآية﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل:١٤]

أما في سورة فاطر ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فاطر:١٢]فما دلالة التقديم والتأخير واستخدام الواو وعدمه؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النحل ١٤.

❁❁❁❁

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما وجه الاختلاف بين الآيات ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٤٩]﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٧٧]﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء:١٢٤] و ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر:١٣]؟

الجواب :

١ـ عندنا فتيل ونقير وقطمير، كل هذا لضرب المثل بالقلة، لكنْ لماذا قال مرة: فتيل ومرة: نقير؟

٢ـ الفتيل لغة: هو الشيء المفتول الأسود وترميه مثل الخيط، وهو من الوساخات.

ورب العالمين لمّا تكلم عن اليهود قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾[النساء:٤٩] ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ [البقرة:١١١]﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة:١٨] أي نحن شعب الله المختار، فردّ عليهم ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٤٩]. فرب العالمين ضرب مثلاً في القلة لناس فاسدين وسخين في عقيدتهم وفي سلوكهم، فقال: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ كهذا الفتيل الذي في أجسادكم الوسخة ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.

ولمّا ضرب الله سبحانه المثل للمسلمين الذين يؤمنون بالله عز وجل ويعملون الصالحات قال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤)﴾ [النساء:١٢٤] فاستعمل النقير.

والنقير هو تلك النقطة التي في ظهر النواة المعروفة عند العرب جميعاً. لذلك يضرب الله المثل للصالحين من عباده بأنكم ستأخذون جزاءكم كاملاً ولن تظلموا بقدر هذه النقطة القليلة التي في ظهر النواة ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ ، والنواة من التمر وأحلى ما في التمرة عندما تمص النواة.

بينما يضرب الله للناس الفاسدين في أعمالهم وسلوكهم فيقول: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.

٣ـ ثم يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ والقطمير هوالغشاء الشفاف الذي على النواة، ما قيمته هذا؟ ورب العالمين لّما تكلم عن الملوك قال: أنا رب العالمين أنا الذي أنعمت عليكم كل هذه النعم وملكي لا حدود له، هذا الذي تعبدونه ما الذي لديه؟ هذا الصنم أو آلهتكم التي تصنعونها التي تدعونها من دون الله لا يملكون من قطمير، هذا ضرب المثل باللاشيء.

❁❁❁❁

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استعمال أداة النفي (ما) و(لا)؟

الجواب :

انظر الجواب في آية فاطر ١٢.

❁❁❁❁

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

السؤال الأول :

هل الإنذار خاص بالكافرين في القرآن؟

الجواب :

الإنذار في القرآن الكريم لا يكون خاصاً بالكفار والمنافقين، وقد يأتي الإنذار للمؤمنين والكافرين. والإنذار للمؤمن ليس فيه توعد، فهو للمؤمنين تخويف حتى يقوم المؤمن بما ينبغي أن يقوم به، كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [يس:١١]

وهذا ليس فيه تخصيص لمؤمن أو كافر.

وقد يأتي الإنذار للمؤمنين ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [فاطر:١٨].

وقد يكون للناس جميعاً: ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾ [إبراهيم:٤٤] ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأنعام:٥١].

السؤال الثاني :

قوله تعالى في آية فاطر ١٨ ﴿يَخْشَوْنَ﴾ ما اللمسة البيانية في استعمال الأفعال المضارعة واستعمال أفعال ماضية في وسط الأفعال المضارعة كما في آيتي الرعد٢١-٢٢ وآية الأعراف ١٧٠ وفاطر ٢٩؟

الجواب :

١ـ لو نظرنا في المسألة نجد أنه في سورة الرعد قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الرعد: ٢٠ – ٢٢].

فما كان له وقت محدد عبّر عنه بالفعل الماضي ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فالصلاة لها أوقات محددة، وحتى الإنفاق والزكاة أو الإفطار في رمضان، وما كان سابقاً لكل الأوصاف يستعمل معه الفعل الماضي.

وكذلك الصبر، فهو يسبق كل هذه الأوصاف، وكلها تحتاج إلى صبر فهو أسبق منها جميعاً فعبّر عنه بالماضي، وما عدا ذلك فهو مستمر، فاستعمل الفعل المضارع، نحو: ﴿يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ ليس له وقت، ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ ، ليس لها وقت، فهذه مستمرة.

٢ـ هذا ليس هو التعبير الوحيد في القرآن، ولكنْ هناك تعبير نظيره وهو قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٠] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [فاطر:٢٩] ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [فاطر:١٨] فالأفعال : [يمسكون ـ يتلون ـ يرجون ـ يخشون] تفيد الاستمرار، فجاءت بصيغة المضارع.

وللعلم فإنّ الصبر لم يأت في القرآن صلة بغير صيغة الماضي، كما في الآيات: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى:٤٣].

﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [هود:١١].

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد:٢٢].

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل:٤٢].

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [النحل:٩٦].

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [فُصِّلَت:٣٥].

٣ـ هذه من خصوصيات التعبير والبيان القرآني. والقرآن هزّ قلوباً استشعرت هذا البيان القرآني.

السؤال الثالث:

قوله تعالى في الآية ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ ما شروط الالتحاق بأولي الألباب؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الرعد ٢١ـ٢٢.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا
ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُۖ
وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة استعمال (لا) بين المتعاطفين وعدم استعمالها؟

الجواب :

١ـ كرّر كلمة النفي (لا) بين الظلمات والنور، وبين الظل والحرور وبين الأحياء والأموات. ولم يكرر بين الأعمى والبصير؛ وذلك لأنّ التكرير للتأكيد في المنافاة بين المتقابلين.

أـ فالعمى والبصر صفتان قد تجتمعان في الشخص الواحد، فقد يكون الشخص بصيراً اليوم وأعمى غداً؛ لذلك لم يؤكد معنى عدم الاستواء بين الأعمى والبصير.

ب ـ بينما أكّد بـ (لا) بين الظلمات والنور؛ لأنهما متقابلان لا يجتمعان.

ج ـ وكذلك المنافاة أتم بين الحي والميت لا من ناحية الوصف، وإنما على وجه الحقيقة، فكّرر التأكيد بـ (لا)، وخاصة أنّ كلمة الأحياء هنا تعني المؤمنين، والأموات تعني الكفار، وكم بين الكفر والإيمان !!.

٢ـ قدّم الأعمى على البصير، مع أنّ البصير أشرف؛ لأنه إشارة إلى الكافر، وهو موجود قبل البعثة والدعوة إلى الإيمان.

٣ـ وقدّم الظلمات على النور؛ لأنّ الباطل كان موجوداً فدمغه الحق ببعثته عليه السلام، كما أنّ الظلمات أسبق في الخلق من النور، كما قال تعالى في الآية الأولى من سورة الأنعام: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾.

٤ـ لكنه لم يقدم الحرور على الظل، بل قدّم الظل لمناسبته للعمى والظلمة أو لسبق الرحمة، مع ما ذلك من رعاية الفاصلة.

وقيل إنّ الظل كناية عن نعيم الجنة، كما في قوله تعالى: ﴿ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ والحرور كناية عن العذاب وشدة حره.

٥ـ وقدّم الأحياء على الأموات ولم يعكس الأمر؛ ليوافق الأولين في تقديم غير الأشرف؛ لأنّ الأحياء إشارة إلى المؤمنين بعد الدعوة والأموات إشارة إلى المصرّين على الكفر بعدها.

وبالتالي يكون قد قدّم الأشرف في مثلين، وهما (الظل والأحياء)، وأخّره في مثلين (الأعمى والظلمات).

٦ـ قابل الأعمى بالبصير بلفظ المفرد، وكذلك الظل بالحرور، وقابل الأحياء بالأموات بلفظ الجمع، وقابل الظلمات وهي جمع بالنور، وهو مفرد، وذلك :

أـ لم يجمع الأعمى والبصير؛ لأنّ القصد هو مقابلة الجنس بالجنس وجنس البصير خير من جنس الأعمى.

ب ـ جمع ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ للدلالة على أنّ طرق الضلال متعددة، وهي مثال للأباطيل، وأفرد ﴿ٱلنُّورُ﴾الذي هو مثال الحق، والحق واحد وهو التوحيد.

ج ـ كذلك أفرد الظل والحرور لمقابلة الجنس بالجنس.

د ـ وجمع وقابل بين الأحياء والأموات؛ لأن التفاوت بينهما أكثر إذ ما من ميت يساوي في الإدراك حياً من الأحياء، فذكر أنّ الأحياء والأموات لا يتساوون، سواء قابلت الجنس بالجنس أو قابلت الفرد بالفرد.

٧ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ يحتمل معنيين:

أـ أنّ حال الكفار بالنسبة لسماعهم كلام النبي ﷺ دون حال الموتى، فإنّ الله يُسمع الموتى، والنبي لا يُسمع من مات وقُبر.

ب ـ أنْ يكون المراد تسلية النبي ﷺ؛ ولذلك قال تعالى بعد ذلك: ﴿إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ فهذه هي مهمته، أي مهمته الإنذار فقط، وأمّا الهداية فمن الله تعالى. فأرح نفسك، فلو أرادهم الله جميعاً مؤمنين لجاؤوا طائعين.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

متى تزاد (لا) بين المتعاطفين في مثل هذه الآيات؟ ومتى لا تزاد؟

الجواب :

١ـ تزاد (لا) بين المتعاطفين في المواطن التي تحتمل أن يكون قصد الاستواء في الجنس نفسه، فيمكن أنْ يقال إنّ الظلمات لا تستوي فيما بينها فقد يكون بعضها أشد من بعض. وكذلك النور والظل، وكذلك الأموات والأحياء، والمؤمنون والمسيئون، والحسنة والسيئة، فحسنة أعظم من حسنة وسيئة أكبر من سيئة. كل هذا ممكن لغة.

٢ـ ويحتمل أيضاً زيادة (لا) عندما يكون المقصود نفي الاستواء بين المتعاطفين.

٣ـ أي إذا ورد بـ (لا) احتمل أنْ يكون معناه نفي استواء الجنس فيما بينه كما يحتمل نفي الاستواء بين المتعاطفين، اللهم إلا فيما لا يمكن أنْ يكون جنساً، نحو: ما يستوي محمد ولا خالد، فإنه في نحو هذا تتعين زيادة (لا) لأمن اللبس.

٤ـ و (لا) تزاد كثيراً (للتوكيد) عند أمن اللبس، نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾أي من منعك أنْ تسجد؟ فإنْ لم يرد التعبير بـ (لا) تعين أن المقصود نفي الاستواء بين المتعاطفين.

السؤال الثالث :

ما معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾؟

الجواب :

١ـ معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ أي: ما أنت بمسمع السماع المؤدي إلى الهداية، كما أنك لا تُسمع من في القبور؛ لأنّ زمن السماع وقبول الهداية انتهى بالموت.

٢ـ إذن فما مهمة الرسول؟

الجواب هو قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ و(إنْ) هنا بمعنى (ما) النافية أي ما أنت إلا نذير، أي مُحذر من المعصية ومن الكفر ومن العذاب.

٣ـ أي أنّ مهمة الرسول الإنذار، أمّا الهداية فمن الله، فلو أرادهم مؤمنين لجاؤوا جميعاً طائعين كالملائكة.

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤ ﴾

السؤال الأول :

كيف التوفيق بين التأكيد على بعث الرسل لكل أمة، كما في آية سورة فاطر ٢٤، ونفي ذلك عن أمة محمد ﷺ في آية سورة يس٦؟

الجواب :

١ـ المراد بآية فاطر مطلق الأمم كعاد وثمود وقوم نوح وقوم إبراهيم وبني إسرائيل.

وفي العرب من ولد إسماعيل كان هناك نبيان في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام، وهما (خالد بن سنان) وبُعث إلى عبس، وروى حديثه في المستدرك، وقال فيه النبي ﷺ: « **ذاك نبي أضاعه قومه** ».

والثاني هو (حنظلة بن صفوان) وبعث إلى حمير، وهو نبي الرس المذكور في قوله تعالى: ﴿ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴾[ق: ١٢].

٢ـ وأمّا آية يس فالمراد بهم قريش خاصة وأهل مكة الموجودون زمن النبي ﷺ، وآباؤهم لم يأتهم نذير خاص بهم قبل النبي ﷺ.

السؤال الثاني :

كيف حصر رسالة النبي ﷺ في ص ٦٥ بأنه (منذر)، مع أنه في آية الأحزاب٤٥ والفتح ٨ وفاطر ٢٤ (شاهد ومبشر ومنذر)؟

الجواب :

١ـ أنّ ما يتقدمه التخويف يناسب أنْ يليه إنذار. وهو في ص كذلك؛ لأنه جاء بعد ذكر جهنم والنار وعذاب أهلها ومحاجتهم فيها، انظر الآيات [٥٥ـ٦٥].

٢ـ وأمّا ما يتقدمه الرجاء فقط أو التخويف مع الرجاء فيليه الوصفان: التبشير والإنذار، كما في آيات الأحزاب والفتح وفاطر. قال تعالى:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب:٤٥].
- ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾﴾ [الفتح:٨].
- ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [البقرة:١١٩].

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴿٢٥﴾﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ [آل عمران:١٨٤]و ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴿٢٥﴾﴾ [فاطر:٢٥]؟حيث حذفت الباء في آية آل عمران مع كلمتي ﴿وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾ وذكرت في آية فاطر؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٨٤ .

السؤال الثاني :

ما الفرق بين جاء وأتى في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آلأنعام ٣٤.

❁❁❁❁

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما كلمات منظومة الطريق؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الفاتحة ٧.

السؤال الثاني :

ما دلالة التوكيد في قوله تعالى في الآية ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٨٨ .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين الخوف والخشية والوجل؟

الجواب :

انظر الجواب في آية النحل ٥٠.

❋❋❋❋

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة استخدام الفعل الماضي والمضارع في آية سورة فاطر ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر:٢٩]؟

الجواب :

قال تعالى في سورة فاطر: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [فاطر:٢٩].

١ـ (يتلون) فعل مضارع و(أقاموا) فعل ماض، والفعل المضارع يدل على الحال والتجدد والاستقبال والماضي فيما مضى، وهذا هو الأصل.

٢ـ في الآية ذكر تعالى أكثر ما يتجدد أولاً، وهو تلاوة القرآن؛ لأنّ تلاوة القرآن أكثر من الصلاة؛ ولأنّ إقامة الصلاة لا تكون إلا بقراءة القرآن وقراءة القرآن تكون في كل وقت، وكذلك إقامة الصلاة هي أكثر من الإنفاق. إذن فالأفعال مرتّبة في الآية بحسب الكثرة وبحسب الاستمرار فبدأ بما هو أكثر ثم بالأكثر استمراراً، ثم بما دونها كثرة أي: (الصلاة) ثم الأقل (الإنفاق).

٣ـ والفعل(أقاموا) هو فعل ماض جاء بعد اسم الموصول، والفعل الماضي بعد اسم الموصول يكون له زمنان :

أ ـ فقد يكون له زمن ماض، مثل قوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ وهذا يحتمل معنى المضي.

ب ـ وقد يكون له زمن الاستقبال، مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة:١٥٩-١٦٠]

هذه الأفعال الماضية في الآية ﴿تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟﴾ تدل على احتمال الاستقبال؛ لأنها جاءت بعد الكتمان ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ ﴾ .

٤ـ إذن زمن الفعل الماضي بعد الاسم الموصول يحتمل المضي ويحتمل الاستقبال، وهنالك أمور قطعية، وهنالك أمور تبقى مشتركة.

أمّا (كان) فلها أزمنة خاصة بها، فهي تفيد الاستمرارية (كان ولا يزال) وتأتي أصلاً للاستقبال، كما في وصف الآيات للآخرة ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾وفي الحديث عن الله تعالى ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ فهي تدل على كونه غفوراً رحيماً، وهذا كونه سبحانه.

❁❁❁❁

﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الكتاب هو القرآن، وبالتالي فإنّ المرحلة بعد رسول الله ﷺ مرحلة ميراث للكتاب والمنهج يورثه العلماء عن رسول الله. وقد جاء في الحديث «**إنّ العلماء ورثة الأنبياء**».

٢ـ قوله تعالى: ﴿ٱصۡطَفَيۡنَا﴾ معناه: اخترنا، اصطفاه الله على الكفار بقوله شهادة أن لا إله إلا الله، ولو كان مرتكباً للذنوب. وفي الحديث: «**أيزني المؤمن يا رسول الله؟ قال: نعم. أيسرق المؤمن يارسول الله؟ قال: نعم**».

٣ـ قوله ﴿أَوۡرَثۡنَا﴾ أي طلبنا منهم أنْ يفعلوا في الرسالة فعل الوارث في المال.

٤ـ ثم يقسم الله سبحانه هؤلاء إلى ثلاثة أقسام :

أ ـ قسم ظلم نفسه بالتقصير في حق القرآن الذي ورثه فلم يعمل به كما يجب بل قد يرتكب الكبائر والعياذ بالله.

ب ـ قسم مقتصد: يعني: يخلط عملاً صالحاً بآخر سيئاً.

ج ـ قسم سابق بالخيرات، وكلمة ﴿سَابِقٌۢ﴾ تدل على السباق والمنافسة.

٥ـ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ فالحق يعاملنا بالفضل الكبير الحسنة بعشر أمثالها أو يزيدها إلى سبعمائة ضعف، ومن غلبت حسناته سيئاته يُرجى له الجنة، ومن غلبت سيئاته على حسناته فهو مرجأ لأمر الله إنْ شاء عذبه بعدله ومآله إلى الجنة، وإنْ شاء غفر له بفضله.

اللهم عاملنا بالفضل لا بالعدل، وعاملنا بالإحسان لا بالميزان، وعاملنا بالجبر لا بالحساب.

السؤال الثاني :

لماذا قدّم في آية فاطر الظالم ثم المقتصد وهو أقل ممن قبله ثم السابقين؟

الجواب :

١ ـ في آية فاطر قدّم الظالم لكثرته، ثم المقتصد وهو أقل ممن قبله، ثم السابقين وهم أقل، وهذا للإيذان بكثرة الفاسقين وغلبتهم، وأنّ المقتصدين قليل (وهم المتوسطون في الطاعات)، وأنّ السابقين أقل من القليل. ألا ترى كيف أشار الله إلى ندرتهم وقلة وجودهم في سورة الواقعة (١٣ـ١٤).

٢ ـ (الظالم لنفسه)، وهم أهل الذنوب والكبائر والصغائر من هذه الأمة. وروي عن عمر رضي الله عنه قال: (**سَابِقُنا سابقٌ ومُقتصدنا ناجٍ وظالِمُنا مغفور له بإذن الله**).

السؤال الثالث :

قال تعالى في آية غافر٥٣: ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قدّم المفعول الأول ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ على ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾

وقال تعالى في آية فاطر ٣٢: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ قدم ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ على ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾ فما السبب؟

الجواب :

السبب هو السياق :

ففي آية فاطر الكلام جارٍ على الكتاب؛ ولذلك قدّمه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر:٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾ [فاطر:٣١].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر:٣٢].

فناسب تقديم الكتاب.

أمّا في سورة غافر فالكلام عن حَمَلَة الكتاب؛ فلذلك قدّمهم.

قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ٥٠﴾ [غافر:٥٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١﴾ [غافر:٥١].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٥٣﴾ [غافر:٥٣].

❁❁❁❁

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٍ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣﴾

السؤال الأول:

ما اللمسة البيانية في استخدام حروف الجر في القرآن﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [فاطر:٣٣]لماذا قال: (من أساور) ولم يقل: (بأساور)؟

الجواب:

١ـ الفعل (حلّ) يتعدى بنفسه إلى مفعولين في الأصل. حلاّها؛ أي ألبسها حِلية، حلّيتَها أساور؛ أي ألبستها أساور. وقد يستعمل مع (من) كبقية الأفعال التي تتعدى، كأنْ تقول: أعطيته دفاتر، أو أعطيته من الدفاتر (للتبعيض).

٢ـ والقرآن استعمل هذا الفعل هكذا، مرة معدّى بنفسه إلى مفعولين ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ﴾ المفعول الأول هو الواو التي هي نائب فاعل، وأساور: مفعول ثان. وقال:

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾، هذا له مفعول واحد، كما تقول: (أعطيته من الكتب) و(أعطيته كتباً)؛ أي أحياناً يتعدى إلى مفعول واحد، وأحياناً نستعمله متعديا بمفعولين.

٣ـ لكنّ السؤال: لماذا لم يقل مثلاً: يحلون فيها بأساور؟

الأصل في الفعل (يحلون) أن يتعدى بنفسه وليس بالباء، ولا يصح أنْ نقول: يحلون فيها بأساور. (يحلون) لا يأتي مع الباء، ويقال في اللغة حليته أساور ومن أساور. الأصل في الفعل (حلَّى) أنه لا يتعدى بالباء.

السؤال الثاني :

لماذا مرة قال في آية فاطر ٣٣: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ ومرة في آية الإنسان ٢١ ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ﴾؟ لماذا مرة عدّاه إلى مفعولين (أحدهما نائب فاعل والآخر مفعول به) ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ ومرة عداها إلى مفعول به واحد، وجاء بـ﴿مِن﴾ ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ لماذا لم يقل (يحلون فيها أساور من ذهب)؟

الجواب :

١ـ في القرآن نجد استعمالين :

أ ـ في سورة الإنسان قال: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان:٢١].

قال﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وجاء بـ ﴿أَسَاوِرَ﴾ من دون (من).

ب ـ في سورة فاطر قال: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾.

قال: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾، وجاء بـ ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ مع (من).

٢ـ ما جاء بـ (من) أعلى، يكون الأجر أعلى والجزاء أعلى.

نقرأ الآيتين:

أ ـ في سورة الإنسان قال: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾

ذكر أمرين في العمل: أولاً يوفون بالنذر، والآخر يطعمون الطعام على حبه.

ب ـ أمّا في فاطر فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر:٢٩] وقال: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر:٣٣].

أي العملين أعلى؟ في سورة الإنسان ذكر: يوفون بالنذر، والنذر أصلاً مكروه لكنّ الوفاء به واجب، ثم إطعام الطعام وذكر (مسكيناً ويتيماً وأسيراً).

وفي سورة فاطر لدينا: يتلون كتاب الله، وإقامة الصلاة والصلاة عماد الدين، وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية وليس فقط إطعام الطعام، فالإنفاق أعم من الطعام.

فالأعلى هو الوضع المذكور في سورة فاطر، فجاء معها: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ وهو أعلى مما ذكر في سورة الإنسان التي جاء معها: ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾

إذن الأعلى ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ أعلى من ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ لأنه لما كان العمل أكثر كان الجزاء أكبر.

٣ـ لماذا جاء بـ (من)؟

لو قلت لك: البس هذه الملابس، أو: البس من هذه الملابس؟ الأكثر (من هذه الملابس). وهذا مثل﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ هي كثيرة لكنّ :﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ أكثر أي : البس منها ما تشاء.

إضافة أنه قال في فاطر: ﴿مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ بينما قال في سورة الإنسان: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ فالأولى أعلى ثم جاء بـ (من) دلالة على كثرة الموجود، والعمل أعلى فالجزاء أعلى.

٤ـ الله سبحانه في سورة الإنسان أخبر عنهم بالماضي﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ [الإنسان:١١]بينما في سورة فاطر أخبر عنهم بالاستقبال فقال: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر:٣٣].

وسياق السورة الأولى أصلاً في الماضي والثانية في المستقبل.

٥ـ أساور جمع، وسوار مفرد. أسورة جمع قلة. وأساور جمع كثرة، سوار مفرد ويُجمع على أسورة.

السؤال الثالث :

مادلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله: ﴿ جَنَّٰتُ﴾ هي جنات عدة لا جنة واحدة، وهي دائمة باقية لا يخرج منها من دخلها.

٢ـ قوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ فقد ذكر الحق التحلية والزينة قبل الضروريات. وهذا يعني أنّ الضروريات جاهزة مفروغ منها والتحلية ستكون من الذهب ومن الحرير، وكلاهما من المحرمات على الرجال في الدنيا، أمّا في الآخرة فشيء آخر.

٣ـ قوله: ﴿أَسَاوِرَ﴾ جمع أسورة، وأسورة جمع سوار فهي جمع الجمع. وجاء بجمع الجمع ليدل على الكثرة، بينما قال عن الثياب: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ بصيغة المفرد؛ لأنك لا تحتاج إلى العديد من الثياب إلا لترد عن نفسك البرد أو الحر، وليس في الجنة شيء من هذا.

السؤال الرابع :

ذكر الله في آية سورة الإنسان ٢١ ﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾، بينما في آيات أخرى ذكر ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾، كما في الكهف ٣١ ومرة ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾كما في فاطر ٣٣، فما السبب؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الكهف ٣١.

السؤال الخامس :

ما دلالة واو الجماعة في الفعل﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ في الآية؟

الجواب :

جاء في كتاب (أضواء البيان) للشيخ الشنقيطي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فاطر:٣٢-٣٣] فقد بيّن الله تعالى في هذه الآية أنّ إيراث هذه الأمة لهذا الكتاب دليل على أنّ الله تعالى اصطفاها في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ وبيّن في الآية أنهم ثلاثة أقسام :

١ـ الظالم لنفسه: وهو الذي يطيع الله، ولكنه يعصيه أحياناً.

٢ـ المقتصد: وهو الذي يطيع الله ولا يعصيه، ولكنه لا يتقرب بالنوافل من الطاعات.

٣ـ السابق بالخيرات: وهو الذي يأتي بالواجبات، ويجتنب المحرمات، ويتقرب إلى الله بالطاعات والقُربات التي هي غير واجبة.

ثم وعد الجميع بجنات عدن وهو لا يخلف الميعاد في قوله: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ والواو في الفعل ﴿يَدْخُلُونَهَا ﴾ شاملة للظالم والمقتصد والسابق بالخيرات على التحقيق، ولذلك قال بعض أهل العلم: (حقٌّ لهذه الواو أنْ تكتبَ بماء العينين) فلم يبقَ من المسلمين أحد خارج عن الأقسام الثلاثة. ولذلك تعتبر (واو الجماعة) هذه أغلى (واو جماعة) في القرآن الكريم من ناحية خيريتها ودلالتها. والله أعلم.

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين النصب واللغوب؟

الجواب :

١ـ النصب: هو التعب والإعياء، واللغوب: هو الفتور وهو نتيجة النصب، فبعد النصب يفتر الإنسان.

٢ـ النصب أولاً ثم اللغوب، النصب تعب، ثم نتيجة ذلك الإعياء فيحصل فتور.

٣ـ وقسم من أهل اللغة يفرّق فيقول: النصب تعب البدن، واللغوب تعب النفس.

في الجنة قال: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ [فاطر:٣٥].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [ق:٣٨] يعني أيّ فتور.

(ما مسنا من لغوب) يعني حتى الفتور ما مسّنا فكيف بالنصب؟! الشيء القليل ما مسنا فما بالك بالكثير؟ بينما في التوراة المحرفة قالوا: خلق الله السماء والأرض في ستة أيام ثم تعب فارتاح يوم السبت!.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى:﴿أَحَلَّنَا﴾ أي أدخلنا وجعلها محلاً لنا.

٢ـ قوله تعالى: ﴿دَارَ ٱلْمُقَامَةِ﴾ أي مكان الإقامة الدائمة والمراد الجنة فالجنة دار إقامة دائمة، أمّا الدنيا فما هي إلا معبر إلى الآخرة.

والجنة جعلها الله محلاً للمؤمنين ليس بأعمالهم وإنما بفضلٍ منه وتكرم.

٣ـ قوله تعالى:﴿لَا يَمَسُّنَا﴾ أي لا يصيبنا ولو شيئاً قليلاً.

٤ـ النصب هو التعب والمشقة وهو تعب الجوارح، واللغوب هو تعب الصدور مثل القلق والهم.

٥ـ تكرار﴿لَا يَمَسُّنَا﴾ يفيد أنّ كلا الأمرين (النصب واللغوب) مجتمعين أو منفردين لا يمسهم، ولو لم يكرر لربما فُهم أنّ النصب منفرداً، أو اللغوب منفرداً قد يمسهم ، فكرّر الفعل لذلك.

والله أعلم.

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ
عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة جواب الطلب في الآية ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾؟

الجواب :

١ـ يجزم الفعل المضارع بعد أدوات الجزم الظاهرة مثل: لم ـ لما ـ لام الأمر ـ لا الناهية.

٢ـ وقد يجزم بغير أداة ظاهرة، وهو الذي يسميه النحاة جواب الطلب. نحو: زرني أزرْك، والنحاة تقدر المعنى: إنْ تزرني أزرْك.

وهذا الأسلوب أسلوب شرطي فيه جزاء مترتب على ما قبله ومرتبط به ارتباط الجواب بالشرط، فإنْ لم يرتبط الفعل بما قبله هذا الارتباط لم يجزم.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:١٩].

ـ ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨].

ـ ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٧٣].

ـ ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف:٥].

ـ ﴿جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ [فاطر:٣٦].

في هذه الأمثلة لا يصح إسقاط الفاء وجزم الفعل؛ لأنه لا يصح تقدير الشرط إذا حذفت الفاء، فلا يصح: إنْ لا يُقض عليهم يموتوا؛ لأنّ الفاء هي لبيان العلة والسبب.

❁❁❁❁

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧) ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين يذّكرون ويتذكرون؟ ويتذكر ويذّكر؟

الجواب :

آية فاطر معناها أنكم بقيتم في الدنيا مدة طويلة، وهي كفاية للتذكر لكنكم لم تتذكروا، فجاء بصيغة الفك الطويلة ﴿مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾.

لمزيد من التفاصيل انظر الجواب في آية آل عمران ٧.

❁❁❁❁

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (٣٩) ﴾

السؤال الأول :

ما اللمسة البيانية في ذكر وحذف ﴿فِى﴾ في الآيتين ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١٦٥] و﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:٣٩]؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ١٦٥.

السؤال الثاني :

ما كلمات منظومة الكفران والإنكار و الجحود ومرادفاتها؟

الجواب :

انظر الجواب في آية هود٥٩.

❁❁❁❁

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الخطاب للرسول ﷺ ﴿قُلْ﴾والمراد هنا الإخبار عن حال شركائهم الذين عبدوهم من دون الله، وليس للاستفهام عن الرؤية، وجعلهم هم أنفسهم حكماً في هذه المسألة.

٢ـ طلب الإخبار عن شركائهم في الأمور التالية :

أ ـ هل هم خلقوا الأرض وانفردوا فيها؟ !

ب ـ هل شاركوا الله في الخلق؟ !

ج ـ هل عندهم كتاب يبيح لهم الشرك يكون لهم حجة في شركهم؟!

٣ـ كان الرد هو قوله تعالى: ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾.

أي كل هذا باطل، فشركاؤهم ما خلقوا شيئاً وما شاركوا في خلق شيء ولا آتيناهم كتاباً يكون حجة لهم، وكل هذا خداع منهم وزخرفة. والحقيقة أنهم يغرّ بعضهم بعضاً ويخدع بعضهم بعضاً بهذه الأباطيل.

السؤال الثاني :

ما دلالة كلمة ﴿مَاذَا﴾ في الآية؟ ولِمَ لم يستعمل (ما)؟

الجواب :

هنا في الآية يوجد تحدٍّ كبير للمشركين لا يمكنهم الإفلات منه، فيقول لهم: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾؟ أي اذكروا لي شيئاً واحداً خلقوه وإنْ هان، فجاء بـ (ماذا) في التحدي وهو أبلغ وأقوى من (ما).

❁❁❁❁

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الله وحده هو الذي يمسك السموات أنْ تقع على الأرض، ويمسك السماوات من أنْ تتحرك من أماكنها فتسقط وتتهدم. وهذه المسألة لله وحده ليس فيها شريك ولا معارض. والله هو الذي خلق السماوات بغير عمد. وليست المسألة جاذبية ولا غيرها، وإنما هي القدرة الإلهية التي خلقت كوناً مُحكماً يجعل لكل مخلوق في السماوات والأرض ما يحفظ توازنه ويمسكه من أن يقع.

٢ـ قوله تعالى: ﴿إِنْ﴾ يعني: ما يمسكهما، فهي بمعنى أداة النفي.

٣ ـ ما علاقة نهاية الآية ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ أي ما علاقة هاتين الصفتين لله تعالى (الحليم والغفور) بمسألة إمساك السماوات والأرض وهي مسألة كونية؟

والجواب :

كأنّ الله يقول لنا: إنّ هذه المسألة الكونية سيكثر حولها الجدل وتتعدون حدودكم وتخوضون أكثرمما ينبغي، لذلك فالحق سبحانه حليم لا يعاقب المتجرئين عليه الخائضين في حقه بل المنكرين لوجوده، ولولا حلمه ومغفرته لذنوبنا ما أمسك السموات والأرض، ولتهدم هذا الكون على من فيه.

جاء في الحديث القدسي:. ..فقال الله: « **دعوني وخلقي، لو خلقتموهم لرحمتموهم، إن تابوا إلي فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم** ».

السؤال الثاني :

ما دلالة الفعل ﴿يُمْسِكُ﴾ في الآية؟

الجواب :

جاء الفعل﴿يُمۡسِكُ﴾ بصيغة الاستمرارية، أي أنّ إمساك الله تعالى لمادة الكون من الزوال مستمرة، لذلك فالمخلوقات مدينة بوجودها في كل لحظة للخالق سبحانه وتعالى. وإيداع حيثيات الوجود في المادة لا يعني أنها أصبحت أصيلة ومستقلة في وجودها عن أمر الله تعالى، وهذه الحيثيات تُخرج المادة إلى ساحة الوجود المكاني والزماني في كل لحظة بأمر الله سبحانه وتعالى.

السؤال الثالث :

كيف استعمل التثنية مع وجود الجمع﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ في آيتي الأنبياء ٣٠ وفاطر ٤١؟

الجواب :

أراد بـ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الجنس، أي جنس السماوات، وكذلك جنس الأرض فقال: ﴿فَفَتَقۡنَٰهُمَا﴾ بالمثنى.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ [فاطر:٤١].

والله أعلم.

السؤال الرابع :

قوله تعالى في الآية ٤١: ﴿حَلِيمًا غَفُورٗا﴾، وقد وردت صيغة ﴿غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ في القرآن الكريم في ٦ مواضع، بينما وردت صيغة ﴿غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ في ٦٤ موضعاً. فما دلالة ذلك؟

الجواب:

الحلم هو الأناة والتعقل. والحليم من أسماء الله الحسنى بمعنى تأخير العقوبة عن بعض المستحقين، ثم يعذبهم، وقد يتجاوز عنهم.

وكلمة (حليم) في آيات القرآن الكريم لا يؤخذ منها التبشير بالرحمة؛ لأنها لو كانت كذلك لجاءت غفور رحيم، وإنما جاءت هنا ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ كتهديد بالعذاب لمن لا يرتدع ويتجاوز الحد.

ومعنى الآية ٢٣٥ من سورة البقرة أنه لا يغرنّك أيها الزوج حلم الله تعالى عليك فتتمادى في ظلم زوجتك فإن الله مطلع عليك ولا ينسى عملك وتذكر أنه إذا دعتك قدرتك على ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك .

ولو تأملنا في كل الآيات التي خُتمت بقوله تعالى: ﴿غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ نجد أنّ السياق فيها كان تحذيراً للذي لا يرتدع عن تجاوز حدود الله تعالى ولا يخاف بطشه سبحانه.

كما نلاحظ في الآية ٢٣٥ من سورة البقرة أنّ الأفعال جاءت فيها بالمضارع؛ ليدل على أنّ هذه الأمور متجددة الحصول وقد نقع فيها فلننتبه وهذه الأفعال هي: ﴿سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ ﴿تُوَاعِدُوهُنَّ﴾ ﴿تَقُولُوا﴾ ﴿تَعْزِمُوا﴾ ﴿يَبْلُغَ﴾ ﴿يَعْلَمُ﴾ ﴿فَاحْذَرُوهُ﴾

السؤال الخامس :

ما دلالة ﴿إِنْ﴾ النافية في الآية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الإسراء ١٧ .

﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الفرق بين ﴿لَّيَكُونُنَّ﴾ [فاطر:٤٢] ﴿وَلَيَكُونًا﴾ [يوسف:٣٢]؟

الجواب :

هذا ليس تنويناً، وإنما نون التوكيد الخفيفة ونون التوكيد الثقيلة.

❋❋❋❋

﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما الحكمة من تكرار التركيب في قوله تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر:٤٣]؟

الجواب :

١ـ التبديل هو تبديل العقوبة؛ لأنّ الآية في سياق العقوبة ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ وهي عامة، ولكنها جاءت هكذا ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ سنة الأولين ذكرها تعالى في العقوبة. فهذه لا يمكن لأحد أنْ يغيّر العذاب الذي أنزله أو يبدّل هذه العقوبة بأمر آخر. والذي يفعل مثل فعل

الأولين ربنا يعاقبه بمثل العقاب الذي نال الأولين، و إذا أراد أي أحد أنْ ينفعهم أو أنْ يبدل العقوبة فلا يمكن له ذلك ولا يمكن له أنْ يحولها من ناس إلى آخرين.

السؤال الثاني:

الآية واحدة والقصة واحدة، ومع هذا تتحول المفردات من كلمة لأخرى فما اللمسة البيانية فيها؟

الجواب :

التبديل غير التحويل. التبديل هو تبديل العقوبة بغيرها أو يبدلها من عقوبة إلى شيء آخر، بينما التحويل هو أنْ تحولها من أناس إلى أناس آخرين. فالذين يفعلون المعاصي وتحل عليهم عقوبة، لا يمكن أنْ يحول العقوبة من أحد إلى آخر .

والذي يفعل مثل هذا الفعل ربنا سبحانه وتعالى يجري السُّنّة عليه فلايمكن أنْ تتبدل ولا يمكن أنْ تتحول من هؤلاء إلى آخرين، والذي يفعل مثل هذا الفعل يناله نفس الجزاء، ولا يمكن أنْ تبدل العقوبة بغيرها.

ربنا يعاقب المجتمعات الظالمة بعقوبات محددة، ولا يمكن لأحد أنْ يبدّل العقوبة إلى عقوبة أخرى غير التي قدّرها الله أو يجعلها مكافأة بدلاً عنها فهذا لا يمكن أنْ يكون. و لا يمكن لأحد أنْ يحوّل ما وضعه الله تعالى من سُنن، ولا يمكن أنْ يحوّل العقوبة من الظالمين لغيرهم أو من المكذبين لغيرهم، بل كل شيء بيد الله وحده وحسب سننه التي وضعها والتي لا يمكن لأحد أنْ يبدلها أو يحولها. والله أعلم.

السؤال الثالث :

السؤال: ما دلالة التكرار في قوله تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾؟

الجواب:

آية فاطر٤٣ :

قال الإمام محمود بن حمزة الكرماني في كتابه أسرار التكرار في القران الكريم المسمى: (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان) عند ذكر آية سورة فاطر٤٣ ما نصه:

وقوله: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ كرّر،وقال في آية الإسراء ٧٧: ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا﴾، ولم يكرر. بينما قال في الفتح٢٣: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾.

أـ التبديل: تغيير الشيء عما كان عليه، ولا يكون التبديل إلا برفعه ووضع آخر مكانه. كقوله تعالى: ﴿بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا﴾ وكذلك: ﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ ﴾.

فالإبدال هو جعل الشيء مكان الشيء. يقال بدلّه إذا غيّره، وأبدله أي جاء ببدله.

ب ـ وأما التحويل فهو نقل الشيء من مكان إلى مكان آخر، وسنة الله تعالى لا تبدل ولا تحول. فخصّ هذا الموضع في سورة فاطر بالجمع بين الوصفين لما وصف الكفار بوصفين وذكر لهم غرضين، وهو قوله:

١ـ في الآية ٣٩: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا﴾.

٢ـ وقوله في الآية ٤٣: ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ﴾وقيل: هما بدلان من ﴿نُفُورًا﴾ فكما ثنى الأول والثاني، ثنى الثالث والرابع؛ ليكون الكلام كله على غرار واحد.

بينما قال في الفتح٢٣: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ فاقتصر على مرة واحدة لما لم يكن للتكرار موجب.

وخصّ سبحانه في آية سورة الإسراء٧٧ بقوله: ﴿تَحْوِيلًا﴾؛ لأنّ قريشاً قالوا لرسول الله ﷺ: لو كنت نبياً لذهبت إلى الشام، فإنها أرض المبعث والمحشر، فهمَّ النبي ﷺ بالذهاب إليها، فهيأ أسباب الرحيل والتحويل، فنزل عليه جبريل عليه السلام بهذه الآية ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ﴾ وختم هذه الآية بقوله ﴿تَحْوِيلًا﴾تطبيقا للمعنى.

والله أعلم.

السؤال الرابع :

ما كلمات منظومة الحف والحصر والإحاقة والمداولة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية آل عمران ١٤٠.

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

جاء في يوسف ١٠٩ والحج ٤٦ ﴿أَفَلَمْ﴾وجاء في الروم٩ وفاطر٤٤ وغافر٢١ ﴿أَوَلَمْ﴾، فلماذا؟

الجواب:

القاعدة أنه في كل موضع يكون ما قبله سبباً لما بعده يكون (بالفاء) السببية، وإنْ لم يكن سبباً لما بعده يكون (بالواو) العاطفة؛ لأنها تعطف جملة على جملة. والسياق يبيّن الموضوع، فمثلاً :

١ـ آية يوسف١٠٩ : لمّا تقدمها ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم ﴾ قال: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾أي: فينظروا ويسمعوا أخبار الرسل وما جرى على من كذبهم.فاستعمل (الفاء)؛ لأنّ ما قبلها سبب لما بعدها.

٢ـ آية الحج٤٦: لمّا تقدمها﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ﴾قال: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي ليتدبروا أحوال الماضين منهم. فاستعمل (الفاء) لأنّ ما قبلها سبب لما بعدها.

وهكذا. والله أعلم.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في آية الروم ٩ وآيتي غافر ٢١ـ٨٢: ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾ وفي فاطر ٤٤ ﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾؟ بزيادة الواو، فلماذا؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الروم ٩.

❁❁❁❁

﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا ٤٥﴾

السؤال الأول :

علام يعود الضمير في ﴿ظَهۡرِهَا﴾ في الآية؟

الجواب:

قد يعود الضمير على العلم به، وإنْ لم يتقدم له ذكر، كما في :

ـ آية فاطر ٤٥: الضمير في ﴿ظَهۡرِهَا﴾ يعود على الأرض؛ وذلك لأنّ الكلام عن الناس والناس على الأرض.

ـ آية ص ٣٢: الضمير في ﴿تَوَارَتۡ﴾ يعني الشمس، فهي مفهومة من السياق.

ـ آية القدر ١: الضمير يعود على القرآن.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في آية النحل ٦١ ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ وفي آية فاطر ٤٥ ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ﴾، فما السبب؟

الجواب :

ليس في الآيتين تكرار، وإنما لكل آية معناها :

١ـ آية النحل تتكلم عن ظلم الناس، بينما آية فاطر تتكلم عما اكتسبوه من السيئات العامة، وكلتا الآيتين تعطيك لقطة جديدة؛ لأنني قد أظلم لكن قد أندم على ظلمي ولا أتمادى به. لكن إنْ صار عادة لي حتى عشقته فهو اكتساب وافتعال.

٢ـ في آية النحل ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ وفي آية فاطر ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ﴾.

٣ـ تذييل آية النحل يتحدث عن الزمن والأجل الذي لا يتأخر ولا يتقدم وفي الأخرى يتحدث عن الجزاء وأنّ الله بصير بأعمال عباده لا يخفى عليه منهم شيء، و﴿مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا﴾ متصل بالآية التي قبلها ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ فالضمير يعود على أقرب مذكور، وهو الأرض.

٤ـ هناك طريقة لحفظ الآيتين دون أنْ تخلط بعضهما ببعض، وهي أنْ [لا تجمع الظائين ولا السينين] أي إنْ قلت: بظلمهم، فلا تقل: ﴿عَلَىٰ ظَهۡرِهَا﴾ وإنْ قلت: بما كسبوا، فلا تقل: ﴿لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ﴾.

٥ـ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ﴾ أي القيامة والعذاب، أو جاء أجل استئصالهم بعذاب.

٦ـ في الآيتين لم يذكر الله ظهر ماذا؟ وإنما قال: ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ وهي الأرض، فلم يذكرها لشدة وضوحها.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ فلم يذكر القرآن صراحة لوضوحه للمخاطب والسامع.

والله أعلم

رابعاً ـ تناسب فواتح سورة فاطر مع خواتيمها:

١ ـ قال سبحانه في أول السورة:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

وقال في أواخرها:

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾. فهو فاطرهما، وما كان ليعجزه شيء فيهما.

٢ ـ وقال في أوائلها:

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر:٢-٣].

وقال في آخرها:

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر:٤٥].

وهذا مناسب لقوله في أوائل السورة: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾. فإنه لو أمسك رحمته ما ترك على ظهرها من دابة.

هذا وإنّ عدم مؤاخذته الناس بما كسبوا من رحمته ونعمته سبحانه عليهم.

وهو مناسب لقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.

٣ ـ وقال في أوائلها:

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾ [فاطر: ٤].

وقال في أواخرها:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ﴾ [فاطر: ٤٤].

فهو في الآية الثانية يوجههم إلى النظر في عاقبة الذين كذبوا رسلهم وإلى السير في الأرض؛ ليتبين ذلك لهم.

والله أعلم.

سورة يس

أولاً ـ تناسب خواتيم فاطر مع فواتح يس

١ ـ قال سبحانه في أواخر سورة فاطر :

﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ ﴾ [فاطر:٤٢-٤٣] .

وقال في أول سورة يس :

﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ... ﴾ [يس:١-٧] .

فذكرهم في الموضعين وذكر صدودهم وعنادهم.

٢ ـ قال سبحانه في آخر سورة فاطر :

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [فاطر:٤٤] .

وضرب لهم في أوائل يس مثلاً لعاقبة الذين كذبوا من قبلهم، وهو قصة أصحاب القرية، وذلك قوله: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

إلى قوله: ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [يس:١٣-٢٩] .

ثانياً ـ هدف السورة: الاستسلام لله والإصرار على الدعوة:

سورة (يس) تظهر أنه لا بد للمسلم من الاستسلام لله تعالى وتفويض الأمر إليه أثناء الدعوة إلى الله، بأنْ يبقى المرء مصراً على الدعوة سواء اهتدى الناس أم لم يهتدوا؛ لأنّ الدعوة إلى الله عبادة لله، وأنت تتقرب إلى الله بهذه العبادة سواء أرأيت النتائج أمامك أم لم ترها.

ولذلك فإن سورة (يس) تصور لنا نموذجين من الأشخاص: نموذجاً لأشخاص ما تزال قلوبهم تنبض بالحياة، ونموذجاً آخر لأشخاص ماتت قلوبهم. ولأنّ المرء لا يعلم ما في قلوب الناس، فهو بالتالي لا يعلم من ترجى هدايته ممن لا يرجى، فوجب عليه دعوة الجميع سواء اهتدوا أو لم يهتدوا.

*** سبب نزول السورة :**

تبدأ السورة بذكر الذين لا ترجى هدايتهم: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠﴾ [يس:١٠] ثم مباشرة تذكر من ترجى هدايته: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ١١﴾ [يس:١١].

فالسورة تصور الفئتين مما يوضح سبب نزولها على النبي ﷺ قبل الهجرة مباشرةعندما توقف انتشار الإسلام وبدأ المسلمون يشعرون باليأس من دعوتهم. لذلك ترى آيات كثيرة تثبت أن النبي عليه السلام على الحق وتقوي عزيمته للاستمرار في طريق الدعوة: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٥ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ٦﴾.

فكأنّ السورة تسأل الدعاة وتسألنا أيضاً: هل ستطيعون الله وتستسلمون له وتستمرون بدعوتكم؟

*** نموذج للاستسلام لله وعدم اليأس :**

ونرى هنا قصة القرية التي أرسل الله لها ثلاثة من المرسلين: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يس:١٣-١٤].

لكنّ هناك رجلاً أحس بمسؤوليته عن هذا الدين وكان موقفه رائعاً :

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [يس:٢٠-٢٢] فهذا الرجل لم يقف مكتوف اليدين دون أنْ يدعو إلى الله بحجة وجود الأنبياء في هذه القرية، لكنه أصرّ على الاستمرار في دعوة قومه رغم أنهم لم يستجيبوا للأنبياء الذين هم أفضل منه بكثير.

وهكذا تصب القصة في محور السورة: إياك واليأس من دعوة الناس إلى الله.

*** الآيات الكونية ونهاياتها :**

ركزت السورة على الموت والبعث حتى نتذكر أننا جميعاً سنموت؛ لذلك ينبغي الاستمرار في الدعوة لعلّ الله يحيي قلب رجلٍ عاصٍ قبل الموت.

وهذا المحور جاء مقروناً بالآيات الكونية المذكورة في السورة التي ركزت على النهايات، وكأنها تذكر الكافرين بالموت، فللشمس وللقمر نهاية كما لكل المخلوقات.

: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [يس:٣٨-٣٩].

*** اقرؤوا يس على موتاكم :**

ومن هنا نفهم حديث الرسول ﷺ «**اقرؤوا يس على موتاكم** » والمقصود حال احتضاره، وليس على قبره. وكأنّ المعنى: اقرأ هذه السورة على كل حي حتى أولئك الذين يلفظون أنفاسهم الأخيرة؛ لأنّ الحياة لا تزال موجودة فيهم. فإذاً لا بدّ من توجيه الدعوة إليهم وعدم اليأس منهم. .. وهذا معنى جميل ومهم لكل الدعاة إلى الله.

❁❁❁❁

ثالثاً ـ اللمسات البيانية في السورة:

﴿يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الحروف المقطعة في أوائل بعض السور في القرآن الكريم؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثاني :

لماذا لم يلتزم نفس الأحرف المقطعة في كل السور؟ وهل هناك مناسبة بين تلك الأحرف والآية التي تليها حيث ذكر الكتاب أو القرآن؟

الجواب:

انظر الجواب في آية البقرة ١.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين دلالة كلمة الكتاب والقرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢.

السؤال الرابع :

ما دلالة كلمة يس؟ وهل - كما قيل- ترمز للرسول ﷺ؟ وما دلالة الآية الثانية بيانياً؟

الجواب :

١ـ﴿يسٓ﴾ قيل في الأحرف المقطعة كلام كثير ـ والله أعلم بمراده ـ ولكنْ بشكل عام فإنّ هذه الأحرف تلفت انتباه السامع، وتجعله يصغي إلى ما يقال بعدها، فكأنها وسيلة تعبيرية تشد الذهن.

٢ـ ذهب بعضهم إلى أنّ ﴿يسٓ﴾ من أسماء الرسول ﷺ بدليل مابعدها ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾ .

والأقرب إلى الصواب أنّ هذا الرأي ليس سديداً، بدليل قوله تعالى:

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣﴾ [الشورى:١-٣].

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾ [مريم:١-٢].

﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣﴾ [القلم:١-٣].

ولم يقل أحد أنّ (حم عسق) أو (كهيعص) أو (ن) من أسماء الرسول ﷺ

❁❁❁❁

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾

١ـ أقسم ربنا بالقرآن الحكيم. والقرآن مأخوذ من لفظ القراءة، والقرآن في الأصل مصدر للفعل (قرأ) والمصدر الثاني (قراءة)، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ أي قراءته.

ويسمى أيضاً بالكتاب، وأقسم به ربنا أيضاً فقال: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ والكتاب من الكتابة.

ولذلك فإنّ التسمية بالقرآن والكتاب إشارة إلى أنه يُقرأ ويُكتب، فأقسم به ربنا مكتوباً ومقروءاً.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ يحتمل عدة معان كلها يمكن أنْ تكون مرادة :

أ ـ على وزن (فعيل) بمعنى اسم المفعول أي: مُحكم، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود:١].

ب ـ بمعنى صاحب الحكمة أو ذو حكمة فيكون الإسناد مجازياً، وحقيقة الإسناد إلى الله تعالى.

ج ـ الحكيم مبالغة من الحُكم فهو بمعنى الحاكم؛ أي أنه قرآن حاكم، وهو كذلك فهو الحَكَم العدل والقول الفصل، وحكمه يعلو على جميع الأحكام.

أي أنه جمع بقوله: (الحكيم) بين الحقيقة والمجاز، وجمع بين المجاز العقلي والاستعارة، ولا تؤدي كلمة أخرى هذا المؤدى.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

أين جواب القسم في الآية السابقة ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ ؟

الجواب:

هو قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ .

١ـ هذا جواب القسم، فالله أقسم بالقرآن الحكيم إنّه لمن المرسلين.

٢ـ إنّ هذا ليس مجرد الحلف، وإنما هو دليلٌ خرج في صورة اليمين لأنّ القرآن معجزة ودليل كونه مرسلاً هو المعجزة والقرآن كذلك.

ولذلك أقسم بالقرآن، مع أنّ كفار قريش لا يرون القرآن كلام الله، ولكنْ حيث إنّ القرآن جعله الله معجزة الرسول والدليل الأكبر على رسالته وسماه برهاناً، كما في آية

النساء ١٧٤: ﴿قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ وقد تحداهم الله به أكثر من مرة وأقام الحجة عليهم، فكأنه قال لهم: تدبروا هذا القرآن وتأملوه، فإنه أُحكم إحكاماً لا إحكام بعده، وإنه حكيم ينطق بالحكمة، وهو حاكم يعلو ولا يُعلى عليه، فلو تدبرتموه لعلمتم علم اليقين أنه أُنزل من عند الله. وهذا من أحسن القسم.

٣ـ أكّد الجواب بإنّ واللام؛ وذلك لشدة إنكار قومه لرسالته، كما بينت الآيات التي بعدها.

٤ـ قال: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ولم يقل: إنك رسول؛ ليدل على أنه واحد من جماعة الرسل المرسلين، وليس بدعاً من الرسل.

٥ـ ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يحتمل أنْ يكون الجار والمجرور خبراً بعد خبر بتقدير: إنك على صراط مستقيم.

ويحتمل أنْ يكون الجار والمجرور متعلقاً بالمرسلين، بتقدير: إنك من الذين أُرسلوا على صراط مستقيم.

والاحتمال الأول أي خبراً بعد خبر، يعني أنه يصح أنْ تستغني بأحد الخبرين، لكنه لم يكتف بأحد الخبرين؛ لأنه لو قال فقط: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ لدلّ على أنه على صراط مستقيم تضميناً لا تصريحاً؛ لأنّ كونه من المرسلين يدل على أمور كثيرة، منها أنه صادق، ومنها أنه على حق ومنها أنه يأمر بالخير، ومنها أنه على صراط مستقيم ؛ولذلك جاء قوله: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ لتحدد أمراً معيناً، فلم يدعْ ذلك للذهن أنْ يستنتجه.

وأمّا الاحتمال الثاني (إنك على صراط مستقيم) فقط فلا يدل على أنه من المرسلين، فكون الشخص على الصراط المستقيم لا يعني أنه رسول من عند الله.

٦ـ قدّم ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ على قوله: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ لعدة أسباب :

أ ـ قوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أفضل من كونه على صراط مستقيم؛ لأن كونه مرسلاً يعني أنه على صراط مستقيم وأنه نبي.

ب ـ قوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ يتضمن أنه على صراط مستقيم؛ لأنّ كونه على صراط مستقيم إنما هو بسبب أنه مرسل أوحي إليه بهذا الصراط فهو أسبق في الرتبة.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما دلالة كلمة الصراط؟

الجواب :

الصراط هو :

١ـ الطريق.

٢ـ هو الجسر المضروب على متن جهنم يمر عليه البارُّ والفاجر والمؤمن والكافر، كلٌّ بحسب عمله.

وحين تمر على الصراط لا يكون معك عصاً تحفظ بها توازنك كلاعب السيرك؛ لأنّ الذي يزن حركتك على الصراط هو القرآن الذي تمسكت به في حياتك الدنيا.

٣ـ سُمي: (مستقيم)؛ لأنه يوصلك للغاية من أقرب مسافة وأيسرها. وعبارة ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فيها إشارة إلى أنّ الصراط له مهمة هي أنْ يُوصلك إلى الغاية المرادة، فالصراط في خدمتك.

وسُمي طريق المؤمنين الصراط المستقيم؛ لأنّ الله تعالى هو الذي شرعه ولأنه منزّل منه سبحانه.

٤ـ الحرف ﴿عَلَىٰ﴾ أي أنك تعتليه وكأنه مطية توصلك لغايتك، فهو يحملك لا تحمله أنت.

❁❁❁❁

﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الكتاب يُعظّم عادة من ناحيتين: من حيث ما فيه ومن حيث مرسله. وهذا ما عظّمه الله في الآيات السابقة من وصف القرآن بالحكمة.

ثم إنّ مُرسله يكون معظّماً من ناحيتين: بسبب أنْ يكون مرهوباً، أو بسبب أنْ يرجى خيره. وقد جمع الله ذلك بقوله: ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾فجمع بين الترغيب والترهيب وهما مصدر التعظيم للذات.

فقوله: ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾يفيد أنه نافذ أمره، و﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ يفيد أنه ذو رحمة وليس متجبراً.

٢ـ نُصب قوله: ﴿تَنزِيلَ﴾ على المدح أو على المصدرية بتقدير: نزل تنزيلَ. وأياً كان ففيه إظهارٌ لفخامة القرآن الإضافية بعد بيان فخامته الذاتية بوصفه بالحكمة.

كما قرىء ﴿تنزيلِ﴾ بالجر على أنه بدل من القرآن.

٣ـ التنزيل إنما يكون من المكان العالي المرتفع، ممّا يدل على رفعة القرآن ورفعة مكانه، فالقرآن كان محفوظاً في اللوح المحفوظ، وهذا تعظيم آخر للقرآن.

وعلى هذا يكون القرآن قد أشار إلى تعظيم القرآن من عدة نواح:

أ ـ الإقسام به.

ب ـ وصفه بأنه حكيم.

ج ـ أنه في مكان عالٍ، وقد نزّله العزيز الرحيم بأمره.

د ـ أنّ الله أضافه إلى نفسه بوصفي (العزيز الرحيم) ترهيباً وترغيباً.

٤ـ وللعلم فإنّ طابع سورة (يس) طبعت بطابع هذين الاسمين الجليلين ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وجو السورة يشع فيه العزة والرحمة.

٥ـ ونجد من الآيات السابقة أنه ذُكر لربنا سبحانه ثلاثة أسماء واحداً بالتضمين واثنين تصريحاً.

أمّا المذكور بالتضمين فهو قوله: ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ فإنه وصف به القرآن وهو كلامه، وإذا كان الكلام حكيماً فصاحبه حكيم أيضاً.

وأمّا الاسمان المصرح بهما فهما ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وكمال الاتصاف بهما أنْ تكون الحكمة والعزة معاً، فرحمة من دون عزة ضعف، وهي من دون حكمة نقص.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله: ﴿لِتُنذِرَ﴾ فيه احتمالان:

أ ـ يحتمل أنْ يكون متعلقاً بقوله: ﴿ تَنزِيلَ ﴾ أو بالفعل المضمر (نزّل) بتقدير: تنزيل العزيز الرحيم لتنذر، أو نزله العزيز الحكيم لتنذر.

ب ـ كما يمكن أنْ يكون متعلقاً بـ(المرسلين) أي: إنك لمن المرسلين لتنذر قوماً.

٢ـ الحرف (ما) له احتمالان :

أ ـ نافية: بمعنى: لتنذر قوماً لم ينذر آباؤهم، ولذلك هم غافلون؛ لأنّ عدم الإنذار هو سبب غفلتهم المستحكمة، وهنا يفهم نفي الإنذار للآباء.

ب ـ موصولة أو مصدرية، بمعنى: لتنذر قوماً الشيء الذي أُنذره آباؤهم أو: لتنذر قوماً مثل إنذار آبائهم، والمقصود بالآباء آباؤهم الأقدمون، وهنا يفهم إثبات الإنذار للآباء.

٣ـ فإنْ قلت: أي فرق بين تعلقي قوله: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ على التفسيرين؟

فالجواب هو أنه على النفي (الوجه الأول) لم ينذر آباؤهم؛ ولذلك هم غافلون، وعلى الوجه الثاني (الإثبات) بقوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي لتنذر كما تقول: أرسلتك إلى فلان لتنذره، فإنه غافل أو فهو غافل.

٤ـ على قول (ما) نافية معناه: لم ينذر آباؤهم، وعلى إثبات الإنذار يكون الإنذار لآبائهم الأولين دون المتأخرين منهم.

لكن لا مناقضة بين الرأيين في تفسير (ما)؛ لأنّ الآية في نفي إنذارهم لا في نفي إنذار آبائهم.

وآباؤهم القدماء من ولد إسماعيل وكانت النذارة لهم.

٥ـ والأقرب إلى الذهن هو المعنى الأول بنفي الإنذار، وإنّ المدة الزمنية بين رسولنا عليه السلام وأقرب نبي وهو عيسى عليه السلام أكثر من خمسمائة عام.

فما بالك بمن قبله، ولا شك - على هذا- أنّ آباءهم لم ينذروا، والله أعلم.

السؤال الثاني :

كيف التوجيه بين التأكيد على بعث الرسل لكل أمة في سورة فاطر ٢٤ ونفي ذلك عن أمة محمد ﷺ في آية سورة يس ٦؟

الجواب :

١ـ المراد بآية فاطر مطلق الأمم كعاد وثمود وقوم نوح وقوم إبراهيم وبني إسرائيل.

وفي العرب من ولد إسماعيل، كان هناك نبيان في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام، وهما (خالد بن سنان) وبُعث إلى عبس وروى حديثه في المستدرك وقال فيه النبي ﷺ: «**ذاك نبي أضاعه قومه**».

والثاني هو (حنظلة بن صفوان) وبعث إلى حمير وهو نبي الرس المذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ﴾.

٢ـ وأمّا آية يس فالمراد بهم قريش خاصة وأهل مكة الموجودون زمن النبي ﷺ، وآباؤهم لم يأتهم نذير خاص بهم قبل النبي ﷺ.

❁❁❁❁

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ معنى ﴿حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ في القرآن الكريم؛ أي ثبت لهم العذاب ووجب، وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣].

وهذا هو الرأي المشهور عند المفسرين.

وهناك أوجه أخرى منها :

أ ـ سبق في علمه أنّ هذا يؤمن وأنّ هذا لا يؤمن.

ب ـ لقد حقّ القول الذي قاله الله على لسان رسله من التوحيد وغيره وبان برهانه على أنّ أكثر الكفار ماتوا على الكفر ولم يؤمنوا.

٢ـ في القرآن الكريم أسند الفعل (حقّ) إلى القول﴿حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ أو إلى الكلمة ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ في ثلاثة عشر موضعاً مما يدل على الوجه الأول للتفسير، وهي الآيات :

[القصص ٦٣ـ فصلت ٢٥ـ الأحقاف ١٨ـ السجدة ١٣ـ يس ٧ـ ٧٠ـ الصافات ٣١ـ الزمر ١٩ـ ٧١ـ يونس ٣٣ـ ٩٦ـ غافر ٦ـ الإسراء ١٦].

وبذا يترجح الوجه الأول للتفسير.

٣ـ ذكر في الآية يس ٧ أنه حقّ القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون وهذا ما حصل فعلاً، وهذا من الإعجاز؛ لأنه أخبر بالشيء قبل حصوله فحصل.

ويكفي ورود ذلك في القرآن دليلاً، فإنّ القرآن أصدق وثيقة تاريخية عما أخبر في وقته. وهذه الآية كانوا يسمعونها دوماً فلو لم يحصل ذلك لكذبوه.

٤ـ الآية مصدّرة بـ ﴿لَقَدْ﴾ واللام موطئة للقسم، وقد حرف تحقيق ومعنى هذا أنّ ما أخبر عنه قد حصل فعلاً.

٥ـ قال: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ولم يقل: فهم لم يؤمنوا؛ ليدل على أنهم سيموتون على الكفر، وأنهم لا يؤمنون في مستقبل حياتهم، ولو قال: فهم لم يؤمنوا لكان إخباراً عن أمر قد مضى.

٦ـ في قوله: ﴿حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ﴾ قدّم القول على الجار والمجرور، بينما في مواطن أخرى قدّم الجار والمجرور على القول، كما في قوله تعالى:

﴿وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ ...﴾ [فُصِّلَت:٢٥].

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٣٣﴾ [يونس:٣٣].

وهذا التقديم والتأخير إنما يكون لغرض معنوي، كما هو مقرر في علم البلاغة، فما كانت العناية به أكثر قدّم في الكلام. ولنأخذ بعض الشواهد القرآنية :

آية فصلت ٢٥:

قدّم فيها الجار والمجرور ﴿عَلَيۡهِمُ﴾ على ﴿ٱلۡقَوۡلُ﴾، ذلك أنّ السياق على أعداء الله وعلى الذين حق عليهم القول، إي على الأقوام الذين حق عليهم العذاب، انظر آيات فصلت ١٩ـ٢٩، فناسب تقديم (هؤلاء) على (القول) لأنّ الكلام يدور عليهم.

آية يونس ٣٣:

انظر آيات سورة يونس ٢٩ـ٣٥ لتجد أنّ الكلام عن الله ونعمه واستحقاقه للعبادة، فناسب تقديم كلمة ﴿رَبِّكَ﴾ على الجار والمجرور﴿عَلَى ٱلَّذِينَ﴾

آية يس ٧:

العناية بقول الله عليهم أكثر من الكلام عن القوم وأفعالهم، فإنه لم يذكر عن القوم إلا أنهم غافلون، فذكر ما فعله ربنا ولم يذكر مافعلوه، فقدّم (القول) على الجار والمجرور.

٧ـ من جهة أخرى لفظية وفي جميع الآيات ذات الصلة، وهو أنه إذا كان حرف الجر داخلاً على الضمير نحو (عليهم) و (علينا) تقدّم الجار والمجرور على القول، وإلا تأخر.

* شواهد قرآنية :

أ ـ بتقديم الجار والمجرور على الفاعل:

ـ ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ [القصص:٦٣]ـ [فُصِّلَت:٢٥]ـ [الأحقاف:١٨].

ـ ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ [الإسراء:١٦].

ـ ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ﴾ [الصافات:٣١].

ـ ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ [الزُّمَر:١٩].

ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [يونس:٩٦].

ب ـ بتقديم الفاعل على الجار والمجرور :

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾ [يس:٧].

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ﴾ [يونس:٣٣].

﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزُّمَر:٧١].

﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يس:٧٠].

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما كلمات المنظومة التي تدل على أنّ الأمر وقع وثبت؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ١٠٥.

❁❁❁❁

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما معنى قوله تعالى ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾؟

الجواب :

المقمَح: مأخوذ من إبل قِماح، وهي التي حين تذهب لشرب الماء تغرف منه ثم ترفع رؤوسها إلى أعلى.

وهذه الصورة رسمها الحق لمن غَلَّ يده عن الصدقة وعن الإنفاق، كذلك تغل يده إلى عنقه يوم القيامة، والجزاء من جنس العمل.

والأغلال جمع (غل) وهو الحديدة التي تمسك اليد وتشدها تحت الذقن فيرتفع الرأس إلى أعلى، وبالتالي يرتفع مستوى النظر إلى أعلى، فلا يكاد يرى الإنسان طريقه ولا يهتدي إلى موضع قدمه.

أعاذنا الله من ذلك. اللهم آمين.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الأغلال جمع غُل، وهو حلقة من الحديد تحيط بالعنق أو باليد أو تجمع بينهما وتسمى الجامعة، وذلك بقصد التضييق والتعذيب والأسر.

والمقمح هو الذي يرفع رأسه ويغض بصره.

٢ـ والمعنى العام للآية: إنّا جعلنا في أعناقهم أغلالاً ثقالاً غلاظاً بحيث تبلغ إلى الأذقان، فلم يتمكن المغلول معها من أنْ يطأطىء رأسه.

وهذا تمثيل وكناية لحال هؤلاء الكفرة وبقائهم على ضلالهم، فلا يتمكنون من الهدى في الدنيا، وربما كان هذا حالهم يوم القيامة.

٣ـ إنّ المغلول يكون ممنوعاً من إبصار الطريق الحسي المستقيم الذي جاء به الرسول عليه السلام بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾﴾.

٤ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا﴾ فأسند الله هذا الأمر إلى نفسه مع التأكيد بـ(إنّ) ليدل على استحكام هذا الأمر، وأنه لا يتمكن أحد من فك هذا الغل فلا يتحررون منه، وهو تأكيد لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾﴾.

٥ـ قدّم ﴿أَعْنَٰقِهِمْ﴾ على الأغلال؛ لأنّ الكلام عليهم وهم مدار الحديث فكان تقديم ما تعلق بهم أولى.

والله أعلم.

السؤال الثالث :

ما طرق دخول النار؟ وما الأعمال التي تُحرم المؤمن على النار؟

الجواب :

ليس كل المشركين والملحدين على وتيرة واحدة في دخول النار ـ أعاذنا الله وإياكم منها ـ وإنما على أشكال متعددة :

١ـ دخول اعتيادي: أبواب جهنم موصدة تُفتح لإدخال المشركين والملحدين، وأنواع العذاب كثيرة كلٌ بحسب عمله.

قال تعالى: ﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [النحل:٢٩]، وقال تعالى: ﴿لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١٥﴾﴾ [الليل:١٥].

٢ـ الإلقاء من بعيد: بعد أنْ يقيدوا بالسلاسل وترفعهم أنواع من الكلاليب فيُلقون من مكان بعيد.

قال تعالى :

﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ﴿٨﴾﴾ [يس:٨].

﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٢٤﴾﴾ [ق:٢٤].

﴿إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ﴿١٣﴾﴾ [الفرقان:١٢-١٣].

٣ـ قسم ثالث يُدعّون إلى جهنم دعّا، كما يُدق الوتد في الجدار كالمجرم الذي يُدفع به إلى السجن بقوة.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ [الطور:١٣].

من الأعمال التي تُحرم المؤمن على النار:

١ـ الدعاء.

٢ـ الصدقة.

٣ـ الشفاعة.

٤ـ عين بكت من خشية الله.

٥ـ بر الوالدين.

٦ـ شهادة الآخرين.

٧ـ تربية البنات.

٨ـ من مات له ثلاثة أولاد.

٩ـ بعض الأعمال: كالمؤذن والتثويب خلفه.

١٠ـ أهل الليل والتهجد.

١١ـ أهل البلاء.

١٢ـ كل موت غير اعتيادي: حادث ـ مرض ـ حرق ـ غرق ـ غربة.

١٣ـ الصلاة في وقتها جماعة.

١٤ـ الصوم بكل أشكاله.

١٥ـ من اغبرت قدماه في سبيل الله.

١٦ـ المرابطون.

١٧ـ آية الكرسي بعد الصلاة.

١٨ـ ذكر الله.

١٩ـ سلطان عادل، ورجل رحيم، وفقير متعفف.

وغيرها كثير.

اللهم حرم أجسادنا وأجساد آبائنا وأمهاتنا وذرياتنا وإخواننا والمسلمين على النار.

اللهم آمين.

❁❁❁❁

﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما النظرات البلاغية في الآية؟

الجواب :

١ـ بعد ما ذكر الله تعالى في الآية السابقة أنه جعل في أعناقهم أغلالاً ذكر في هذه الآية أنه جعل من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً.

٢ـ كرر(مِنْ) في الآية، ولم يقل مثلا: وجعلنا من بين أيديهم سداً وخلفهم سداً؛ ذلك أنّ (مِنْ) تفيد الابتداء، ومعنى ذلك أنه جعل السد ابتداء من بين أيديهم، ولم يترك بينه وبينهم فراغاً، وكذلك من خلفهم فإن السد ملتصق بهم من الأمام ومن الخلف،

بخلاف ما إذا لم يذكر (منْ)، فإنه يحتمل أنْ يكون بينهم وبين السد مسافة بعيدة أو قريبة.

* شواهد قرآنية:

ـ ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ﴾ لم يستعمل (من)؛ لأنّ بينهم وبين السماء مسافة بعيدة.

ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ لم يستعمل (من) لأنّ بينهم وبين الطيور مسافة غير قليلة.

ـ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا﴾ استعمل (من)؛ ليدل على أنّ الرواسي ملتصقة بالأرض ليس بينها وبينها فراغ.

٣ـ قدّم الجار والمجرور على السد؛ وذلك لأنّ الكلام عليهم لا عن السد فكان تقديم ما تعلق بهم أولى.

٤ـ السد من الأمام ومن الخلف الهدف منه منعهم من السير للأمام ومنعهم من العودة إلى أماكنهم الأولى.

٥ـ ثم أغشى أبصارهم وغطاهم فمنعهم من الرؤية فهم لا يبصرون ولا يتحركون، فكيف يهتدون؟ !!

٦ـ قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ يحتمل أنه أغشاهم بالسدين، فلا يستطيعون الإبصار ولا الحركة، أو أغشى أبصارهم علاوة على السدين، وفي كلتا الحالتين لا يستطيعون الحركة ولا الإبصار.

٧ـ قوله تعالى: ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ يشمل جميع الجهات لأنّ أية جهة يتجهون إليها ستكون ما بين أيديهم، فلا حاجة إلى ذكر جهتي اليمين واليسار.

٨ـ أسند الله الجعل والإغشاء إليه سبحانه، لبيان أنه لا يمكن لأحد أنْ يزيل السدين أو يرفع الغشاوة.

٩ـ الفاء في قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ متعلقة بالإغشاء بالسد، فكيف ذلك؟

والجواب من وجهين:

أ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ أي: فلا يبصرون أنفسهم لإقحامهم وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ أي: فلا يبصرون ما في الآفاق، وحين ذاك يمكن أنْ يروا السماء وما على يمينهم وشمالهم فقال بعد ذلك كله: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ أي فلا يبصرون شيئاً أصلاً.

ب ـ ويحتمل أنْ يكون المراد هو أنّ الكافر مصدود وسبيل الحق عليه مسدود، وهو لا يبصر السد ولا يعلم الصد، فيظن أنه على الطريقة المستقيمة وغير ضال.

١٠ـ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ فأغلق منافذ الإيمان والهدى في آية البقرة، بينما أغلق منافذ السير على الصراط المستقيم في آيات يس، فناسب كل تعبير مكانه الأليق.

١١ ـ لم يكرر الفعل ﴿جَعَلْنَا﴾ من الخلف، بل ذكره مع السد الأمامي فقط والسبب- والله أعلم - أنه مع أنّ التكرار يفيد التأكيد، إلا أنّ السدين ليسا بمنزلة واحدة؛ لأنّ

السد الأمامي هو الأهم؛ لأنه هو الموصل إلى الهدى والفلاح، وأمّا السد الخلفي فهو مانع من الرجوع فقط.

فلمّا لم يكن السدان بمنزلة واحدة من حيث الأهمية لم يجعلهما في التعبير بمنزلة واحدة، بخلاف آية النبأ ١٠ـ١١ في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾، حيث كرر الفعل (جعلنا)؛ لأنّ الليل والنهار كليهما مهمان للإنسان، فلا تصلح الحياة بليل لا نهار ولا تصلح بنهار لا ليل فيه و الحياة إنما تستقيم بالليل والنهار معاً مما جعلهما بمنزلة واحدة، فكرر الجعل مع كل واحد منهما.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ ما كفر أحدٌ غصباً عن الله، إنما كفر بما أودع اللهُ فيه من اختيار.

٢ـ حين ينادي الرب عبده فيتأبى ولا يقبل أنْ يكون عبداً له ويعشق الكفر ويبعد عن الهداية، فإنّ الله يختم على قلبه فلا يدخله إيمان ولا يخرج منه كفر.

والله رب الجميع ويعين الجميع، فمن أراد الإيمان وأحبه أعانه على الإيمان، والذي أراد الكفر وعشقه أعانه عليه وختم على قلبه، ولذلك ختم الله على قلوب الكافرين فجعل سداً من أمامهم ومن خلفهم، وهذا مانع مادي خارج عن تكوين الإنسان، ثم جعل على أبصارهم غشاوة وغطاء فهم مصدودون عن الحق.

٣ـ لو قلت: فماذا لو ساروا على الجنب لأنهم لا يستطيعون التقدم إلى الأمام أو الرجوع إلى الخلف، لكان الجواب: لو ساروا لليسار مثلاً لصار اليسار لهم أماماً، واليمين صار خلفاً، فهم إذن محاصرون بالموانع باستمرار.

٤ـ يصح أنْ تكون الموانع هي التأمل والنظر في الأدلة العقلية المنصوبة أمامهم في الكون فلا ينتهوا إلى الفطرة الإيمانية المودعة فيهم في عهد الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها في عالم الذر.

والله أعلم.

السؤال الثالث :

جعل الله تعالى السد للكفرة في يس ٩ دون آية البقرة٧، فلماذا؟

الجواب :

١ـ وصف الله تعالى في أول البقرة الكتاب بأنه لا ريب فيه وهو هدى للمتقين، وبيّن صفات المتقين فذكر ما يتعلق بالإيمان والتقوى والهدى، ثم ذكر الكفرة فذكر أنه مختوم على قلوبهم وعلى سمعهم وأنّ على أبصارهم غشاوة فانسدت منافذ الإيمان والتقوى والهدى.

٢ـ بينما ذكر في يس ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾ والصراط إنما يكون للسير فيه وسلوكه، فذكر ما يمنع الكفرة من سلوك الصراط المستقيم وهو الأغلال في أعناقهم والسد من بين أيديهم ومن خلفهم.

أمّا المؤمنون فإنهم على الصراط المستقيم يسلكونه ويتخذونه سبيلاً، ولم يذكر مثل ذلك في البقرة فكان ذكر السد مناسباً في يس، فناسب كل تعبير مكانه الذي هو أليق به.

والله أعلم.

السؤال الرابع :

ما كلمات منظومة السد والجدار والحواجز في القرآن؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ٤٦.

❁❁❁❁

﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ بعد أنْ ذكر الموانع التي تمنعهم من الإيمان بيّن أنّ الإنذار وعدمه في حقهم سواء، فهو لا ينفع معهم شيئاً.

٢ـ قد تقول: إذا كان الأمر كذلك فما الغرض من إنذارهم؟ والجواب: أنّ ذلك للإعذار، ولتقوم عليهم الحجة.

٣ـ قال: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ ولم يقل: سواء عليك؛ لأنّ الرسول ﷺ مأمور بالإنذار للجميع سواء لمن علم أنه لا يستجيب أو لمن لم يعلم، والدعوة مطلوبة في كل الأحوال، وهذا يدل على عظم مكانة الدعوة إلى الله وأنها لا تسقط بحال من الأحوال.

فالإنذار بالنسبة للرسول ﷺ ليس كعدم الإنذار؛ لأنّ أحدهما مخرج له عن العهدة وسبب له في سيادته وسعادته آجلاً، وأمّا بالنسبة إليهم فهو على السواء لا ينتفعون به.

ثم إنّ هذا الإنذار يكتب في صحيفة أعمال الداعي الصالحة، وإنْ لم ينتفع به الكفار لما كُتب عليهم من البوار في دار القرار.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما سبب زيادة الواو بين الآيتين ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ في آية البقرة ٦ و ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ في آية يس ١٠؟

الجواب :

في آية البقرة قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ هو ضمن جملة اسمية.

أمّا في آية يس: فهي جملة مستقلة معطوفة على جملة سابقة، فجاءت بواو العطف فقال: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾

والله أعلم.

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما اللمسات البيانية في هذه الآية؟

الجواب:

١ـ قال في الآية السادسة: ﴿ لِتُنذِرَ ﴾ وهو الإنذار العام سواء أفاد أم لم يفد وهنا قال: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ﴾ فاقتضى التخصيص، أي أنّ الإنذار النافع إنما ينفع من يتبع الذكر ويخشى الرحمن بالغيب.

والمعنى أنّ الإنذار ينفع طائفتين :

أـ طائفة المؤمنين المتبعين للذكر، الخاشعين للرحمن فإنّ الإنذار يزيدهم إيماناً وتمسكاً، والذكر هنا هو القرآن والمواعظ.

ب ـ طائفة أخرى وهي التي لها قلب وسمع وبصر فتدخل في زمرة أهل الإيمان، وهذا شأن كثير من أُنذروا، فإنهم فارقوا دينهم وآمنوا بدين الله.

٢ـ قد تقول: إنه عبّر بالفعل الماضي ﴿ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ ﴾ وهذا يخص طائفة من المؤمنين، ولا يشمل من لم يدخل الإيمان قلبه بعد؟

والجواب: إنّ الفعل الماضي قد يعبّر به عن المستقبل، كقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ أي: تخرج، وفي قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة:١٥٩-١٦٠] أي: إلا الذين يتوبون بعد الكتمان، فإذا كان الكتمان مضارعاً فلا شك أنّ التوبة منه والتبين يكونان بعده، ولكنه عبّر عن ذلك بالفعل الماضي.

لذلك الفعل: ﴿ٱتَّبَعَ﴾ بمعنى: يتبع، والتعبير بالماضي لتحقق الوقوع والمعنى: إنما ينفع إنذارك المؤمنين الذين اتبعوا.

وقيل إنّ المراد من اتبع في علم الله وهم الأقلون الذين لم يحق القول عليهم.

٣ـ قال: ﴿ٱتَّبَعَ﴾ ولم يقل: (تبع) للدلالة على المبالغة في الاتباع والاجتهاد فيه؛ ولذلك أتبعه بقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾.

٤ـ نكّر المغفرة والأجر للدلالة على السعة والكثرة، والغفران جزاء الإيمان وهو ما يتعلق بالذنوب، والأجر الكريم جزاء العمل الصالح فشمل ذلك كل أنواع العمل سواء كان سيئاً أم صالحاً.

وقوله: ﴿فَبَشِّرۡهُ﴾ للدلالة على أنّ البشرى عظيمة، وهي تدل على الأمر الثاني من أمري الرسالة، وهما: (بشيراً ونذيراً).

٥ـ ذكر الله اسمه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾دون غيره من أسمائه الحسنى؛ لأكثر من سبب :

أـ أنه قد يسبق إلى الذهن أنّ الرحمن لا يعاقب؛ لأنّ رحمته واسعة فينسى العبد الخشية فذكر ذلك لئلا يغتر مغترٌ برحمته.

ب ـ أنّ الرحمة تورث الاتكال فقرنه بالخشية؛ لئلا يتكل على رحمته وينسى عقابه.

ج ـ من كانت نعمته بسبب رحمته، فينبغي أنْ يكون الخوف منه أتم وأكثر لئلا يقطع عنه نعمته.

د ـ جو السورة يشيع فيه جو الرحمة فناسب ذكر الرحمن.

هـ ـ في ذلك توجيه للمربين أنّ الرحمة ينبغي أنْ تكون مقرونة بخشية الراحم؛ لأنّ الرحمة وحدها قد تكون ضعفاً. فهو توجيه للمربين ليجمعوا بين الرحمة والخشية؛ ولذا قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحِجر:٤٩-٥٠].

و ـ جاء في تفسير روح المعاني ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾أي: خشي عقابه ولم يغتر برحمته عز وجل.

٦ـ قد تقول: ولم قال هنا: ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ فذكر الغيب مع أنه قال في أكثر من موطن: ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ من دون ذكر الغيب؟

والجواب: أنّ قوله تعالى: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ هي خشية عامة مطلقة تشمل الخشية بالغيب والخشية بالمشاهدة، بينما قوله: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾هي جزء منها. فالخشية العامة هي الخشية بالغيب وزيادة.

فإذا كان المقام يقتضي ذكر الخشية العامة من دون تقييد ذكرها مطلقة ولم يقيدها، كما في الآيات:[الرعد ٢١ـ الزمر ٢٣].

وأما إذا كان المقام لا يقتضي ذكر الخشية العامة قيدها فذكر الغيب، كما في الآيات: [الأنبياء ٤٨ـ٤٩ ـ فاطر١٨ـ الملك ١٢ـ ق ٣٢ـ٣٣ـ يس ١١].

والله أعلم.

السؤال الثاني :

هل الإنذار خاص بالكافرين في القرآن؟

الجواب :

الإنذار في القرآن لا يكون خاصاً بالكافرين والمنافقين، فقد يأتي للمؤمنين لكنه للمؤمن تخويف وليس فيه توعد.

في آية يس ١١ : الإنذار ليس فيه تخصيص لمؤمن أو كافر.

في آية الشعراء ٢١٤: إنذار للمؤمنين.

في آية فاطر ١٨ : إنذار للمؤمنين.

في آية إبراهيم ٤٤: الإنذار للناس جميعاً.

في آية الأنعام ٥١: الإنذار للناس جميعاً.

السؤال الثالث :

ما شروط الالتحاق بأولي الألباب؟

الجواب :

انظر الجواب في آيات الرعد ١٩ـ٢٤.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ ﴾ هذان ضميران للمتكلم على سبيل التعظيم ولفظة ﴿ إِنَّا ﴾ هي بمعنى﴿نَحْنُ﴾، فكأنّ الحق يقول: إنا إنا، أي: لا أحد سواي بقصد التأكيد؛ لأنه تعالى هو وحده ولا أحد سواه يحيي الموتى ويكتب ويحصي عمل المخلوقات.

٢ـ نلحظ في القرآن الكريم أنّ كل الآيات التي تتحدث عن فعل من أفعال الله تعالى أو عن فضل من أفضاله تأتي بضمير التعظيم، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ لأنّ كل فعل من أفعاله تعالى يحتاج إلى عدة صفات: علم وحكمة وقدرة وغيرها. وكل هذه الصفات كامنة في﴿نَحْنُ﴾ الدالة على العظمة المتكاملة في الأسماء الحسنى لله تعالى.

٣ـ أمّا حين يتكلم سبحانه عن ذاته فيأتي بضمير المتكلم المفرد، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾فلم يقل مثلاً: إننا نحن الله؛ لأنّ (إننا ونحن) تدل على الجمع، والكلام هنا عن الوحدانية، فلا بدّ أنْ يأتي بصيغة المفرد.

٤ـ عادة في القرآن عندما يأتي ضمير التعظيم الدال على الجمع يسبقة أو يعقبه ضمير الإفراد لتثبيت معنى الوحدانية، فمثلاً قال تعالى في سورة الشرح: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ بصيغة الجمع ﴿نَشْرَحْ﴾ وفي نهاية السورة ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٨] بالإفراد ﴿رَبِّكَ﴾.

وكذلك في سورة الكوثر ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ بالجمع، ثم قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ بصيغة الإفراد.

٥ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي أنّ عملية البعث وإحياء الموتى لله وحده لا يشاركه فيها أحد.

٦ـ قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ والكتابة كانت في الدنيا لحصر الأعمال تمهيداً للحساب وللثواب والعقاب، وهذا يحدث قبل البعث ، فلماذا قدّم إحياء الموتى في الآية على كتابة الأعمال؟

والجواب :

أولاً: الإحياء أعظم من الكتابة فناسب أنْ يقدمها، وثانياً: ما فائدة الكتابة إنْ لم يكن هناك إحياء للموتى وحساب وجزاء؟

وكلمة ﴿مَا قَدَّمُوا۟﴾ أي: من الأعمال في الدنيا بما فيها الأعمال المثمرة المستمر ثوابها بعد موت صاحبها كالصدقة الجارية.

وكلمة﴿وَءَاثَٰرَهُمۡ﴾ أي ما سنّه للناس وتركه من بعده، كما في الحديث « **من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة** »

وقال بعض العلماء: نكتب ما قدموا من النية التي تسبق العمل، ثم نكتب العمل نفسه، وهو آثار هذه النية، كما في الحديث الشريف «**من همّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة ومن همّ بها فعملها كُتبت له عشراً** ».

٧ـ قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ الله يسجل علينا الأعمال كتابة أولاً ثم إحصاء وعداً، وهذا كله مسجل في إمام مبين، والإمام هو ما يؤتم به، والمراد هنا اللوح المحفوظ الذي تأخذ منه الملائكة مهمتها في إدارة الكون.

السؤال الثاني :

على أي شيء دلت آيات سورة يس المتقدمة؟

الجواب :

١ـ دلت آيات سورة يس المتقدمة على أصول الإيمان الثلاثة:

أ ـ التوحيد: بقوله تعالى: ﴿ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾.

ب ـ الرسالة: بقوله: ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣﴾ والرسالة تقتضي مرسلاً.

ج ـ الحشر: بقوله:﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾.

٢ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ ﴾ فيه تأكيد مع ذكر ضمير الفصل﴿نَحۡنُ﴾ لإفادة القصر و للتقوية ، أي ليس غيرنا أحد يشاركنا. وضمير العظمة للإشارة إلى جلالة الفعل.

وهذا التوكيد والحصر؛ لأنّ الكفار لا يقرون بالحشر ولا يؤمنون بالحياة بعد الموت.

٣ـ لم يؤكد باللام في سورة يس، كما هو الحال في موطن آخر في آية الحجر ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾والسبب أنّ آيات الحجر ١٦ـ٢٣ فيها تفصيل وإطالة، فاقتضى ذلك أنْ يذكر اللام توكيداً ومناسبة لمقام التفصيل، في حين لم يذكر شيئاً من ذلك في سورة يس فناسب الإيجاز الإيجاز، والتفصيل التفصيل.

٤ـ قوله: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾أي ما أسلفوا من الأعمال الصالحة والطالحة.

وقوله: ﴿وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾ أي التي أبقوها بعدهم من الأعمال الصالحة ووجوه البر، ومن الأعمال السيئة والشرور وسنّوها بعدهم للمفسدين.

٥ـ قدّم الله (إحياء الموتى) على كتابة ما قدموا وآثارهم، مع أنّ كتابة ما قدموا يكون قبل إحياء الموتى؛ لأنّ التقديم والتأخير لا يكون مبنياً دائماً على السبق في الزمان أو على الأشرف، وإنما هو مبني على العناية والاهتمام وهنا في الآية رتّب المذكورات بحسب الأهمية، فإنّ أهم شيء فيما ذكر هو الإحياء بعد الموت، ثم كتابة الأعمال، ثم كتابة الآثار.

كما قدّم الأهم وهو ما لا يستطيع فعله إلا الله وهو إحياء الموتى؛ ولذا جاء به بأسلوب القصر المؤكد؛ ليدل على أنه لا يفعله إلا الله، بينما الكتابة فإنها يمكن أنْ يفعلها المخلوقون، وإنْ لم تكن بنفس الدرجة من الدقة والإحاطة.

ثم إنه قدّم إحياء الموتى؛ لأنّ السورة مبنية على ذلك، وأنّ جوها يشيع فيه ذكر الحياة بعد الموت، كما في الآيات: [٣٢ـ٣٣ـ٤٨ـ٥١ـ٥٣ـ٧٨ـ٧٩].

٦ـ قال: ﴿وَنَكۡتُبُ﴾ ولم يقل: نعلم، لغرض الاهتمام بها وتوثيقها وإطلاع صاحبها عليها بصغيرها وكبيرها، فإنّ الإنسان قد يعلم أشياء ولا يدونها، فإنْ كانت مهمة دوّنها.

وجاء بصيغة المضارع (نكتب) لتجدد الكتابة لكل شيء يفعله الإنسان.

٧ـ قال: ﴿أَحۡصَيۡنَٰهُ﴾ بالفعل الماضي؛ لأنّ الإحصاء في الإمام المبين -وهو اللوح المحفوظ - سابق على الكتابة، فقد جفّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة.

وكلمة ﴿أَحۡصَيۡنَٰهُ﴾ أبلغ من (كتبناه)؛ لأنّ الإحصاء يحتاج إلى الكتابة والعد والجمع.

٨ـ قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ﴾ بنصب (كلَّ) ولم يقل برفع (كلُّ)؛ وذلك لأنّ المعنى بنصب﴿وَكُلَّ﴾ هو أننا أحصينا كل شيء في كتاب مبين. وأمّا بالرفع فيحتمل وجهين:

أ ـ (وكلُّ)مبتدأ، وجملة ﴿أَحۡصَيۡنَٰهُ﴾ خبر أي كل شيء أحصيناه في كتاب مبين، وهو نفس المعنى بالنصب.

ب ـ أنْ تكون جملة﴿أَحۡصَيۡنَٰهُ﴾ صفة لشيء والخبر ﴿فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ بمعنى أنّ الأشياء التي أحصيناها إنما هي في إمام مبين، ومعنى ذلك أنّ الأشياء على قسمين:

ـ قسم محصى، وهو في إمام مبين.

ـ وقسم غير محصى وهو ليس كذلك، وهذا المعنى باطل، ولا يمكن أنْ يُراد.

فجاء بالعبارة ذات الدلالة القطعية التي لا تحتمل دلالة أخرى.

والله أعلم.

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝١٣﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا﴾ يحتمل معنيين مرادين مرتبطين بما قبلهما.

أ ـ أنْ يكون المعنى: واضرب أصحاب القرية مثلاً لكفار قريش في الغلو في الكفر والإصرار على التكذيب، أي طبّق حالهم بحالهم. ويكون ﴿مَّثَلًا﴾ مفعولاً به أولاً و ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ مفعولاً به ثانياً.

ب ـ اذكر لكفار قريش قصة هي في الغرابة كالمثل، أي بتقدير مضاف أي: مثل أصحاب القرية.

٢ـ قوله تعالى: ﴿إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ ولم يقل: إذ جاءهم؛ لأنه أراد أنهم أتوهم في مكانهم لينذروهم، ولو قال: إذ جاءهم، لم يفد أنهم أتوهم إلى مكانهم، بل يحتمل أنهم كانوا في مكان ما فأتاهم الرسل إليه.

٣ـ قال: ﴿جَآءَهَا﴾ ولم يقل: أتاها؛ لأن المجيء يكون لما فيه مشقة ولما هو أصعب من الإتيان.

ويبدو أنه كان في المجيء إلى أهل القرية وتبليغهم مشقة وأذى وتهديد فاختار المجيء على الإتيان، بينما كان الوضع مختلفاً في آية الفرقان ٤٠ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ

﴿ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِ﴾ حيث إنهم مروا بها وهم في طريقهم بشكل سهل، فاختارلفظة ﴿أَتَوۡاْ﴾.

وكذلك في قوله تعالى في آية الكهف: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا﴾ فاختار ﴿أَتَيَآ﴾؛ لأنّ إتيانها ودخولها كان ميسراً بدون مشقة، فاستعمل ﴿أَتَيَآ﴾ دون (جاءا).

والله أعلم.

السؤال الثاني :

وردت كلمة ﴿ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ في آية يس ١٣ ووردت كلمة﴿ٱلۡمَدِينَةِ﴾ في آية يس ٢٠، ما الفرق بين القرية والمدينة؟

الجواب :

لغة: إذا اتسعت القرية تسمى مدينة. أمّا القرية فقد تكون صغيرة وقد تكون كبيرة.

في سورة يس وردت الكلمتان: ففي الآية ١٣ جَدّ الرسل في التبليغ، حتى وصلوا إلى أبعد نقطة في المدينة.

وقوله تعالى:﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ ﴾ أي أنّ هذا الرجل جاء يحمل هم الدعوة والتبليغ، ووصل التبليغ إلى أقصى نقطة في المدينة، مع أنها متسعة، وهذا دليل على جهدهم لنشر الدعوة.

وهِمَمُ الرجال هي التي تحدد أوطانهم ومنازلهم وأعلى هذه المنازل رجلٌ وطنه العالم كله ويحب الخير لهم.

ومسؤولية الدعوة يتحملها الرسل أولاً، ثم المؤمنون بهم الذين بلغتهم الدعوة، وهذا التحمل ليس تفضلاً، إنما تكليف من الله تعالى كقول الحق: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾؛ لأنّ المؤمنين بالرسالة امتداد للرسول.

وأمّا في سورة الكهف ٧٧ و ٨٢ فقد استطعم موسى والخضر أهل القرية على اتساعها، أي: أنهما جالا فيها كلها وبلغ فيهم الجوع كثيراً حتى استطعموا أهلها.

❁❁❁❁

﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ قال: ﴿أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ﴾ ولم يقل: أرسلنا إليها، كما قال: (جاءها)؛ لأنّ الإرسال في حقيقته كان لأهل القرية لا إلى القرية. أمّا المجيء فكان إلى القرية.

٢ـ قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ الفاء تسمى فاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن المحذوف وهو التبليغ؛ لأنّ التكذيب لا يكون إلا مع التبليغ، فحذف ما هو مفهوم من الكلام. وهذا نظير قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ﴾.

٣ـ قوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي: قوينا، غير أنه لم يذكر المفعول به حتى يشمل المعنى تقوية الحق علاوة على تقوية الشخصين، ولو ذكر المفعول به لتقيد التعزيز بها قيّد.

٤ـ أسند الله التعزير إلى نفسه، فقال: ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ كما قال: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ﴾ للدلالة على أنّ المرسل والمعزّز واحد.

٥ـ قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ أسند القول إليهم جميعاً بعد أنْ انضم الثالث إلى الاثنين.

وأكد بـ ﴿إِنَّآ﴾ لأنّ الموقف يحتاج إلى توكيد بسبب تكذيب أهل القرية فقواهما الله بثالث، واحتاج الكلام بعد التكذيب والتقوية إلى توكيد، ويدل على ذلك قولهم بصيغة الجمع ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة الآية ١٥؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ في هذا القول تكذيب لهم وإنكار للنبوات بشكل عام. وقولهم: ﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ ليس المقصود منه إثبات بشرية الرسل، فهذا أمر لم ينازعهم فيه أحد، وإنما المقصود إنكار النبوات والتكذيب.

٢ ـ وسداً وقطعاً على المناقشة وعلى ما قد يجاوب به الرسل من أنهم بشر قد منّ الله عليهم بالرسالة، ولو أرسل ربنا مَلكاً لجعله رجلاً فقد أبانوا عن معتقدهم بقولهم: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ﴾ ثم بينوا رأيهم في هؤلاء الرسل، فقالوا: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ﴾ يعني أنهم يؤمنون بالله وينكرون النبوات، وهذا شأن كثير من المجتمعات البشرية التي حكى عنها الله في القرآن: انظر آيات [العنكبوت ٦١ـ الأنبياء ٣ـ ق ٢].

وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ إشارة إلى الرد عليهم؛ لأنّ الله لمّا كان رحمن الدنيا والإرسال رحمة، فكيف لا ينزّل رحمته وهو رحمن؟

٤ـ قال هنا: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ﴾ فأسند الفعل إلى الرحمن، بينما أسند الفعل إلى الله في آيتي [الأنعام ٩١ـ والملك ٩]، والسبب هو السياق لكل آية منهما.

٥ـ قوله تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾فكان النفي والإثبات بـ(إنْ) و(إلا) بعد أنْ كان النفي والإثبات بـ(ما) و(إلا) في قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾

وذلك أنّ (إنْ) أقوى في النفي من (ما)، وقولهم: ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ غير منكور، وهو معلوم للجميع، ولا يحتاج إلى إثبات أو دليل.

وأمّا قولهم: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ فهو موضوع النزاع والجدال بين المرسلين وأهل القرية. فناسب ذكر أقوى الحرفين فيما فيه قوة إنكار ويحتاج إلى إثبات.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في آية يس١٤: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ وفي آية يس١٦ ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ [يس:١٦] بالتأكيد بالقسم و اللام زيادة عن الآية الأولى، فلماذا؟

الجواب :

القاعدة اللغوية :

يستعمل القرآن الكريم تخفيف التوكيد أو زيادته حسب مقتضى الحال.

آيات يس ١٣ـ١٧ :

﴿وَاضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ [يس:١٣-١٧].

البيـان:

١ـ عندما كُذّب رسل عيسى عليه السلام في المرة الأولى قالوا: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ فأكدوا بإنّ واسمية الجملة.

وفي المرة الثانية: ﴿ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ فأكّد بالقسم وإنّ واللام لمبالغة المخاطبين في الإنكار في المرة الثانية؛ إذ قالوا:﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ وهددوهم بالرجم إنْ لم ينتهوا عن دعوتهم؛ لذا كان الرد في المرة الثانية أقوى من الرد في المرة الأولى.

٢ـ وبمعنى آخر: الله سبحانه أرسل إليهم في البداية رسولين فكذبوهما ثم عزّز بثالث فأنكروا إنكاراً شديداً؛ لذا جاء التوكيد في الآية الثانية واقتضى أنْ يؤكد أكثر فصار التوكيد بالقسم؛ لأنّ جملة ﴿رَبُّنَا يَعۡلَمُ﴾ هي قَسَم في لغة العرب، فلمّا ازداد الإنكار ازداد التوكيد.

واستخدام ﴿فَعَزَّزۡنَا﴾ بدل (عززناهما) يفيد أنّ التعزيز ليس للرسل أنفسهم وإنما للدعوة التي يدعو الرسل إليها.

٣ـ اجتماع (إنّ واللام) سيؤدي إلى زيادة التوكيد، وهو أقوى من التوكيد بإنّ وحدها أو باللام وحدها.

* شواهد قرآنية :

[آيات سورة يس ١٣ـ١٧، آية الأنعام ١٦٥، آية الأعراف ١٦٧، آيتا المائدة ٥٢ـ و١٠٧].

السؤال الثالث :

قال في آية يس ١٥ : ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ﴾ فأسند الفعل إلى الرحمن وقال في آية الملك ٩ والأنعام٩١ : ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖ﴾ فأسند الفعل إلى الله، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ٩١.

السؤال الرابع :

ما دلالة الآية ١٦؟

الجواب:

١ـ بعد أنْ بالغ أصحاب القرية في تكذيبهم وردهم رداً غير جميل، لم يتركهم رسلهم ولم يرحلوا وإنما أقسموا على صدقهم، واستمروا في إبلاغ دعوة ربهم. وفي هذا توجيه للدعاة أنْ لا يسأموا إذا جوبهوا، بل عليهم أن يعيدوا النصح والتبليغ.

٢ـ قولهم: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ يجري عند العرب مجرى اليمين، كما تقول: علم الله، وهذا الاختيار هنا هو الأنسب، فإنهم نسبوا العلم إلى الله أي أنهم أُرسلوا بأمره وعلمه.

وقيل إنّ من قال: يعلم الله ذلك، وهو غير صادق فيما يقول، فقد كفر لأنه نسب الجهل إلى الله بخلاف اليمين الكاذبة.

٣ـ كما أنّ اختيار (الرب) مع الرسالة أنسب شيء؛ فإنّ الرب هو المربي والهادي، والهداية هنا هي الرسالة؛ ولذلك كثيراً ما يقترن الإرسال بالرب كما في قوله تعالى:

ـ﴿لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ [طه:١٣٤].

ـ ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾[القصص:٤٧].

ـ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى﴾ [الأعراف:٧٩].

ـ ﴿إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزُّخرُف:٤٦].

٤ـ إضافة الرب إلى ضمير المتكلم﴿رَبُّنَا﴾ يعني أنّ ربهم الذي خلقهم هو الذي أرسلهم وأيدهم بالمعجزات، ولو قالوا: (ربكم يعلم.. .) لاحتمل أنْ يقولوا لهم: إنّ ربنا لا يرسل الرسل.

ثم إنهم اتخذوا أرباباً لا تسمع ولا تبصر ولا تفقه، فكيف ترسل الرسل؟

ثم إنّ ذلك يعني أيضاً أنّ ربهم هو الذي أرسلهم إلى أهل القرية؛ لأنه ربهم أيضاً، ولو لم يكن ربهم لم يعنه أمرهم.

كما أنّ تقديم الرب على الفعل يفيد التوكيد والتقوية.

٥ـ وتقديم الجار والمجرور ﴿إِلَيْكُمْ﴾ يفيد التخصيص أي: إنهم أُرسلوا على وجه الخصوص لهم لإبلاغهم رسالة الله.

٦ـ قال هنا: ﴿لَمُرْسَلُونَ﴾ بالللام، وقال قبلها: ﴿مُّرْسَلُونَ﴾بدون لام، وذلك زيادة في التوكيد لزيادة الإنكار، فقد أكّد العبارة الأولى بـ﴿إِنَّآ﴾ بعد التكذيب، فلمّا زاد التكذيب والإنكار بثلاث جمل كلٌ منها في غاية التكذيب والإنكار زاد في التوكيد. والله أعلم.

السؤال الخامس :

مفعول الفعل (علِم)مفتوح الهمزة ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ ﴾ [المزَّمل:٢٠] ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الحاقة:٤٩] لكن ورد في بعض المواضع مكسور الهمزة ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [التوبة:٤٢] ﴿ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يس:١٦] ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون:١] لماذا وردت عكس القاعدة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية التوبة ٤٢.

﴿ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ ذكروا أنّ مهمتهم هي البلاغ المبين، وهذا الأمر هو الذي أنيط بهم وعليهم تنفيذه، ولو جوبهوا بالتكذيب والإنكار.

٢ـ قوله: ﴿عَلَيْنَآ﴾ أي نحن مكلفون بذلك، وهو واجبنا.

٣ـ البلاغ المبين يتضمن أمرين :

أ ـ إيضاح الرسالة وتبليغها كلها بدون إبقاء أي شيء منها غير مبلغ ولا معلوم.

ب ـ أنْ يكون التبليغ شاملاً لكل من أُرسل إليهم فرداً فرداً.

وإلا لم يكن بلاغاً مبيناً. والله أعلم.

❀❀❀❀

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى في الآية: ﴿تَطَيَّرۡنَا﴾ أي تشاءَمنا منكم ولم نر على وجوهكم الخير في معيشتنا. والتطير من الطيرة وهي عادة معروفة عند العرب وكان أحدهم عندما يريد عمل شيء ما يأتي إلى طير فيزجره ويُطلقه فيرى أين يطير، فإنْ طار إلى اليمين أمضى ما ينوي عليه، وإنْ طار إلى اليسار أمسك وتشاءم، وقد حرّم الإسلام هذه العادة ونهى عنها.

٢ ـ أكد بإنّ في الآية، والتأكيد إنما يكون بحسب الغرض والمقام، فإنّ أصحاب القرية هددوهم بالرجم والتعذيب مؤكدين ذلك بالقسم ونون التوكيد ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾ فناسب ذلك توكيد التطير.

٣ـ قوله تعالى:﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾ فيه تأكيد بالقسم وبنون التوكيد فهم كما أكدوا تطيرهم بـ﴿إِنَّا﴾ أكّدوا تهديدهم بالقسم وبنون التوكيد الثقيلة. وجاء التهديد بالرجم على صيغة الجمع؛ لأنّ الرسل كانوا ثلاثة فكان الخطاب لهم جميعاً.

٤ـ قوله تعالى:﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فيه تهديد بالعذاب الأليم إضافة إلى الرجم، وجاؤوا بالواو التي تفيد الجمع، ثم أعادوا اللام للدلالة على تأكيد العمل الثاني وكذلك نون التوكيدالثقيلة.

مع أنه كان هناك خيار آخر وهو نون التوكيد الخفيفة، كما في آية يوسف ٣٢؛ وذلك ليدل على أنهما بمنزلة واحدة في التوكيد وأنهم سيفعلونهما جميعاً.

٥ـ قالوا: (منا) للدلالة على الجهة التي ستقوم بالعذاب، ولو لم يقولوا (منا) لربما فهم أنّ العذاب سيأتيهم من جهة أخرى مثل آلهتهم المزعومة. كما أنّ لفظة ﴿مِّنَّا﴾تدل على أنهم جميعاً في صف واحد في مقابلة الرسل.

٦ـ قدم الجار والمجرور ﴿مِّنَّا﴾ على العذاب؛ لأنّ الكلام عنهم وهم مدار الإسناد، قالوا: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا﴾ ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم﴾ ﴿مِّنَّا﴾.

ثم إنّ تقديم الجار والمجرور يفيد تعلقه بالفعل ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم﴾ أي نحن الذين نعذبكم ونتولى أمر ذلك بأنفسنا، ولا ندع ذلك لغيرنا ممن قد يرق لحالكم أو يخفف عنكم.

وقد يكون الرجم على حقيقته بشدة حتى الموت، أو بهوادة فيراد به الإيلام.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

قال تعالى في آية النمل ٤٧ : ﴿قَالُواْ اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾فأبدل وأدغم ولم يقل في يس ١٨ مثل ذلك، فما السبب؟

الجواب :

السبب أنّ (اطيّر) أبلغ من (تطير)؛ وذلك لتضعيف مكان الفاء والعين في الفعل، فدلّ ذلك على أنّ التطير في سورة النمل أشد منه في آية يس. والسبب أن :

أ ـ التطير في النمل أشد مما في يس، بدليل أنهم قالوا في يس: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ فهددوهم بالرجم والتعذيب.

ب ـ أمّا في النمل فقد أقسموا وتعاهدوا على قتله وقتل أهله، ومعنى ذلك أنّ التطير بلغ عندهم درجة أكبر وأشد مما في يس فجاء بما فيه زيادة مبالغة ﴿ٱطَّيَّرۡنَا﴾ في النمل.

السؤال الثالث :

ما دلالة تغير التعبيرات في الرجم في الآيات يس١٨ـ الشعراء ١١٦ـ مريم ٤٦؟

الجواب :

١ـ في آية الشعراء: التهديد لنوح عليه السلام ومن معه من الأتباع. والمعنى أنه واحد ممن سينالهم الرجم، ولو قال: (لنرجمنك) لكان الرجم مختصاً بنوح دون من آمن معه؛ ولذلك قالوا: ﴿مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ﴾.

٢ـ في آية مريم: الخطاب موجه من أبي إبراهيم لولده إبراهيم عليه السلام وحده، وليس معه آخرون؛ ولذلك قال:﴿لَأَرۡجُمَنَّكَ﴾.

٣ـ في آية يس: الرسل كانوا ثلاثة بمنزلة واحدة والخطاب لهم جميعاً والتطير لهم جميعاً، فكان التعبير ﴿لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾ بصيغة الجمع.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ معنى ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾أي تشاؤمكم ملازم لكم، والمراد هنا الإقامة على الكفر، وأمّا نحن فلا شؤم معنا لأننا ندعو على التوحيد وعبادة الله وفي ذلك غاية اليمن والبركة.

٢ـ الهمزة الأولى في ﴿أَئِن﴾ للاستفهام و(إنْ) أداة شرط وجوابها محذوف لإطلاقه وعدم تقييده بشيء معين، أي بتقدير: أئن ذكرتم بما هو خير لكم في الدنيا والآخرة تطيرتم أو تتوعدونا بالرجم والتعذيب؟ !!!.

٣ـ قوله تعالى: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ أي: مجاوزون للحد في المعاصي أو في التطير أو في العدوان، وأطلق الإسراف ولم يقيده بشيء؛ ليشمل كل إسراف في سوء. والله أعلم.

في هذه الأثناء ماذا حدث؟ تجد ذلك في الآيات التالية بإذن الله تعالى.

❁❁❁❁

﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ في هذا الوقت العصيب وفي خضم التهديد والوعيد، جاء من أقصى المدينة رجل يسعى؛ ليعلن اتباعه للرسل وإيمانه بهم؛ وليبيّن ضلال قومه غير مبالٍ بما سيحدث له.

٢ـ قوله تعالى: ﴿مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ فيه إشارة إلى انتشار الدعوة، فقد وصلت إلى أبعد مكان فيها، فجاء هذا الرجل حاملاً هم الدعوة.

٣ـ قال: ﴿مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ وقد سماها سابقاً قرية للدلالة على أنها واسعة فالقرية إذا كانت واسعة تسمى مدينة.

٤ـ قوله:﴿يَسْعَىٰ﴾ أي يسرع، وهو توجيه للدعاة بعدم التواني في أمر الله.

٥ـ لم يسكت عن الحق ولم يهادن، بل دعا قومه إلى الإيمان بما جاءت به الرسل.

٦ـ إنّ مجيئه من أقصى المدينة يدل على وصول الدعوة والبلاغ إلى أبعد مكان فيها مما يدل على جدية الرسل في التبليغ.

٧ـ نكّر ﴿رَجُلٌ﴾مع أنه كان معروفاً؛ لتعظيم شأنه، وليكون مفيداً لظهور الحق من جانب المرسلين، حيث آمن رجل من الرجال لا معرفة لهم به فلا يقال: إنهم تواطئوا.

٨ـ قال هنا: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ فقدّم ﴿مِنْ أَقْصَا﴾ على ﴿رَجُلٌ﴾ وقال في آية القصص ٢٠ ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾بتقديم ﴿رَجُلٌ﴾ على ﴿مِّنْ أَقْصَا﴾؛ ذلك أنّ القصد في آية يس أنْ يبين أن مجيء الرجل كان من أبعد مواضعها، وأمّا في القصص فإنه يفيد أنّ الرجل هو من أهل المواضع البعيدة، أي مسكنه في أطراف المدينة، غير أنه لا يلزم أن يكون مجيئه من أقصى المدينة.

ولمزيد من المقارنة بين آيتي يس والقصص انظر الجدول التالي :

آية يس	آية القصص	ملاحظات
مجيء الرجل لتبليغ الدعوة	مجيء الرجل لتحذير موسى	تبليغ الدعوة أهم

لإشهار إيمانه أمام الملأ	ليُسر لموسى كلمة في أُذنه	الإشهار أهم
مجيئه فيه مجازفة	ليس فيها مجازفة وإنما للتحذير	مجيء يس أخطر
مجتمع القرية كله ضد الرسل	المجتمع ليس فيه دعوة أصلاً	ظرف يس أخطر
تعزيز الرسل تعزيز لدين الله	موسى آنذاك لم يكلف بالرسالة بعد	
مهمة الرجل	-	في يس أهم
الموقف أخطر وأهم	الموقف أقل خطراً	

لذلك فإنّ كلا الموقفين هام، غير أنّ أحدهما أهم من الآخر، فقدّم ما قدّم ليدل على الاهتمام، أي قدّم ﴿مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾؛ ليدل على أنّ الموقف أهم وأخطر.

٩ـ قال لهم: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ ليعطّف قلوبهم؛ لأنهم مرسلون من الله تعالى يدعون إليه لا إلى أنفسهم. والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾؟

الجواب :

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ أي أنّ هذا الرجل جاء يحمل هم الدعوة والتبليغ، ووصل التبليغ إلى أقصى نقطة في المدينة، مع أنها متسعة، وهذا دليل على جهدهم لنشر الدعوة.

ومسؤولية الدعوة يتحملها الرسل أولاً، ثم المؤمنون بهم الذين بلغتهم الدعوة، وهذا التحمل ليس تفضلاً، إنما تكليف من الله تعالى كقول الحق: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾؛ لأنّ المؤمنين بالرسالة امتداد للرسول.

السؤال الثالث :

ما دلالة التقديم والتأخير في كلمة ﴿رَجُلٌ﴾ في آيتي القصص ٢٠ ويس ٢٠؟

الجواب :

انظر الجواب في آية القصص ٢٠.

السؤال الرابع :

ما دلالة التنكير في قوله تعالى في الآية: ﴿رَجُلٌ﴾؟ وما أهم أغراض التنكير؟

الجواب :

النكرة إذا أطلقت دلت على إرادة الوحدة، نحو قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾.

أو إرادة الجنس، نحو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾.

وأهم أغراض التنكير هي :

١ـ إرادة الوحدة ﴿ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾.

٢ـ إرادة الجنس ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

٣ـ التعظيم ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾ [هود:١٠٣].

٤ـ التهويل ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾.

٥ـ التكثير ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾.

٦ـ التقليل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾.

٧ـ التخصيص ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ فالمراد هنا وجوه الكفار، فالنكرة عامة، والمراد بها التخصيص.

٨ـ التحقير ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾.

٩ـ التجاهل والاستهزاء ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾﴾ [سبأ:٧].

❁❁❁❁

﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ قال لهم: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ ليعطّف قلوبهم، وذكر لهم ثلاثة أمور تدعوهم إلى اتباع هؤلاء الدعاة، وهي:

أـ كونهم مرسلين من الله يدعون إلى الإيمان به وبمنهجه، ولا يدعون إلى أنفسهم ولا إلى أفكار بشرية أو خاصة.

ب ـ لا يسألون أجراً على هذا التبليغ، كما هو شأن كثير من أصحاب الدعوات الأرضية، ممّا يدل على أنهم مخلصون في دعوتهم إلى الله.

ج ـ أنهم مهتدون، وهذا يقتضي الاتباع، وهو بغية كل متبع مخلص.

٢ـ كرروا الاتباع للتوكيد ولبيان أنّ المرسلين ينبغي أنْ يُتبعوا أصلاً.

٣ـ اختار ﴿مَن﴾ على (الذين) لكونها أعم، فإنها تشمل كل داعٍ إلى الله واحداً كان أو أكثر.

❁❁❁❁

﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ بدأ الرجل المؤمن يتكلم عن نفسه بصيغة المفرد ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ ثم عدل إلى خطاب الجماعة والقوم المكذبين، ولم يقل مثلاً: وإليه أرجع، فلماذا؟

الجواب أنّ الطاعة التي هي أصل العبادة إنما تأتي على مراحل ثلاث :

أ ـ العبادة تكون لمن بكماله يستحق أن يُعبد.

ب ـ العبادة تكون لمن نعمه متوالية.

ج ـ العبادة تكون لمجرد الخوف من المعبود.

وقد حقق الرجل الذي جاء من أقصا المدينة يسعى المرحلتين الأولى والثانية في قوله: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ أي: أنا أعبده؛ لأنه يستحق بكماله أنْ يعبد، وأعبده لنعمه المتوالية.

أمّا المرحلة الثالثة فجعلها لهؤلاء المكذبين من قومه، فقال: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

٢ـ ويكون معنى الآية: تنبهوا يا قوم: إذا لم تقدّروا في الله صفات الكمال التي يُحَبُّ لأجلها، ولم تقدّروا في الله نعمه المتوالية عليكم، فاعلموا أنّ العودة إليه والمصير بين يديه، وهو سبحانه قوي عليكم لا يفلت من قبضته أحد.

السؤال الثاني :

ما اللمسات البيانية في هذه الآية؟

الجواب:

١ـ أبرزالكلام في معرض المناصحة لنفسه، وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم حيث لا يريد لهم إلا ما يريده لروحه، وأنه اختار لهم ما اختاره لنفسه، والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم إلى عبادة غيره.

٢ـ فبعد أن نصح لهم باتباع المرسلين؛ لأنهم على الهدى ذكر أنه بدأ بنفسه فآمن بدعوتهم واتبعهم.

٣ـ اختار من الدواعي لعبادة ربه أنه المبدىء والمعيد، فهو الذي فطرهم وأوجدهم وأنهم إليه يرجعون فيحاسبهم على أعمالهم فيعاقبهم أو يكرمهم وفي هذا تخويف وإطماع.

واختار هذين الأمرين من موجبات العبادة لعلمهم جميعاً أنّ آلهتهم لا تفعلهما ولا تستطيعهما، وبهذا سقط كل موجب لعبادة غيره.

٤ـ قدّم الجار والمجرور ﴿وَإِلَيْهِ﴾ على ﴿تُرْجَعُونَ﴾ لقصد الاختصاص والمعنى أنّ الرجوع إليه حصراً لا إلى غيره، وهو نظير قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾و ﴿إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ و ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾.

والله أعلم.

❃❃❃❃

﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة الاستفهام في هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الاستفهام في ﴿ءَأَتَّخِذُ﴾ يحمل معنى التعجب والإنكار؛ لأنه ما دامت هذه آلهة متخذة فمعنى ذلك أنها ليس لها وجود أصلاً، فهي لا تستحق أنْ تكون آلهة لأنها متخذة، وكأنّ الرجل يُصحح للقوم فكرتهم عن العبادة.

٢ـ قوله في آية يس: ﴿ءَأَتَّخِذُ﴾ إشارة إلى أنّ غير الله ليس بإله؛ لأنّ المُتخَذَ لا يكون إلهاً. ولهذا قال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾و ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾.

٣ـ وللعلم فإنه لا يقال لغة: اتخذته، إذا كان الشيء موجوداً أصلاً من غير انفكاك ولا اختيار، فلا يقال: اتخذت فلاناً أباً، إذا كان أباه حقيقة وإنما يقال ذلك لما يصح فيه التخلي والاختيار، فتقول: اتخذت فلاناً صديقاً لأنك مختار في اختيار الأصدقاء.

وعلى هذا لا يصح أنْ تقول: اتخذت الكوكب خالقاً، أو اتخذت فلاناً خالقاً، ولا: اتخذت الله خالقاً؛ لأنه هو الخالق وليس متخذاً. لكنك قد تقول: اتخذته معبوداً؛ لأنك مختار في اتخاذ ما تعبد.

٤ـ وأما قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩﴾.

فإنّ لك أنْ تختار الوكلاء وأنْ تتخذ من تشاء، فاتخذ الله وكيلاً تفلح.

٥ـ وأمّا قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ و ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ فهذه وكالة قسرية، وليست وكالة الاختيار والطاعة.

٦ـ ونظير ذلك أيضاً الألوهية والربوبية، فالله سبحانه هو إله الخلق كلهم وربهم شاؤوا أم أبوا، وهذه الألوهية والربوبية قسرية ولا يترتب عليها ثواب. قال تعالى:

ـ ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٦٤].

ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

ـ ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة:١٦٣].

ـ ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الأنعام:١٩].

ـ ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [ص:٦٥].

وإنما يترتب الثواب والعقاب على من اتخذه إلهاً ورباً، أو اتخذ غيره كما قال تعالى:

ـ ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ [الأنعام:٧٤].

ـ ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان:٤٣].

- ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ [التوبة:٣١]فالاتخاذ أمر اختياري يفعله المتخذ، وهو غير الأمر الكائن أصلاً من غير اتخاذ، وهناك فرق بين قولك: (هذا ولدي) و(هذا اتخذته ولداً لي).

والله أعلم.

السؤال الثاني :

قوله تعالى: ﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ﴾ جمع السياق بين صفة الرحمة والضر فما معنى ذلك؟

الجواب :

١ـ إنّ اللمسة في الآية هي أنّ الرحمة إنْ كانت تنافي عندكَ فِعل الضر فهذا عندك أنت، إنما عند مجريها لا تنافي؛ لأنها من الرحمانية.

وكأنّ الله يقول لك: تنبه إنه ليس كل ما تراه بقوانينك أنت ضاراً لك؛ لأنّ مُجريه عليك هو الرحمن، ففي طيات الضر نفع كثير.

ومثال ذلك عندما يقدم الأب الحنون ولده للطبيب فيجري له عملية جراحية مؤلمة فهذا ضرر في الظاهر، لكنه في الحقيقة رحمة به.

٢ـ قوله تعالى: ﴿لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا﴾أي أنّ شفاعة هذه الآلهة - إنْ كانت لهم شفاعة - لا تُجدي؛ لأنهم شركاء لله، فكيف تُقبل شفاعتهم عنده سبحانه؟

وشرط في الشفاعة أنْ يكون الشافع محبوباً عند المشفوع عنده. وهذه الآلهة غير مقبولة عند الله تعالى، مع أنّ هذه الآلهة في ذاتها معذورة حيث لا ذنب لها، وهي ما ادعت أنها آلهة، إنما ادعى البشر ذلك.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾ أي لا تستطيع هذه الآلهة أنْ تنقذ من طلب منها أنْ تشفع له.

٤ـ استعمل الفعل المضارع فعلاً للشرط، فقال: ﴿إِن يُرِدْنِ﴾ واستعمل الفعل الماضي في آية الزمر ٣٨ فقال: ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ فما السبب؟

الجواب :

الذي يترجح في هذا الموضوع أنّ الفعل المضارع مع الشرط كثيراً ما يفيد افتراض تكرر الحدث، بخلاف الفعل الماضي فإنه كثيراً ما يفيد افتراض وقوع الحدث مرة واحدة.

واستعمال الفعل المضارع في آية يس إشارة إلى أنه كان يتوقع تكرر وقوع الضرر عليه من قومه.

السؤال الثالث :

ما أهم دلالات هذه الآية؟

الجواب :

١ـ بعد أنْ ذكر من يستحق العبادة أفاد أنه ينبغي أنْ يوحده، وأنه لا ينبغي أنْ يُتخذ إلهاً من دونه ولا معه، ولا ذاتاً لتقربه إليه، فهو دعاهم إلى التوحيد الخالص. وبيان ذلك:

أ ـ قوله: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ أي لا ينبغي أنْ يتخذ من دونه إلهاً.

ب ـ قوله: ﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ﴾ أي لا يتخذ إلهاً معه؛ لأنّ ما يتخذونهم معه لا يملكون ضراً ولا نفعاً؛ لذا لا يصح أنْ يتخذوا معه آلهة.

ج ـ قوله: ﴿لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ﴾لذلك لا يصح أنْ يتخذوا ذاتاً لتقربه إليه لأنه لا تغني شفاعتهم شيئاً.

٢ـ قوله: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ هو أسلوب الاستفهام الإنكاري وليس أسلوب الخبر، بمعنى: أيصح ذلك عقلاً؟ أيجوز اتخاذ غيره إلهاً؟ ولا شك أنّ أي عاقل سيجيب: لا يصح.

٣ـ قوله: ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ بعد أنْ بين أنه يعبد الله بقوله: ﴿ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾يعني أن من دونه لا تجوز عبادته.

٤ـ استبان من الآيات أنّ الله مستحق للعبادة من كل وجه:

ـ أنه فطر الخلق وأوجدهم.

ـ أنه يرسل الرسل إليهم؛ ليرشدوهم إلى ما فيه صلاحهم.

ـ إليه المرجع والمصير فيعاقب المسيء ويكافئ المحسن.

ـ أنه رحيم بعباده ﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾.

ـ أنه قوي مقتدر ليس لقدرته حدود.

ـ أنّ ما يدعون من دونه ليس لهم جاه وليس لهم قدرة.

والله أعلم.

السؤال الرابع :

أسند الإرادة إلى الرحمن ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ في هذه الآية بخلاف آية الزمر ٣٨، حيث أسند الإرادة إلى الله ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ فما السبب؟

الجواب :

أ ـ أنّ القائل في آية يس يتوقع وقوع الضرر عليه من قومه، فذكر اسم الرحمن كأنه يلوذ به ويعتصم، وهو بمثابة سؤاله الرحمة بخلاف ما في آية الزمر، فإنه ليس الأمر كذلك.

ب ـ حسّن ذكر اسم﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ مع الشفاعة في آية يس؛ لأنّ الشفيع إنما يستدر رحمة من يشفع له، والمتصف بالرحمة قد يقبل شفاعة من ليس له جاه كبير عنده، أمّا هؤلاء الآلهة فلا تنفع شفاعتهم حتى مع الرحمن.

ج ـ ورد اسم (الرحمن) في يس (٤) مرات، ولم يرد مطلقاً في الزمر.

وورد اسم (الله) في الزمر (٥٩) مرة، بينما ورد في يس (٣) مرات فناسب ذلك ذكر اسم (الله) في الزمر و (الرحمن) في يس.

السؤال الخامس :

في آية يس استعمل ضمير الذكور العقلاء ﴿شَفَٰعَتُهُمْ﴾ و﴿يُنقِذُونِ﴾بينما استعمل في آية الزمر٣٨ ضمير الإناث﴿هُنَّ﴾ فما الفرق؟

الجواب:

أولاً ـ من الناحية اللغوية :

أ ـ ضمير الإناث يستعمل للإناث ولجمع غير العاقل، تقول: الجبال هن شاهقات.

ب ـ جمع المؤنث السالم يستعمل جمعاً للمؤنث، ويستعمل لجمع المذكر غير العاقل اسماً أو وصفاً، نحو: جبال شاهقات، حيث (شاهقات) وصف لمذكر غير عاقل.

ج ـ الاسم المذكر غير العاقل قد يجمع جمع مؤنث سالم إذا لم يسمع له جمع تكسير، فجمع (حمام ـ حمامات) و(إصطبل ـ إصطبلات).

د ـ ضمير جماعة الذكور نحو: (هم) و (الواو) في نحو: يمشون، فهو خاص بجماعة الذكور العقلاء أو ما نزّل منزلتهم.

ثانياً ـ السياق :

آية الزمر:

أ ـ هذه الآية نزلت في المجتمع الجاهلي، والخطاب للرسول ﷺ وكان الكفار يقولون عن أصنامهم: إنها بنات الله، وكان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه: أنثى بني فلان، ويسمون الأصنام بأسماء مؤنثة، نحو: اللات والعزى ومناة، وقال الله فيهم: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَـٰثًا﴾.

ب ـ قال تعالى في الآية: ﴿مَاتَدْعُونَ﴾ فجعل آلهتهم لا تعقل، واستعمل (ما) لذات ما لا يعقل.

ج ـ جاء بضمير الإناث ﴿هُنَّ﴾ وهذا الضمير يمكن أنْ يستعمل لجمع الإناث أو لجمع غير العاقل مذكراً أو مؤنثاً، فجعلهم غير عقلاء، وهو متناسب مع (ما) التي هي لغير العاقل.

د ـ جاء بجمع المؤنث السالم ﴿كَٰشِفَٰتُ﴾ وهو يمكن أنْ يكون لصفات الذكور غير العقلاء، فجعلهم غير عقلاء.

فناسب التأنيث من كل جهة.

<u>آية يس :</u>

أ ـ استعمل ضمير العقلاء؛ ذلك لأنه قال: ﴿لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ﴾ والشفيع لا بد من أنْ يكون عاقلاً، وإلا كيف يشفع؟

ثم قال: ﴿وَلَا يُنقِذُونِ﴾ والمنقذ لا بد أنْ يكون عاقلا أيضاً، وإلا كيف ينقذ؟

فناسب كل ضمير مكانه اللائق.

السؤال السادس :

في آية يس ٢٣: أدخل الباء على الضر ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ﴾ ولم يقل مثلاً: إن يردن الرحمن ضراً، فما السبب؟

الجواب :

السبب ـ والله أعلم ـ أنه في التعبير القرآني تتصل الباء في الذي عليه السياق، وهو مدار الكلام وهو الأهم فيه. وهنا الكلام عن الضر وهو مدار الاهتمام؛ ولذلك عقّب بكشف الضر وإزالته، فقال: ﴿لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾.

السؤال السابع :

هل لفظ الشفاعة مؤنث أو مذكر؟

الجواب :

١ـ في آية البقرة ٤٨ : ذَكَّر الفعل فقال: ﴿يُقْبَلُ﴾؛ لأنّ الشفاعة هنا جاءت لمن سيشفع أو من ذي الشفاعة.

٢ـ في آية البقرة ١٢٣ : أنّث الفعل فقال: ﴿تَنفَعُهَا﴾لأنّ المقصود هو الشفاعة نفسها، وليس الكلام عن الشفيع.

٣ـ في آيات يس ٢٣ والنجم ٢٦ : أنّث الفعل؛ لأنّ المقصود هو الشفاعة نفسها.

❁❁❁❁

﴿ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ المعنى أنه إنْ اتخذتُ من دون الله آلهة فإني في ضلال ظاهر، وهو لا يعني نفسه فقط، وإنما يريد المخاطبين أيضاً. وقد أجرى القول على نفسه ولم يواجههم بذاك؛ لئلا يثير عصبيتهم وليستعملوا عقولهم وتفكيرهم لعلّهم يرجعون إلى الحق.

٢ ـ أكّد العبارة بإنّ واللام ووصف الضلال بأنه مبين واضح؛ لأنّ المقام يستدعي هذه التأكيدات؛ ولأنّ المخاطبين ينكرون ذلك أشد الإنكار بالرغم من ظهوره ووضوحه.

﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ في هذا الجو المكفهر أعلن الرجل إيمانه بكل صراحة وصدع بالحق بقوة وتحدٍّ فقال: ها أنا آمنت بربكم فاسمعون.

٢ـ قوله: ﴿فَٱسْمَعُونِ﴾ يدل على أنه أعلن إيمانه بصوت ظاهر مسموع غير خفي، وهذا يدل على قوة إيمان الرجل وأنه غير مبالٍ بما سيحصل له من قومه.

٣ـ قوله: ﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ ﴾فيها من التوكيد والقوة ما ليس في قوله: أنا آمنت.

٤ ـ قوله:﴿بِرَبِّكُمْ﴾ وفي معناها وجوه :

أـ هم المرسلون. قال المفسرون: أقبل القوم عليه ليقتلوه، فقال للرسل: إني آمنت بربكم فاشهدوا قولي.

ب ـ هم الكفار.

ج ـ المراد: أيها السامعون على العموم.

٥ـ قوله: ﴿ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ﴾أولى من قوله: آمنت بربي؛ لأنّ كل شخص إنما هو مؤمن بربه على حسب معتقده. وقوله: ﴿بِرَبِّكُمْ﴾ يدل على أنه الرب الذي يدعو إليه الرسل، ورب الرسل هو ربه ورب قومه ورب الناس جميعاً.

وفي هذا تقوية لموقف الرسل آنذاك.

٦ـ قال الرجل سابقاً: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾، وهنا قال: ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ ﴾ فجعله هو الإله وهو الرب، وبذلك جمع بين الألوهية والربوبية.

والله أعلم.

❀❀❀❀

﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ الفعل ﴿ قِيلَ ﴾ مبني للمجهول، وهو يفيد التعميم، والقائل قد يكون الملائكة عند الموت تبشره بالجنة، أو أنّ الحق سبحانه حكى عنه ما يقوله بعد موته وهذا إكبار من الله له، ولم يقل: قيل له، لانصباب الغرض إلى المقول لا إلى المقول له مع كونه معلوماً.

٢ ـ الظاهر أنّ الأمر إذنٌ له بدخول الجنة حقيقة بعد أنْ فارق الحياة الدنيا والجمهور على أنه قتل.

٣ـ قوله: ﴿ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴾ أي تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب مثله بالتوبة والإيمان. وفي الحديث « **نصح قومه حياً وميتاً** » وفي هذا إشارة للدعاة ليحبوا الهداية لعموم الخلق.

٤ـ لقد تمنى أنْ يعلم قومه أمرين :

أ ـ مغفرة ربه له وذلك ليتوبوا ولا ييأسوا من رحمة الله.

ب ـ وإكرامه ليحفّزهم ذلك إلى العمل لينالوا حُسن العاقبة.

٥ ـ ﴿مَا﴾ تحتمل أنْ تكون مصدرية بتقدير: يا ليتهم يعلمون بمغفرة ربي لي.

أو اسم موصول بمعنى: ياليتهم يعلمون بالذي غفر لي ربي، وهو اتباع الرسل

ولم يقل: (بالذي)؛ ليشمل المصدرية والموصولة، أي بالمغفرة والإكرام ولو قال: (بالذي) لم يدل إلا على معنى واحد.

٦ ـ قوله: ﴿مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ ولم يقل: وجعلني مكرماً؛ ليدل على أنّ هذا طريق سار عليه قبله المؤمنون والشهداء والصالحون، فهو واحد منهم وليس فذاً لم يسبقه إليه أحد.

٧ـ قدّم الجار والمجرور على الفاعل ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ لأنه المهم وهو مدار الكلام؛ لأنه معلوم أنّ الله هو يغفر الذنوب، فالفاعل معلوم، ولكن المهم أنْ نعلم المغفور له.

كما أنّ اختيار لفظ ﴿رَبِّي﴾ مناسب لقوله: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾ وإضافته لنفسه فيها من الرعاية واللطف ما لا يخفى.

٨ـ قدّم المغفرة على الإكرام؛ لأنّ المغفرة هي سبب الإكرام؛ ولأنها تسبقه، فالمغفرة أولاً ثم يليها الإكرام.

اللهم اجعلنا مع الذين تكرمهم بمغفرتك وتغمرهم بإكرامك. اللهم آمين.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما أهم دلالات هذه الآية أيضاً؟

الجواب :

١ـ قوله تعالى: ﴿قِيلَ﴾مبني للمجهول وهو يفيد التعميم، فمن قال له ادخل الجنة؟ والجواب:

أـ الملائكة عند الموت تبشره بها.

ب ـ أو الحق سبحانه حكى عنه ما يقوله بعد أنْ يموت ويدخل الجنة وهذا إكرام من الله تعالى له.

٢ـ من مؤهلات هذا الرجل لدخول الجنة أنه لم ينظر إلى حظ نفسه فقط إنما نظر إلى حظ إخوانه أيضاً؛ لأنه بعد أن بُشِّر بالجنة قال: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾أي ما أنا فيه من النعيم.

أي اعملوا مثلي وأقبلوا على الطاعة لتنالوا ما نلت من النعيم.

٣ـ قوله تعالى: ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾لاحظ فيها أنَّ المغفرة سبقت المكرُمة، وهذا ما يسمى: التخلية قبل التحلية. فالحق قبل أنْ يُدخل عبده الجنة ينقيه أولاً من الذنوب، وهذه هي التخلية ثم يُكرمه بالجنة، وهذه هي التحلية.

وكما في قوله تعالى: ﴿ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ أي نُقيتم فادخلوا الجنة. وكذلك كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ﴾فالأولى تخلية والثانية تحلية.

السؤال الثالث:

ما محطات التنقية للعبد في الدنيا والقبر والآخرة؟

الجواب :

لدى التمعن في هذه الآية نجد أنّ هناك معادلة أو شرطاً في دخول الجنة وهذا الشرط هو قوله تعالى على لسان الملائكة بعد السلام على المؤمنين:﴿ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ أي طبتم من دنس المعاصي وطُهرتم من خبث الخطايا. وبمعنى آخر لقد تمت التخلية قبل التحلية.

وقول الملائكة للمؤمنين: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ الفاء تدل على كون الدخول معللاً بالطيب والطهارة، ومن فضل الله على المؤمنين أنه يبدل سيئاتهم حسنات وحينئذ يصيرون طيبين طاهرين نقيين من الذنوب.

وهناك محطات للتنقية قبل دخول الجنة، وعددها (١١) محطة، وهي تساعد على التنقية واحدة تلو الأخرى :

في الدنيا :

١ـ التوبة.

٢ـ الاستغفار.

٣ـ حسنات تمحو السيئات أي الإكثار من الحسنات.

٤ـ المصائب المكفرة للذنوب: مرض ـ مصائب ـ موت ـ...ـ

في القبر :

١ـ صلاة الجنازة عليك.

٢ـ أهوال القبر ـ ظلمة ـ وحشة ـ ضمة قبر.

٣ـ هدايا الأحياء «**إذا مات ابن آدم. ...**» الحديث.

في الآخرة :

١ـ أهوال يوم القيامة.

٢ـ الوقوف بين يدي الله للحساب والعتاب.

٣ـ شفاعة النبي ﷺ.

٤ـ عفو الله عز وجل ورحمته في الآخرة.

هذه المحطات تنقي الإنسان، فإذا نقي طاب فدخل الجنة بفضل الله تعالى.

اللهم نقنا من الذنوب والخطايا وأدخلنا الجنة بفضلك وكرمك بصحبة النبي محمد ﷺ.

اللهم آمين.

❁❁❁❁

﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ أي لم يحتج الأمر إلى إنزال جند من السماء ليهلكهم، فهم أتفه من ذلك.

٢ـ وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ معناه أنه ما كان يصح في حكمتنا أنْ ننزل عليهم جنداً من السماء؛ لأنهم أقل شأناً من هذا، وإننا لم نفعل ذلك فيما مضى.

وبالتالي نفى الإنزال على وجه العموم بدءاً من الماضي إلى هؤلاء القوم.

٣ـ وأمّا إنزال الجنود لنصرة رسولنا محمد ﷺ فذلك إنما هو تعظيم لشأنه وهو لا يشمله، وأمّا ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ فإنّ ذلك متعلق بالأمم السابقة.

٤ـ قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ بإضافة القوم إلى ضمير الرجل القتيل.

٥ـ قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ ولم يقل (بعده)؛ ليدل على أنّ الله أنزل العذاب عليهم بعده مباشرة، ولم يمهلهم فإنّ (من) تفيد ابتداء الغاية، ولو قال: (بعده) لاحتمل الزمن القصير والطويل، فجاء بما يدل على أنه عاجلهم بالعقوبة من غير إمهال.

٦ـ اختار كلمة﴿جُندٍ﴾على (مَلَك)؛ لأنه في مقام العقوبة والمحاربة كان اختيار لفظ الجند أنسب.

ولم يقل: من جنود، وجمع الجند أجناد وجنود، ونفي الجند يعني نفي الجنود، أمّا نفي الجنود فلا يعني نفي الجند، ونفي الواحد مع (من) الاستغراقية يعني نفي الجنس كله.

وللعلم فإنّ (الجند) اسم جنس مفرده (جندي) فالياء للواحد وحذفها للجنس نحو: زنج وزنجي.

٧ـ وبالتالي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾نفى الواحد والاثنين والجمع، ولو جاء بالجنود لم ينف الواحد والاثنين.

٨ـ اختار﴿وَمَآ﴾ في النفي على (لمْ) فلم يقل: (ولم ننزل)؛ لأنّ (ما) أقوى في النفي من (لمْ)، وقد أكّد النفي بذكر (من) الاستغراقية المؤكدة.

وللعلم فإنه لم يأت في جميع القرآن بـ(من) الاستغراقية مع (لمْ) بخلاف (ما).

٩ـ قال: ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ولم يقل: (من السماوات)؛ لأنّ السماء أعم وأشمل من السماوات، وتشمل أيضاً الجو والسحاب وما علاك على وجه العموم فالسماء تشمل السماوات وزيادة.

وناسب هذا ذكر ﴿مِن﴾ الاستغراقية؛ لأنّ السماء و(من) كليهما للاستغراق والعموم.

١٠ـ وقد تقول: وما الحاجة إلى ذكر السماء وهو لم ينزل عليهم جنداً أصلاً لا من الأرض ولا من السماء؟

والجواب: أنّ الله تعالى ذكر أنه أهلكهم بصيحة من السماء، فالسماء هي مبدأ إنزال العذاب، لكن ليس بالجند وإنما بالصيحة.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ أي ما كانت العقوبة أو الأخذة إلا صيحة واحدة.

٢ـ نفى بـ﴿ إن﴾ ولم ينف بـ(ما)؛ لأنّ (إنْ) أقوى من (ما) في النفي ولذلك كثيراً ما تقترن بإلا لإفادة القصر.

٣ـ قوله تعالى:﴿وَٰحِدَةً﴾ نعت مؤكد لبيان قدرة الله لكون الأمر هيناً عند الله، ولبيان هوانهم وضعفهم، فإنهم لم يحتاجوا إلى أكثر من صيحة واحدة.

٤ـ أضمر اسم كان لوضوحه أي الأخذة أو العقوبة.

٥ـ جاء بالفاء وإذا الفجائية للدلالة على سرعة هلاكهم، فإنّ الفاء تفيد الترتيب والتعقيب، وإذا تفيد المفاجأة، فجاء بهما معاً للدلالة على سرعة المفاجأة بحيث لم تكن بين الصيحة وخمودهم مهلة.

٦ـ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ﴾ ولم يقل: (هامدون)؛ والسبب- والله أعلم- :

أ ـ في ذلك إشارة إلى سرعة سكونهم، فإنّ الخمود أسرع من الهمود.

ب ـ لبيان أنّ حركتهم وأصواتهم قد خمدت فلا تسمع لهم حساً، وذلك بعد الصخب والضجيج والبطش والقتل في القرية فإذا هم ساكتون.

ج ـ جاء في روح المعاني: لعلّ في العدول عن (هامدون) إلى (خامدون) رمزاً خفياً إلى البعث بعد الموت.

د ـ من معاني الخمود الموت كالهمود، فأعطى الخمود معنى الهمود مع معان أخرى لا يؤديها الهمود، كسرعة الهلاك والسكوت بعد الصيحة والرمز الخفي إلى البعث بعد الموت، وأنّ ظاهرهم ساكن بارد وحقيقتهم نار تحرق.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة قوله تعالى في الآية: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ ؟

الجواب :

١ـ الحسرة هي الغم على ما فات والندم عليه.

٢ـ يا للنداء، ﴿يَٰحَسْرَةً﴾ هو المنادى ونداؤها مجاز بتنزيلها منزلة العقلاء لبيان عظم الموقف، كأنه قيل: ياحسرة احضري، أو ليتحسر عليهم المتحسرون، أو: أيتها الحسرة أقبلي فهذا وقت حضورك.

٣ـ التنكير للكثرة.

٤ـ التعريف في ﴿ٱلْعِبَادِ﴾ هو لتعريف جنس الكفار المكذبين.

٥ـ مَن المتحسر؟ هناك عدة وجوه :

أ ـ لا متحسر أصلاً في الحقيقة؛ إذ المقصود أنّ ذلك وقت طلب الحسرة حيث تحققت الندامة عند تحقق العذاب.

ب ـ أنّ القائل هو الله تعالى على الاستعارة تعظيماً للأمر وتهويلاً له. وهذا كالألفاظ التي وردت في حق الله تعالى كالضحك والتعجب والتمني والسخر، ويكون المعنى إخباراً عن وقوع الندامة.

ج ـ أنها حسرة الملائكة والمؤمنين على العباد في تكذيبهم الرسل والاستهزاء بهم.

د ـ قيل إنّ المراد بالعباد هم الرسل الثلاثة الذين وردوا في سورة يس قبل هذه الآية.

هـ ـ لعلّ الأوفق أنّ المراد نداء حسرة كل من يتأتى منه التحسر، ففيه من المبالغة ما فيه.

٦ـ من تمام الإيمان أنْ يتحسر المؤمن على من لم يذق طعم الإيمان ولذة الطاعة، فهو مسكين يستحق من يشفق عليه ويتحسر على حاله.

٧ـ الله سبحانه خلق الإنسان وخلق له مقومات حياته المادية وهي مكفولة للجميع المؤمن والكافر، أمّا عطاء القيم والروح فأخذها المؤمن وتركها الكافر، فياحسرة عليه.

٨ـ قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ هذا بيان سبب الحسرة والندم.

٩ـ قوله: ﴿مِّن رَّسُولٍ﴾ يفيد الاستغراق، والمعنى أنه لم يسلم رسول من الاستهزاء.

١٠ ـ لم يقل هنا: من نبي، كما في الزخرف [٦ـ٧] وهي قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾﴾فإنه لمّا تقدّم لفظ (كم) الخبرية التكثيرية للأنبياء ناسب (من نبي)، والأنبياء أكثر من الرسل، فإنّ كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً.

١١ـ قدّم﴿بِهِۦ﴾ على الفعل للاهتمام؛ إذ المفروض أنْ يستقبل العباد رسولهم بالاهتمام لا بالاستهزاء. إضافة إلى مراعاة الفاصلة.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين الحسرة والندامة؟

الجواب :

١ـ الحسرة هي أشد الندم حتى ينقطع الإنسان من أنْ يفعل شيئاً. والحسير في القرآن هو المنقطع. والحسير من الدواب الذي لا منفعة فيه.

٢ـ قد يندم الإنسان على أمر والندم له درجات ، لكنّ الحسرة هي أشد أنواع الندم والتلهف على ما فات.

٣ـ قوله تعالى:﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ﴾ أي هذه أكبر الحسرات، وليس هناك أكبر منها.

٤ـ قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡ﴾أي منقطعة ولا فائدة من الرجوع مرة ثانية.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين الأسف والندم والحسرة؟

الجواب :

الأسف :

يكون على الفائت من فعلك وفعل غيرك، وهو حسرة معها غيظ أو غضب. والآسف هو الغضبان لقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ أي أغضبونا. وللعلم فإنّ استعمال الغضب في صفات الله مجاز وحقيقته إيجاب العقاب للمغضوب عليه.

الندم :

جنس من أفعال القلوب يتعلق فقط بفعل النادم دون غيره.

الحسرة :

غم يتجدد لفوت فائدة، وليس كل غم حسرة.

❊❊❊❊

﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ الآية تحمل أكثر من معنى حسب عَوْد الضمير في ﴿أَنَّهُمْ﴾ وفي ﴿إِلَيْهِمْ﴾ والآية تتحدث عن قرونٍ أُهلكت من قبل وتُخاطب مكذّبين معاصرين.

٢ـ فإنْ عاد ضمير الغائبين في ﴿أَنَّهُمْ﴾ إلى القرون الأولى التي أُهلكت يكون المعنى: أنهم لا يرجعون، ولم نَرَ أحداً منهم رجع بعد هلاكه.

٣ـ وإنْ عاد الضمير على المخاطبين الموجودين فالمعنى يكون: أيها المخاطبون لا ترجعوا في نسبكم إلى هؤلاء الذين أهلكهم الله؛ لأنّ الله استأصلهم بحيث لم يبقِ منهم أحداً ولا نسلاً.

٤ـ الآية في مجملها تعني أنّ هلاك الكافرين والمكذبين هو سنة متبعة على مر الزمان.

٥ـ قوله تعالى: ﴿ وَإِن﴾ بمعنى ما النافية و ﴿لَّمَّا﴾ بمعنى إلا، أي: وما كلٌ إلا جميعٌ لدينا محضرون.

٦ـ قوله تعالى: ﴿مُحْضَرُونَ﴾ أي مجبرون على الحضور ومكرهون رغم أنوفهم.

السؤال الثاني :

ما أهم اللفتات في الآيتين؟

الجواب :

١ـ لمّا بيّن الله سبحانه وتعالى أنّ المهلكين لا رجعة لهم إلى الدنيا ذكر أنهم إليه راجعون ومحضرون لديه للحساب وللعقاب.

٢ـ﴿ وَإِن﴾ نافية و(لمّا) بمعنى (إلا) و(كل) مبتدأ، وخبره (جميع)

٣ـ فإن قلت: كيف أخبر عن ﴿كُلٌّ﴾ بـ﴿جَمِيعٌ﴾ ومعناهما واحد؟

فالجواب: المعنى ليس بواحد؛ لأنّ (كل) تفيد معنى الإحاطة وأنْ لا ينفلت منهم أحد.

والجميع معناه الاجتماع وأنّ المحشر يجمعهم، و﴿جَمِيعٌ﴾ على وزن فعيل لكن بمعنى مفعول.

٤ـ ﴿مُحْضَرُونَ﴾ أي للحساب وتقديم الظرف﴿لَّدَيْنَا﴾ لإفادة الحصر بمعنى الإحضار إليه لا لغيره. وصيغة ﴿مُحْضَرُونَ﴾ تعني أنّ حضورهم بالإكراه لا برغبتهم وإنما بمشيئة الله سبحانه وتعالى.

و(محضرون) إما خبر ثانٍ أو نعت لـــ (جميع) على المعنى، ويصح إفراده بتقدير: وإنْ كل لّمّا جميع لدينا محضر، حملاً على اللفظ، كما في آية القمر ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ [القمر:٤٤].

٥ـ قد تقول: لكنه جمع، ولم يفرد في آية الشعراء ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ فلماذا؟

والجواب: أنّ فرعون أراد من قراره أنّ الحذر يخص كل واحد من الشعب وليس فريق الحكومة؛ ليجعل الأمر على العموم فناسب الجمع هنا في الشعراء.

والله أعلم.

السؤال الثالث :

ما دلالة تقديم الظرف ﴿قَبْلَهُم﴾ على﴿ٱلْقُرُونِ﴾في آية يس ٣١ والأنعام ٦ وتقديم (القرون) على (الظرف) في آيات الإسراء ١٧ ويونس ١٢؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ٦.

السؤال الرابع :

قال في طه ١٢٨ :﴿أَفَلَمْ﴾ بالفاء وفي السجدة٢٦، و يس ٣١﴿ أَوَلَمْ﴾بالواو، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

انظر الجواب في آية طه ١٢٨.

السؤال الخامس :

لِمَ حَمَلَ على المعنى في يس٣٢ وحمل على اللفظ في القمر٤٤؟

الجواب :

لّما ذكر القرون في يس ناسب أنْ يجمع فيقول: ﴿مُحْضَرُونَ﴾. أمّا في القمر فإنهم فريق واحد أو جمع واحد وليس جموعاً، كما قال تعالى: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ فناسب ذلك الإفراد.

ثم إنّ الانتصار إنما هو للفريق كله وليس لكل فرد؛ لأنه يقال: (النصر لنا) ولا يقول: (النصر لي) فوحّد الوصف للفريق لا لأفراده فرداً فرداً بخلاف الإحضار للحساب أمام الله، فهو لكل فرد ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾ فناسب الجمع في يس من جهة أخرى.

السؤال السادس :

عن استعمال القرون والقرن بعد (كم) الخبرية التكثيرية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ٦.

السؤال السابع :

ما دلالة﴿إن﴾ النافية عندما تدخل على الجمل الاسمية أو الفعلية؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الإسراء ١٧.

❁❁❁❁

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ لمّا ذكر الحشر في الآية السابقة، ذكر الدليل على إمكانية وقوعه فقال: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا﴾والآية بمعنى العلامة والدليل.

كما استدل بهذه الآية على توحيد الله وبيان قدرته ورحمته وذكر جملة من نعمه عليهم.

٢ـ الضمير ﴿لَّهُمُ﴾ يعود على أهل مكة ومن يجري مجراهم في إنكار البعث والحشر.

٣ـ قدّم ﴿وَءَايَةٌ﴾؛ لأنّ الكلام عن العلامات الدالة على قدرة الله. وقدّم ﴿وَءَايَةٌ﴾ على الجار والمجرور (لهم) للدلالة على أنها آية لهم ولكنها لا تخصهم وحدهم، ولو قدم

الجار والمجرور دون ﴿وَءَايَةٌ﴾ فقال مثلاً: (ولهم الأرض الميتة آية) لكان ذلك تخصيص الآية لهم دون غيرهم، في حين أنها آية للجميع.

٤ـ بدأ بذكر الأرض؛ لأنها مسكنهم ومستقرهم.

٥ـ قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ بدأ بالحب؛ لأنه طعام الإنسان وهو أهم ما يأكله البشر، وإذا فقد الحب هلك الناس.

وقدّم الجار والمجرور ﴿مِنْهَا﴾ على الفعل ﴿يَأْكُلُونَ﴾ لأهميته في حياة البشر حتى كأنه لا مأكول غيره، و(من) تبعيضية.

❁❁❁❁

﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب:

١ـ بعد أنْ ذكر الحب وهو الأهم ذكر الجنات من النخيل والأعناب وهما دون الحب بالنسبة إلى طعام الناس.

والمقصود بالنخيل والأعناب هما الشجر وليس الثمر؛ ولذلك قال فيما بعد: ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾.

٢ـ قدّم شجرة النخيل على العنب؛ لأنها أفضل منها من حيث الفائدة.

٣ـ النخل بالنسبة إلى ثمرته (التمر) عظيمة الفوائد ينتفع بكل شيء منها بينما شجرة الكرم إلى ثمرة (العنب) تعتبر حقيرة.

ولذلك في القرآن وفي المواضع التي يذكر فيها الله الفواكه، لا يذكر التمر وإنما يذكر شجرته (النخيل)؛ لأهمية هذه الشجرة، ولا يذكر العنب بشجرته (الكرمة) لقلة فائدتها.

٤ ـ قدّم القرآن العنب على النخيل في موضعين فقط وهما: [الرعد ٤ ـ عبس ٢٨ـ٢٩].

والسبب :

أ ـ في آيات عبس لمّا قال الله: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾ ذكر الأطعمة: الحب والعنب والزيتون وهذه كلها أطعمة، ثم ذكر النخيل وهو شجر وجعله بجنب الحدائق فقال: ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾﴾ [عبس:٢٩-٣٠].

كما رتبها بحسب كثرتها في العالم، فالحب هو الأكثر ثم العنب، وهو أقل من الحب وأكثر من الزيتون ثم الزيتون.

ب ـ وأمّا في آية الرعد فإنه ذكر فيها المتجاور من النبات، فبدأ بجنات الأعناب وهي قطع متجاورة من البساتين، ثم ذكر ما هو أقرب تجاوراً وهو الزرع ، والزرع أقرب إلى بعضه من أشجار العنب، ثم انتهى إلى النخل الصنوان وغيره، إذ الصنوان هو النخل الذي يخرج من أصل واحد وهي الفسائل المتعددة التي تخرج من أصل واحد، وهذه أقرب من كل شيء إلى بعضها وهي أقرب المذكورات تجاوراً. أي رتبها حسب التجاور

فبدأ بالجنات وانتهى إلى الأشجار التي تخرج من أصل واحد، فكان التقديم بحسب ما يقتضيه السياق.

٥ـ قال في الحب: ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ وقال في الثمر: ﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ﴾ بلام التعليل؛ ذلك أنّ الناس يأكلون من الحب على الدوام، أمّا الفاكهة فيأكلونها في أوقات متباعدة، ففرّق بين ما هو مستمرون على أكله وما ليس ذلك.

٦ـ ذكر الأكل مباشرة بعد ذكر الحب، بينما أخّر الأكل عن الثمار إلى ما بعد ذكر تفجير العيون، وقيل عن السبب إنّ الحب لا يحتاج إلى العيون والأنهار وإنما يكفيه ماء السماء، بخلاف الجنات فإنّ الثمار والجنات لا تتم إلا بالأنهار أو العيون، بينما الحب يتم بمياه الأمطار؛ ولهذا يُرى في أكثر البلاد التي ليس فيها أشجار وأنهار أنه لا تبطل فيها زراعة القمح اعتماداً على ماء السماء.

٧ـ قدّم ذكر الحب والفاكهة، وأخّر ذكر العيون، مع أنّ الماء سابق لهما وهو شرط لوجودهما. والسبب - والله أعلم- :

أـ قدّم المطعوم على المشروب؛ لأنّ الطعام أهم، والحصول عليه أصعب. والناس يجهدون للحصول عليه بخلاف الماء، فإنّ الحصول عليه أسهل وتقديم الطعام على المشروب شائع في القرآن، كما في الآيات:

ـ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ﴾ [البقرة:٦٠].

ـ ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [الشعراء:٧٩].

ـ ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾...[الى]... أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الواقعة ٦٣-٦٨].

ب ـ السياق في إحياء الموتى، فذكر الأرض الميتة وإحياءها وإخراج الحب والجنات، وهذا أدل على ذلك من تفجير العيون.

ج ـ ذكر الأكل ولم يذكر الشرب ولم يقل: (ليشربوا منه)؛ ولذلك قدّم ما ذكر وهو أكل الحب والفاكهة، وأخّر ما لم يجر له ذكر.

د ـ الماء هو السبب الأول لإخراج الحب والجنات وليست العيون، ولا يوجد ارتباط لازم بين الجنات والعيون، فقد تكون جنات وليس فيها عيون وقد تكون عيون وليس ثمة جنات.

والجنات أهم من عيون الماء؛ لأنّ بها غذاء الناس وطعامهم، أمّا الماء فمقدور عليه في الغالب.

هـ ـ الشائع في القرآن الكريم أنه إذا اجتمعت الجنات والعيون قدّم الجنات على العيون، كما في الآيات:

ـ ﴿فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر:٤٥].

ـ ﴿فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٧﴾ [الشعراء:٥٧].

ـ ﴿كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٢٥﴾ [الدخان:٢٥].

ـ ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢﴾ [نوح:١٢].

غير أنه يقدّم الماء إذا أراد أنْ يبين أنه سبب الإنبات، كما في الآيات:

ـ ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩﴾ [ق:٩].

ـ ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ١٤ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ١٦﴾ [النبأ:١٤-١٦].

٨ـ قال: ﴿وَفَجَّرْنَا﴾ بتضعيف العين للدلالة على الكثرة، وقوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ فذلك يدل على كثرة الماء في النهر.

٩ـ الضمير في ﴿فِيهَا﴾ إما يعود على الجنات أو يعود على الأرض :

أـ فإنْ عاد على الجنات كانت الجنات سابقة على العيون، وتكون العيون متأخرة عنها في الوجود، فناسب تأخير العيون.

ب ـ وإنْ عاد على الأرض فالتفجير ليس له علاقة بجنات النخيل والأعناب؛ لأنّ التفجير سيكون في الأرض في الجنات وغيرها.

١٠ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ تحتمل ﴿وَمَا﴾ أنْ تكون نافية، فالثمر لم تعمله أيدي الناس، وتحتمل أنْ تكون اسماً موصولاً بمعنى :

أـ وما يعملون من الثمار مثل: الشراب والمربى والدبس وغيرها.

ب ـ وما عملته أيديهم من الغرس والسقي والكد.

ج ـ وقيل (ما) نافية وضمير (عملته) راجع إلى الثمر.

١١ـ قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ ومعناها :

أـ ألا يستدعي ذلك شكر المنعم الذي أمدهم بهذه النعم الجليلة؟

وقال ذلك بصيغة الاستفهام؛ لأنه أراد أنْ يقول لهم: ألا يستوجب ذلك شكر ربهم؟ وهو عرض لطلب الشكر مع إنكارٍ لعدم الشكر، وجاء بالفاء الدالة على السبب.

ب ـ قال في الواقعة: ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ بـ(لولا) الدالة على التحضيض وهو الطلب بشدة؛ لأنّ السياق في الواقعة في مقام التحذير والتوعد والتهديد بالعقوبة، بينما السياق في يس في مقام تعداد النعم وذكر الآيات.

ج ـ أطلق الشكر ولم يقيده، فإن الشكر قد يكون للنعمة، وقد يكون للمنعم كما في الآيات:

ـ ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ [النحل:١١٤].

ـ ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [النمل:١٩].

ـ ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة:١٧٢].

ـ ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ [سبأ:١٥].

وهنا أطلق الشكر ليشمل النعمة والمنعم. والله أعلم.

السؤال الثاني :

كيف يستعمل القرآن الكريم لفظتي النخل والنخيل؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٦٦.

❁❁❁❁

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما معنى كلمة ﴿سُبْحَانَ﴾؟ وما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ كلمة ﴿ سُبْحَٰنَ ﴾ تعني التنزيه المطلق لواجب الوجوب الأعلى عن أنْ تحكمه قوانين الموجود.

والتنزيه المطلق للحق سبحانه له مقامات ثلاثة :

أ ـ أنْ تنزّه ذاته سبحانه عن كل الذوات.

ب ـ أنْ تنزّه صفاته عن كل الصفات.

ج ـ أنْ تنزّه فعله سبحانه أنْ يشبه بالأفعال.

والميزان في ذلك كله قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

٢ـ الزوجية موجودة في كل شيء في الوجود، وكلمة (زوج) لا تعني اثنين، إنما تعني الشيء الواحد، إنما معه مثله، نحو توأم فكلٌّ منهما توأم وهما توأمان.

٣ـ قوله تعالى: ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾لم يذكر سبحانه الحيوان؛ لأنه ذكر الإنسان وهو الحيوان الناطق وهو الأعلى فالآخر مثله وتابع له.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ لها مدلولات وقعت أخبر الله عنها قبل أنْ نكتشفها لنعلم أنّ الغيب الذي يخبرنا الله به يأتي كمقدمة لغيب آخر سنعرفه في المستقبل. وكأنّ الحق يلفت أنظارنا : أنه كما صدّق الواقع ما أخبرت به من الغيب فصدّقوا ما أخبرتكم به من غيب الآخرة.

٥ـ بدأ بذكر الأزواج بالأرض ثم بأنفسهم ثم بما لا يعلمون؛ لأنه لمّا كان الكلام عن الأرض بدأ بالأزواج عليها. ثم لمّا كان الناس هم المستفيدين من الأرض يأكلون من

حبها وثمرها وهم سكانها ذكرهم بعد ذلك. ثم ذكر ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ مما لا علاقة لهم به ولا معرفة لهم به مما سيكشفه المستقبل من معلومات الزوجية في الوجود.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ بعد أنْ ذكر الأرض واستدل بأحوالها على التوحيد والحشر استدل بالليل والنهار على ذلك فكان استدلاله بالمكان والزمان، فالمكان هو الأرض والزمان هو الليل والنهار.

٢ـ في يس قدّم الاستدلال بالأرض على الاستدلال بالليل والنهار، بينما عكس الموضوع في آيات فصلت ٣٧ـ٣٩، وهي قوله تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فُصِّلَت:٣٧-٣٩].

والسبب في ذلك - والله أعلم - أنّ :

أ ـ السياق في يس هو الاستدلال على الحشر، والاستدلال بإحياء الأرض الميتة أدل على ذلك من الاستدلال بالليل والنهار.

ب ـ أمّا في فصلت فالسياق في توحيد الله وإفراده بالعبادة، وقد كان قسم من المشركين يعبدون الشمس والقمر ويسجدون لهما، فقال: ﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ فكان تقديم الليل والنهار وآيتيهما أولى.

٣ـ وقد تقول: إذا كان المراد منه الاستدلال بالزمان فلم اختار الليل في الآية؟

والجواب أنه لمّا استدل بالمكان المظلم وهو الأرض وقال: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ﴾ استدل بالزمان الذي فيه الظلمة وهو الليل.

كما أنّ الليل فيه سكون وهدوء وفيه نوم، وهو أشبه بالموت، بينما النهار فيه حركة.

٤ـ ومعنى ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾أي نزيله منه، من سلخ جلد الشاة إذا كشطه عنها وأزاله.

٥ـ ومعنى ﴿مُّظْلِمُونَ﴾أي داخلون في الظلام.

ويفيد هذا التعبير أنّ الليل مغطى بالنهار، والنهار كالجلد الذي يغطيه فيسلخ منه النهار كما يسلخ الجلد، فيكون تحته الليل.

وقد فهم المفسرون ذلك فقالوا: إنّ الليل أصل والنهار فرع طارىء عليه ولذلك لم يقل القرآن العكس بأنّ النهار نسلخ منه الليل، فهذا لا يصح؛ لأنّ الأرض مظلمة وليست مضيئة؛ ولأنّ الضوء هو الذي يزيل الظلمة وليست الظلمة هي التي تزيل النور وتمحوه.

٦ـ وقال: ﴿نَسۡلَخُ﴾ بإسناد الفعل إلى نفسه تعالى؛ ليدل على أنّ ذلك يجري بفعل الله وقدرته، ولم يحصل ذلك من دون مدبر.

٧ـ قوله: ﴿فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾ ولم يقل: فإذا الأرض مظلمة؛ ليبين أثر ذلك فيهم وفي حياتهم؛ وليبين أثر النعمة عليهم في الضياء والإظلام.

وجاء بـ ﴿فَإِذَا﴾ الفجائية للدلالة على سرعة التغير. و الله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ من المحتمل أنْ تكون الواو عاطفة على الليل فتكون المتعاطفات كلها آية، ولذلك لم يكرر كلمة (آية)؛ لأنه أراد أنْ يكون كل ما ذكر آية.

٢ـ ويحتمل أنْ تكون ﴿وَٱلشَّمۡسُ﴾ مبتدأ وما بعدها خبر والجملة معطوفة على ما قبلها.

٣ـ ومعنى ﴿لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَا﴾ أي: أنّ لها حداً تنتهي إليه سواء كان الحد زماناً أو مكاناً، فالمستقر اسم مكان أو اسم زمان.

وقيل المستقر هو آخر السنة أو الوقت الذي تستقر فيه وينقطع جريانها وهو يوم القيامة، وقيل غير ذلك.

٤ـ ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ بعد أنْ أسند الجري إليها؛ ولئلا يُظن أنها تجري بنفسها من دون تقدير أو تدبير، فإنها تجري بتقدير العزيز العليم على وفق سنة وضعها لها خالقها، فهي ليست حرة مختارة، وإنما هي خاضعة لمن جعل لها مستقراً لا تتخطاه، فأبطل بذلك صحة أن تكون معبودة أو مُتخذة إلهاً.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ ذكر هنا القمر وأنه قدّر له منازل يسير فيها، كما قدّر للشمس جرياناً لمستقر لها، حتى يكون كالعرجون القديم.

٢ـ نسب التقدير إلى نفسه فقال: ﴿قَدَّرْنَٰهُ﴾ كما نسب جري الشمس إلى تقديره.

٣ـ استغنى بقوله: ﴿قَدَّرْنَٰهُ﴾ عن إعادة وصف العزيز العليم.

٤ ـ العرجون: هو عود العذق ما بين شماريخه إلى منبته من النخلة و العرجون هو عذق النخلة الذي يحمل الثمار، وهو مكون من عدة شماريخ رفيعة، لكن قاعدته عند اتصاله بجذع النخلة عريض ومفلطح، وهذا العذق ييبس ويضمر كلما تقادم، ويعوج كلما جفت المائية منه.

٥ـ اختار﴿عَادَ﴾ على (صار)؛ لأنه يعود إلى هذه الحالة في كل شهر وليس في (صار) إشعار بهذا المعنى.

❀❀❀❀

﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

بيّن سبحانه جامعاً بين الشمس والقمر وبين الليل والنهار أنه :

١ـ كلٌ من الشمس والقمر له فلكه الخاص به، فهما ليسا في سباق، وكل منهما يدور في دائرة لا يتعداها، وكل دائرة تختلف عن الأخرى سعة ووضعاً، وليس أحدهما يدرك الآخر ولا أحدهما سابق لصاحبه.

٢ـ وكذلك تعبّر هذه الآية عن حقيقة علمية ثابتة، ذلك أنّ الشمس في كل لحظة تشرق على مكان فيكون عليه نهار، وتغرب عن مكان آخر فيكون عليه ليل، فالليل أمامه نهار وخلفه نهار، وكذلك النهار أمامه ليل وخلفه ليل فالليل ليس سابقاً للنهار وليس النهار سابقاً لليل، وهذا لا يتأتى إلا إذا كانت الأرض كروية لا أسبقية لليل على نهار.

ونلاحظ أنه في الآية نفيان :

أـ نفي لأنْ تدرك الشمس القمر.

ب ـ نفي لأنْ يسبق الليل النهار.

٣ـ استعمل الفعل ﴿تُدۡرِكَ﴾ مع الشمس، واستعمل الاسم ﴿سَابِقُ﴾ مع الليل ولم يجعلهما على نسق واحد؛ ذلك أنّ قوله ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ قد يفهم منه أنّ الليل سابق، فقال: ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾فردّ هذا التصور.

٤ـ في تقديم الشمس على الفعل وتقديم حرف النفي عليها حيث إنّ الأصل (لا ينبغي للشمس أن تدرك القمر)، ولكنه عدل إلى ما قاله: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ﴾لأكثر من سبب :

أ ـ الحرف (لا) إذا دخل على اسم معرفة فإنه يُراد به نفي أكثر من أمر فتكرر(لا) وجوباً، بخلاف ما إذا دخلت على فعل مضارع، فإنها ليست كذلك. وههنا أراد نفي أمرين فقدّم الاسم المعرفة؛ ليؤذن بأنه يريد نفي أكثر من مسألة.

ب ـ قد يفيد تقديم الاسم على الفعل في حيز النفي نفي الفعل عن المذكور وإثباته لغيره، أي في الآية نفي القدرة عن الشمس لإدراك القمر وإثباتها لله العزيز العليم.

ج ـ قد يكون هذا التقديم لغرض العناية والاهتمام، ذلك أنه جرى ذكر للشمس والقمر قبل هذه الآية، فناسب تقديم الشمس.

٥ ـ قوله: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾التنوين يفيد العموم، أي كل الأجرام تسبح فدخل فيها الشمس والقمر، ولو قال: كلٌّ منهما، لتخصص الكلام بهما.

ولمّا أفاد ﴿وَكُلٌّ﴾ العموم لكل الأجرام والكواكب ناسب الجمع، فقال: ﴿يَسْبَحُونَ﴾ واستعمل واو الجماعة للعقلاء؛ ليشعر أنّ الأجرام عاقلة ملتزمة وليست كالإبل الهائجة، وفي ذلك إشعار بالأمان للناس مما فوقهم فلا تنقض عليهم.

واختيار لفظ السباحة أنسب شيء للتعبير عن حركة الأجرام، وقد اختار علماء العصر الحديث هذا اللفظ للتعبير عن الحركة في الفضاء.

٦ـ كلمة ﴿فَلَكٍ﴾ تعبر عن مدار النجوم، والجمع (أفلاك)، كما تفيد استدارة مسار الأجرام.

والفلك استدارة السماء والفلك أيضاً قطعة مستديرة مرتفعة من الأرض.

والله اعلم.

❀❀❀❀

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب:

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾

١ـ قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ﴾ هي آية لنا ولهم (لنا) لنقنعهم، و(لهم) لتدعوهم إلى الإيمان بالله.

ولذلك لما سئل الإمام علي رضي الله عنه: أعرفت ربك بمحمد أم عرفت محمداً بربك؟ فقال: عرفت ربي بربي، وجاء محمد فبلّغني مراد ربي مني.

٢ـ الفُلك: تستعمل للمفرد والجمع. وقيل هي السفن التي تجري في البحار إلى قيام الساعة، والذرية هم الأولاد، فامتن على الآباء بحمل أولادهم في البحار.

وقيل المقصود بالفلك هو سفينة نوح عليه السلام، والمعنى أنه لمّا حمل آباءهم الأقدمين يكون قد حمل ذريتهم في أصلابهم، ولولا ذلك الحمل لم يبق للآدمي نسل.

٣ـ الامتنان إنما هو بالحمل في الفلك وليس في الفلك نفسه، ذلك أنّ الحمل فيه هو النعمة.

٤ـ ليس في كون الفلك سفينة نوح استشكال، فإنه قال للمخاطبين: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ والله لم يحملهم، وإنما حمل آباءهم، فإنّ المخاطبين وذريتهم هم جميعاً ذرية المحمولين في السفينة.

٥ـ الفلك المشحون أي المملوء، وهذا يفيد أنّ الآدمي يرسب في الماء وأنّ حفظ الثقيل فوق الماء لا يتم إلا بإرادة الله وقدرته.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾

١ـ قوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ يعني من مثل الفلك.

٢ـ قوله: ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ فيه وجهان :

أ ـ أنه الفُلك وما يركبونه من السفن والزوارق.

ب ـ أنه عموم ما يُركب في البر من الإبل وغيره.

والظاهر أنه يشمل عموم ما يركب في البر والبحر. فذكّرهم بنعمة السكن وهي الأرض ونعمة الطعام ونعمة الليل والنهار وحملهم وحمل بضائعهم في البر والبحر.

٣ـ قوله: ﴿لَهُمْ﴾ يدل على تمام نعمته عليهم، أي لأجلهم.

٤ـ قوله: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بإضافة الذرية إليهم فيه تفضل آخر بخلاف ما لو قال: (إنا حملنا ذرية المخلوقات) فإنّ ذلك يعم، وهذا يخصهم هم.

﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾

١ـ هددهم بالإغراق فلا ينقذهم أحد، كما فعل مع المغرقين من قوم نوح.

٢ ـ قد تقول: كيف يصح التهديد بالإغراق، وهو لم يذكر حملهم في الفلك وإنما ذكر حمل ذريتهم؟

فالجواب: أنه لما قال: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾ فذكر ما يركبونه من مثل الفلك صح أن يكون التهديد لهم.

٣ـ قال: ﴿فَلَا صَرِيخَ﴾ أي لا مغيث، ولم يقل: فلا مغيث لهم، والسبب:

أ ـ الصريخ يجمع عدة معان منها المغيث، ومنها المستغيث، ومنها صوت المستصرخ.

ب ـ وفي الآية يحتمل هذه المعاني كلها.

ج ـ قد تقول: كيف يحتمل في الآية نفي المغيث والمستغيث ولا شك أنهم مستغيثون؟

والجواب: أنّ المعنى: لا مستغيث لهم، بمعنى لم يستغث لهم أحد، وعلى هذا يكون المعنى أنه إنْ شاء أغرقهم فلا يستغيث لهم أحد، ولا مغيث لهم فلا يكون من يطلب العون لهم ولا من يعين فنفى المغيث والمستغيث لهم.

د ـ والصريخ أيضاً صوت المستصرخ، أي بمعنى أنهم لا يمكنهم الصراخ وطلب العون؛ لأن الماء يلجم أفواههم.

وبهذا نفى المغيث والمستغيث ونفى إمكانية رفع الصوت.

هـ واختار لفظ الصريخ على المغيث؛ لأنّ الصريخ من الصراخ والصرخة هي الصيحة الشديدة عند الفزع. فكان لفظ الصريخ أنسب.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾أي لا ينقذهم أحد أو شيء سواه، فقد لا يكون هناك مغيث، ولكنْ قد يكون هناك شيء كقطعة من الخشب يتعلق بها فانتفت نجاتهم بكل سبيل.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾

١ـ التعبير يحتمل معنيين :

أـ أنْ ينقذهم الله رحمة بهم ويمتعهم إلى حين.

ب ـ أنّ إنقاذهم على نوعين: إنقاذ رحمة وإنقاذ تمتيع.

فالقسم الأول يؤمن بعد الكفر ويهتدون، فكان إنقاذهم رحمة منه تعالى لهم والقسم الثاني يبقون على كفرهم، فيكون إنقاذهم متاعاً إلى حين.

وعلى هذا فكلهم مرحومون ممتعون، ولكنّ منهم من نالته رحمة أوسع بنجاته وإيمانه.

٢ ـ قوله: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ ليدل على أنّ الرحمة بهم منه سبحانه، وإلا فليس من يرحمهم ويغيثهم غيره.

٣ـ قوله: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ تفيد أنّ الرحمة عامة تشمل جميع الخلق مؤمنهم وكافرهم، بينما قوله تعالى: ﴿رَحْـمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ فهي رحمة خاصة بالمؤمن ولم ترد في القرآن في غير المؤمنين، كما في [هود ٢٨ـ الكهف ٦٥ـ الأنبياء ٨٤].

٤ـ قدّم الرحمة على الجار والمجرور هنا في الآية؛ لأنه لو عكس لاختل المعنى، ذلك لو قال: (ولا هم ينقذون منا إلا رحمة ومتاعاً إلى حين) كان المعنى أنه سينقذهم من الله منقذ وينجيهم مغيث، وبذلك يكون الله عاجزاً عن إغراقهم- تعالى الله عن ذلك- ولذا لا يصح التقديم في الآية.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين السفينة والفلك في الاستعمال القرآني؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأعراف ٦٤.

السؤال الثالث :

ما الفرق في الدلالة بين ﴿رَحْـمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ و ﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾ ؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الكهف ٦٥.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا
تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ جاء بـ﴿وَإِذَا﴾ولم يأت بـ (إنْ)؛ ليدل على أنّ هذا القول ليس أمراً افتراضياً، وإنما هو أمر حاصل متكرر؛ لأنّ (إذا) تستعمل لما هو مقطوع بحصوله ويتكرر كثيراً بخلاف (إنْ)، فقد تستعمل لجميع الافتراضات لما يقع ولما لا يقع ولقليل الوقوع.

٢ـ لم يذكر جواب الشرط؛ لأنه معلوم مما بعده في الآية التالية رقم ٤٦ وقد يفيد الحذف أنهم إذا قيل لهم سكتوا ولم يجيبوا، كما يفعل بعض الناس إذا سمع كلاماً لا يعجبه.

٣ـ قوله: ﴿ٱتَّقُوا۟﴾ يعني: احذروا واحفظوا أنفسكم منه.

٤ـ قوله تعالى: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ يحتمل أنْ يكون المعنى :

أـ ما مضى من الذنوب.

ب ـ العقوبات التي أوقعها الله بالأمم السابقة.

ج ـ الآفات والنوازل المحيطة بكم وأنواع العذاب مثل الحرق والغرق.

د ـ ما ظهر لكم.

هـ ـ الآخرة.

٥ـ قوله تعالى:﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ يحتمل أنْ يكون المعنى :

أـ ما بقي من الذنوب.

ب ـ الموت وأمر الساعة وعذاب الآخرة.

ج ـ ما خفي عنكم.

د ـ الدنيا.

٦ـ يتضح مما ذُكر أعلاه أنّ قوله تعالى:﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ ليس هو في أمر معين، وإنما هو عام في كل ما ينبغي أنْ يتقى.

وجاء في روح المعاني أنّ المعنى: اتقوا العذاب واتقوا ما يترتب العذاب عليه

٧ـ لقد ذكر أمرين للنجاة من المحذور، وهما :

أ ـ مايتعلق بالإنسان وما يتخذه من أسباب لدفع المحذور وحفظ نفسه.

ب ـ ما هو متعلق برحمة الله تعالى ومشيئته.

لأنّ الأسباب وحدها قد لا تكفي، ولا بدّ من رجاء رحمة الله؛ ولذلك قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ولم يقل: (لترحموا)؛ لأنّ الاتقاء مرجوٌّ معه رحمة الله ولا يدفع المحذور وحده. ولو قال: (لترحموا) لجعل الاتقاء بالأسباب وحدها. ولذلك جيء بـ(لعلّ) التي تفيد الترجي؛ لكيلا يتكل الإنسان على الأسباب وينسى المسبب ربه.

٨ـ قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ولم يقل: عسى أنْ ترحموا؛ لأكثر من سبب :

أ ـ قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بالفعل المضارع يفيد الحال والمستقبل، بينما (عسى أن ترحموا) يفيد الاستقبال فقط.

ب ـ قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ جملة اسمية، وقولنا: (عسى أنْ ترحموا) جملة فعلية، والجملة الاسمية أقوى من الجملة الفعلية.

ج ـ قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ آكد وأقوى؛ لأنه أسند إليهم وقوع الرحمة بهم مرتين: ضمير الخطاب (كم) والواو في الفعل ﴿تُرْحَمُونَ﴾.

بينما في قولنا: (عسى أنْ ترحموا) فيه ذكر ضمير الخطاب مرة واحدة.

د ـ قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ في آية الإسراء ٨ خاص بأمر مستقبل موجه لبني إسرائيل بعد المرة الثانية وهو مستقبل فناسب ﴿عَسَىٰ﴾.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾

١ـ المعنى العام أنه ما تأتيهم آية سواء التي ينزل بها الوحي أو الآيات الكونية في الأرض والسماء إلا كان شأنهم الإعراض عنها وعدم النظر والتدبر فيها. أي فهم معرضون عن الآيات كلها.

٢ـ نفى بـ ﴿وَمَا﴾ ولم ينف بـ (لا)؛ لأنه أراد أنْ يبين حالتهم؛ لأن (ما) تفيد الحال إذا دخلت على الفعل المضارع، أمّا (لا) فإنها تفيد الإطلاق وكثيراً ما يؤتى بها للاستقبال، والقرآن لا يريد أنْ يبين حالتهم في المستقبل بل يريد ما هم عليه، فنفى لذلك بما.

٣ـ استعمل الفعل المضارع ﴿تَأْتِيهِم﴾ للدلالة على الاستمرار، وأنّ هذا شأنهم.

٤ـ قال:﴿مِّنۡ ءَايَةٍ﴾ فجاء بمن الاستغراقية؛ ليشمل الإعراض عن جميع الآيات.

٥ـ أضاف الآيات إلى الرب المضاف إليهم﴿ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ ليبيّن سوء هذا الإعراض؛ لأنهم يعرضون عن آيات ربهم المتفضل عليهم بدل أنْ يشكروه.

٦ـ قوله تعالى: ﴿إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ﴾ فجاء باسم الفاعل ﴿مُعۡرِضِينَ﴾ ليدلّ على أنّ هذا هو وصفهم الثابت، ولو قال: إلا أعرضوا، بالفعل الماضي لفهم أنّ الإعراض حادث.

ولذلك جاء بـ (كان)؛ ليدل على أنّ الإعراض حاصل أصلاً، وهو ثابت فيهم ولم يحدث بعد هذه الآية.

٧ـ قدّم الجار والمجرور ﴿عَنۡهَا﴾ على اسم الفاعل؛ ليدل على أنّ الإعراض خاص بآيات ربهم، فهم لا يطيقون سماعها، بينما يسمعون غيرها، فكان التقديم للقصر إضافة إلى الفاصلة.

٨ـ هذه الآية مبنية على بيان أنّ إعراضهم مستمر، ويحصل كلما جاءتهم آية، ولا يفيد تعبير الشرط ذلك نصاً. ويسمى هذا التعبير بالاستثناء المفرغ فقولك: إنْ يأتني محمد أكرمته، يفيد أنك تكرمه عند زيارته، وهذا يكون صحيحاً ولو بمرة واحدة، بينما قولك: ما يأتيني إلا أكرمته، فإنه يفيد بإكرامك له كلما جاءك.

والله أعلم.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ المعنى العام أنه إذا طُلب منهم الإنفاق مما رزقهم الله امتنعوا واحتجوا أنّ طلبكم هذا مخالف لمشيئة الله وهو ضلال ظاهر.

٢ـ الظاهر أنّ المقصود بقوله: ﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ هو إطعام المحتاجين بدليل قولهم: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ إلا أنه أخرجه مخرج العموم في الطلب والخصوص في الجواب.

٣ـ استعمل ﴿وَإِذَا﴾ ولم يستعمل (إنْ) - كما في الآية السابقة- للدلالة على كثرة وقوع الحدث فعلاً.

٤ـ بنى الفعل ﴿قِيلَ﴾ للمجهول كما في الآية السابقة لأكثر من سبب :

آـ القائل معلوم وهم المؤمنون.

ب ـ المقصود هو المقول وليس القائل، ولذلك ينبغي النظر في القول الحق أياً كان قائله.

ج ـ لو ذكر القائل لظن أنّ هذا الموقف من الكفرة بسبب القائل، وربما لو تغير القائل لتغير الموقف.

٥ـ جاء بـ (من) التبعيضية للدلالة على أنه طلب منهم إنفاق جزء مما أنعم الله به عليهم وليس كل ما يملكون.

٦ـ أسند الرزق إلى الله، أي: أنّ الله هو الذي رزقكم وتفضل عليكم.

٧ـ قال: ﴿أَنفِقُواْ﴾ وهو عام ليشمل وجوه الخير كلها، وليشمل عموم الخلق مؤمنهم وكافرهم، فهو لم يقل: أنفقوا على المؤمنين، ثم بيّن المقصود بالإنفاق ههنا وهو إطعام المحتاجين.

٨ـ لّما أسند الرزق إلى الله بقوله: ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أسندوا الإطعام إليه فقالوا ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُۥ﴾ فكأنهم قالوا: الله الذي رزقنا هو الذي حرمهم.

٩ـ لم يذكر اللام في جواب (لو)؛ ذلك أنّ الإطعام سهل ميسور فلا يحتاج إلى توكيد. والملاحظ في القرآن أنّ منزوع اللام من جواب (لو) أقل توكيداً مما ذكرت فيه اللام.

* شواهد قرآنية :

ـ ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ جاء باللام؛ لأنّ الهداية صعبة.

ـ ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ جاء باللام؛ لأنّ عملية المسخ صعبة.

ـ ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ﴾ لم يذكر اللام؛ لأنّ الإهلاك أسهل من الهداية.

ـ ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُۥ﴾ لم يذكر اللام؛ لأنه مقدور عليه من كثير من الناس.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ .

١ـ الضلال على قسمين: خفي وظاهر، وهنا وصف الضلال بالمبين لأنه لا يخفى على أحد.

٢ـ أخرج الكلام على جهة القصر: أي لستم إلا في الضلال.

٣ـ نفى بـ ﴿إِنْ﴾ ولم ينف بـ (ما)؛ لأنّ (إنْ) آكد في النفي من (ما).

٤ ـ قال: ﴿فِى ضَلَـٰلٍ﴾ فاستعمل (في) وهو حرف يفيد الظرفية، أي: مغمورون في الضلال.

وعادة يستعمل القرآن الحرف (على) مع الهداية، والحرف (في) في الضلال.

والله أعلم.

❊❊❊❊

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ المعنى: متى يوم القيامة الذي تحذروننا منه إنْ كنتم صادقين في قولكم؟

٢ـ قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ﴾ بالفعل المضارع؛ ليدل على استمرارهم على هذا القول، ولم يقولوا ذلك مرة واحدة، وإلا استعمل الفعل الماضي.

٣ـ قولهم: ﴿مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ وكلمة الوعد تستعمل في البشارة على خلاف الوعيد، وعجيب منهم أنْ ينكروا الوعد وهو في صالحهم.

﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ معنى النظر هنا هو وقوع الشيء من غير ترقب، فلا يرونه إلا واقعاً.

٢ـ فإنْ قيل: هم ما كانوا ينتظرون الصيحة، بل كانوا يجزمون بعدمها فالجواب أنّ الانتظار فعلي؛ لأنه لا بدّ من وقوعها فجعلوها كأنهم ينتظرونها.

٣ـ قال: ﴿يَنظُرُونَ﴾ ولم يقل: ينتظرون، والأولى يرون الأمر واقعاً من غير ترقب ولا توقع، بينما (ينتظرون) فيها ترقب وقوع الأمر.

ثم إنّ بناء (انتظر) أطول من (نظر)، وذلك يدل أيضاً على زيادة الانتظار.

وهنا الكلام عن اليوم الآخر، وهو يأتيهم من غير ترقب أو توقع، فاختار ﴿يَنظُرُونَ﴾ إضافة إلى الفزع الأكبر الحاصل مع الغافل عن الشيء أكثر ممن ينتظر الشيء.

٤ـ ذكر القرآن الصيحة مع أصحاب القرية وهنا في الآية، وكلا الصنفين لم يتق مابين يديه وما خلفه، فلم يرحمه ربه وأخذته الصيحة.

٥ـ قال في أصحاب القرية: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ بالفعل الماضي؛ لأنّ الصيحة قد وقعت، فقال بعدها: ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾، بينما استعمل هنا الفعل المضارع؛ لأنها لم تقع بعد فقال بعدها: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾.

٦ـ قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ أي يختصمون في أمور الدنيا و﴿يَخِصِّمُونَ﴾ فيها، أبدل التاء صاداً وضعّفها وكسر الخاء لالتقاء الساكنين فصار ﴿يَخِصِّمُونَ﴾.

٧ـ ذكر أنّ الصيحة واحدة؛ لأنهم لا يحتاجون إلى أخرى، فالصيحة الواحدة تأخذهم جميعاً فلا حاجة إلى ثانية.

أمّا الصيحة الثانية فهي لجمعهم عند رب العالمين.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾

١ـ قال إنهم لا يستطيعون التوصية، ولم يقل: فلا يوصون؛ لأنّ نفي الاستطاعة أبلغ؛ ولأنّ نفي التوصية لا ينفي الاستطاعة، بينما نفي الاستطاعة ينفي التوصية.

٢ـ نكّر التوصية؛ لأنه أراد العموم فهم لا يستطيعون أنْ يوصوا أية توصية مهما كانت.

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ نفى الرجوع إلى الأهل وأثبت الرجوع إلى غيرهم وهو الله، أي لا يرجعون إليهم بل إلينا. والإنسان يتمنى أنْ يموت بين أهله، وهؤلاء لا يستطيعون أنْ يبلغوا أهلهم بشيء ولا أنْ يعودوا إليهم، فحرموا من الأمنيتين كلتيهما.

٤ـ قدّم الفعل ﴿يَسۡتَطِيعُونَ﴾ على المفعول به﴿تَوۡصِيَةٗ﴾ وأخّر الفعل﴿يَرۡجِعُونَ ﴾ عن الجار والمجرور ولم يجعلهما في نسق واحد والسبب :

أ ـ لوقال: (فلا توصية يستطيعون) لنفى الاستطاعة بالتوصية ولكنْ قد يستطيعون غيرها، بينما في الآية نفى التوصية ولم يثبت غيرها فكان النفي أعم وأشمل.

ب ـ ولو قال: (ولا يرجعون إلى أهلهم) لنفى الرجوع إلى الأهل ولم يثبت الرجوع إلي الله، بينما في الآية أراد إثبات الرجوع إليه.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما اللمسة البيانية في كلمتي يخصّمون ويسّمعون؟

الجواب :

١ـ (يخصّمون): أصلها يختصمون، فقد أبدل التاء صاداً وأدغم، وهذا إبدال وإدغام جائز من حيث التكوين الصرفي.

(يسّمعون): أصلها يستمعون صار فيها إبدال أيضاً. هذا من حيث التكوين الصرفي، ويبقى من حيث التكوين البياني.

٢ـ ذكرنا أنّ (يتفعلون) التي هي الأصل أطول و(يفعّل) فيها مبالغة؛ لأنّ فيها تضعيفين، وهذا من حيث الزمن أطول من (يتفعل) وهذه فيها مبالغة في الحدث؛ لأنّ فيها إدغاماً (يخصّمون، يسّمعون).

٣ـ لماذا قال﴿وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ﴾؟ الكلام عن الساعة ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ٤٩﴾ [يس:٤٩] تأخذهم وهم يخصّمون، أي وهم منهمكون في أمور الدنيا وفي الخصومة في الدنيا، لكنها لا تنقضي الخصومات فتأخذهم رأساً قبل أنْ تنتهي الخصومات بينهم؛ لأنه في حديث الساعة أنها تقوم فلا يرفع من يأكل اللقمة إلى فيه، والمتبايعان تأخذهما الساعة قبل إنهاء البيع. إذن توجد مبالغة في الاختصام في الدنيا بشكل شديد فاستعمل: ﴿وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ﴾.

بينما قال في مكان آخر: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ٣١﴾ [الزُمَر:٣١] لم يقل: (تخصّمون)؛ لأنّ هذه فيها إقامة حجة وقضاء وسماع كلام القاضي، فهي مسألة طويلة، فجاء بالفعل الكامل (تختصمون).

٤ـ كذلك قوله تعالى: ﴿يَسَّمَّعُونَ﴾ فيها مبالغة﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ٨﴾ [الصافات:٨]يعني يريدون أقصى التسمع في أقصر وقت، فقال (يسّمعون)؛ لأنّ تسّمع يحتاج إلى وقت طويل، وهم يريدون الوقت القصير.

والله أعلم.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا
مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ أي في البوق الذي ينفخ فيه إسرافيل وهذه هي نفخة البعث، وتسبقها نفخة الصعق، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾.

وجاءت بصيغة الماضي لتحققها.

٢ـ فإن قلت: النفخة واحدة، فكيف تميت الأولى وتحيي الثانية؟

الجواب: النفخة في الصور هي علامة فقط للحدث، أمّا الفاعل على الحقيقة فهو الله سبحانه وتعالى، فهو الذي يميت في الأولى ويحيي في الثانية.

٣ـ ﴿ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾ هي القبور، وقوله: ﴿يَنسِلُونَ﴾ أي: يسرعون، وأصلها من نسل الثوب أي خرجت الخيوط عن أماكنها.

٤ـ قوله: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ هم يقولونها لأنفسهم، فهم يعترفون أنّ الموت كان مجرد مرقد، والمرقد لا بدّ بعده من يقظة. وعندها يُرد عليهم: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾أي: وصدق المرسلون في البلاغ عن الله.

٥ـ حياة البرزخ إلى حياة الآخرة هجعة، كأنّ البرزخ كان حلماً بالنسبة لاستيقاظة الآخرة، كالمستيقظ من النوم كان يرى كابوساً، فحياة البرزخ إلى الساعة كالرقاد.

وقيل: إنّ بين النفختين يهجع الموتى في قبورهم وينامون، فإذا نفخ الثانية استيقظوا من رقادهم.

٦ـ قال في يس ٥١ ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ وقال في الزمر ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزُّمَر:٦٨] ولا منافاة بين الآيتين لجواز اجتماع القيام والنظر والمشي، فالقيام لا ينافي المشي السريع، ولا ينافي النظر.

٧ ـ عبّر عن الحدث بالماضي، فقال: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ للدلالة على أنه محقق الوقوع بمنزلة ما حدث في الماضي.

٨ـ ثم قال: ﴿فَإِذَا﴾ فجاء بالفاء مع (إذا) الفجائية؛ ذلك أنّ الفاء للترتيب والتعقيب، أي عقب النفخة الثانية يخرجون من دون تلبث من قبورهم وينسلون إلى ربهم؛ ولهذا لم يأت بـ (ثم) مع (إذا) الفجائية.

٩ـ قدّم ﴿مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ وهو مبدأ النسلان، ثم ذكر بعده ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ وهو انتهاء الغاية.

١٠ـ كما قدّم الجارين والمجرورين على الفعل للاهتمام والقصر، وهو أمر عجيب أنْ يخرج الميت من قبره بعد أنْ كان عظاماً نخرة مسرعاً إلى غاية مرسومة له.

١١ـ ذكر أنّ إسراعهم إنما هو إلى ربهم الذي هو مالك أمرهم، فهم ينسلون إلى ربهم حصراً.

١٢ـ واختيار لفظ ﴿رَبِّهِمْ﴾ أنسب شيء؛ ذلك أنّ الخارجين من الأجداث قسمان:

أ ـ قسم أطاع ربه فهو ذاهب إليه وهو الأرحم به، كما يلتجىء العبد إلى سيده.

ب ـ وقسم عصى ربه الذي أحسن إليه، وشر الإساءة أنْ تسيء إلى من أحسن إليك، فهي شر إعادة وأسوأ رجعة.

﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾

١ـ الويل هو الحزن والعذاب والهلاك والمشقة. والمعنى: ياويلنا احضر فهذا أوانك؛ لأنّ الأمر فوق ما نحتمل وفوق ما نتصور، ولا نستطيع دفعه.

٢ـ قال: ﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا﴾، ولم يقل: يقولون ياويلنا؛ وذلك حتى لا يكون القول حالاً للنسلان، في حين أنّ القول هو في ابتداء بعثهم من القبور.

٣ـ إذا تتبعنا مواطن استعمال (الويلة) في القرآن لوجدناها كلها في مواطن الفضيحة، كما في الآيات:[هود ٧٢ـ الكهف ٤٩ـ المائدة ٣١ـ الفرقان ٢٨].

بينما ورد (الويل) في القرآن بمعنى العذاب والحزن، كما في الآيات: [الأنبياء ١٤ـ الأنبياء ٩٧ـ يس ٥٢ـ الصافات ٢٠ـ القلم ٣١].

٤ـ المرقد: يحتمل المكان ويحتمل المصدر أي الرقاد. وهو هنا بمعنى الرقاد. أي تكون ضجعة القبر كالنوم بالنسبة إلى اليقظة، فيكون البعث يقظة والرقاد في القبر كالنوم.

وقال: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ ولم يقل: من أجداثنا؛ ليشمل المكان والمصدر فهم قد بعثوا من الأجداث وبعثوا من رقدة الموت.

٥ـ قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ قد يكون هذا الجواب من الملائكة أو من المؤمنين أو أنْ يكون كلام الكافرين، وقد حذف القائل؛ ليعم جميع الاحتمالات، ويشمل كل من يصح منه القول.

٦ـ هذا الرد ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ هو جواب لسؤالين قد ذكرا وهما:

أـ متى هذا الوعد إنْ كنتم صادقين.

ب ـ من بعثنا من مرقدنا.

٧ـ كلمة ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى المرقد أو إلى البعث.

٨ـ لفظة ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ تحتمل أنْ تكون اسماً موصولاً؛ أي: الذي وعده الرحمن، ويحتمل أنْ تكون مصدرية؛ أي: هذا وعد الرحمن، فجاء بـ (ما) ولم يأت بـ (الذي)؛ ليشمل المعنيين معاً.

٩ـ الوعد هنا رغم أنه إنذار بالشر الذي ينتظرهم إلا أنه في حقهم يسمى وعداً لا وعيداً؛ لأنّ التحذير من الشر قبل الوقوع فيه نعمة كبرى، كما تحذر ولدك من الرسوب إنْ لم يدرس، فالوعيد له هو عين النعمة؛ لذلك سمى وعداً لا وعيداً.

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ الواو تحتمل العطف، وتحتمل الحالية أي: وصدق المرسلون فيما أخبروا به.

١١ـ اختيار لفظ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ له أكثر من سبب:

أ ـ إذا كان قول المؤمنين فإنهم آثروا اسم الرحمن؛ لأنّ هذا وقت رحمته التامة بهم؛ ليدخلهم في رحمته.

ب ـ وإذا كان قول الكافرين، فإنهم آثروا اسم الرحمن طمعاً في رحمته.

ج ـ تردد اسم الرحمن في السورة أربع مرات في الآيات :

[١١ـ١٥ـ٢٣ـ٥٢] وجو الرحمة شائع فيها، كما في الآيات: [٥ـ٥٨ـ٤٤ـ٤٥] فناسب ذكر اسم (الرحمن).

مع ملاحظة أنّ اسم (الرحمن) كثيراً ما يذكر في القرآن الكريم في مشاهد الآخرة.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين ما أسند الوعد فيه إلى الله وما أسند إلى الرحمن؟

الجواب:

١ـ نلاحظ في القرآن الكريم أنّ كل سورة أسند فيها الفعل الماضي ﴿وَعَدَ﴾ إلى ﴿ٱللَّهُ﴾ لم يذكر فيها اسم (الرحمن) وإنْ كانت طويلة، وذلك في عشر سور من القرآن، كسورة النساء والمائدة والتوبة وغيرها.

٢ـ وكل سورة أسند الفعل ﴿وَعَدَ﴾ إلى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ تكرر اسم (الرحمن) في السورة، وهذا في سورتي يس ومريم. وقد تكرر اسم الرحمن في يس ٤ مرات وفي مريم ١١ مرة.

٣ ـ والفرق بين ما أسند الوعد فيه إلى الله وما أسند إلى الرحمن أنه فيما أسند الوعد فيه إلى الله فهو للمؤمنين أو للكافرين، فيقول مثلاً: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ و ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ﴾.

وأمّا ما أسند الوعد فيه إلى الرحمن، فهو وعد عام يشمل عموم العباد وذلك تحقيقاً للرحمة التي يحققها اسم الرحمن، كما قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾فقد ذكر أنه وعد عباده على الإطلاق، مع أنّ المقصود بعباده هؤلاء من تاب وآمن وعمل صالحاً.

والله أعلم.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين القبر والجدث؟

الجواب :

١ـ وردت كلمة (الأجداث) في القرآن الكريم ثلاث مرات وكلمة القبور مفردة أو جمعاً ثماني مرات.

٢ـ كلمة القبر عامة تستعملها العرب وقبائل اليمن، وأمّا كلمة (الجدث) فكانت تستعملها قبيلة هذيل وتميم، وكانتا تعيش في وسط الجزيرة وأرضهم رملية.

٣ـ حرف الثاء في جدث وأجداث فيه تصور النفخ والنفث، ويناسب صوت تشقق القبور في الأراضي الرملية يوم القيامة وما يصاحبه من انتشار الرمال في الجو والحركة والاضطراب والإثارة.

ولفظة (الجدث) قريبة من لفظة (جَدَثة)، وهو صوت الحافر والخف ومضغ اللحم.

أمّا القبر فتشققه فيه شدة لكنْ بدون ضوضاء.

٤ـ لذلك نجد أنّ القرآن استعمل الأجداث فقط لبيان مشاهد يوم القيامة حيث صوت خروج الموتى من الأجداث مُسرعين شبيه بصوت الحافر والخف عند السير والعَدو. بينما استعمل القبر والقبور في الدنيا والآخرة ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾. ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾.

٥ـ من معاني (الجدثة) مضغ اللحم، فكأنّ المعنى أنهم يخرجون بعدما أكلتهم الأرض ومضغت لحومهم، وليس في القبور مثل هذا المعنى.

معاني آيات الأجداث :

آية يس٥١ : يعني جماعات جماعات ينسلون ويتجهون في الخروج.

آية القمر٧: فيها الانتشار وسرعة الحركة كأنهم الجراد المنتشر.

آية المعارج٤٣ : مشهد متحرك مثير من مشاهد يوم القيامة.

السؤال الرابع :

هناك كلمات أخرى مرادفة للقبر مثل: (لحد ـ ريم ـ رمس)، لكنها لم ترد في القرآن الكريم. فما اللحد؟

الجواب :

القبر :

هو بيت الجثة باعتبار عمقه، وكل شيء يدفن عميقاً يسمى قبراً (عبس ٢١).

الجدث:

هو القبر الذي صار عمقه ذاهباً بفعل الزمن (يس ٥١) وجمع جدث أجدُث وأجداث.

اللحد:

هو الجزء من القبر الذي توضع فيه الجثة بشكل مائل. والإلحاد هو الميل عن التوحيد. فالقبر عميق والجزء المائل منه هو اللحد، وتقال كلمة (ضريح) عندما يكون اللحد في الوسط.

والقبر قبران:

قبر دنيوي: وهو مقر الجسد الفاني الطيني فيتحلل ويعود إلى عناصره الأولى.

وقبر برزخي: وهو مكان مستقر الأرواح قبل خلق آدم وبعد الموت والعذاب يكون في القبر البرزخي. والله أعلم.

السؤال الخامس :

قوله تعالى في الآية: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا﴾ ما دلالة الاستفهام بـ(من) أو (متى)؟

الجواب :

متى :

للسؤال عن الزمان، نحو: متى السفر؟ وقد يخرج عن الاستفهام الحقيقي إلى معان أخرى كالاستبطاء: متى يعود أبي؟ والاستبعاد كقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [يونس:٤٨].

مَن :

للسؤال عمن يعقل، نحو: من حضر؟ فتقول: خالد. وقد تخرج عن معنى الاستفهام إلى معان أخرى أشهرها :

١ـ النفي ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:١٣٥].

٢ـ الدهشة والعجب ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس:٥٢].

٣ـ الإلزام ﴿مَنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

٤ـ التشويق والترغيب ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة:٢٤٥].

٥ـ قد تلحقها (ذا) فتكون (من) اسم استفهام و (ذا) اسم إشارة.

وقد تكون (من) اسم موصول، نحو: من ذا أكرمت أمحمد أم خالد؟

وقد تكون كلمة واحدة مركبة بمعنى (من)، نحو: من ذا أكرمت أمحمداً أم خالداً؟

إذا قرن اسم الإشارة بهاء التنبيه كان أقوى وآكد؛ وذلك لأنّ فيه زيادة تنبيه، نحو قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾ [المُلك:٢٠].

٦ـ مما تقدم يتبين أنّ مراحل التعبير من حيث قوته وتأكيده تتدرج حسب التالي:

من فعل؟

من ذا فعل؟

من ذا الذي فعل؟

من هذا الذي فعل؟

﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ أي ما كانت النفخة المذكورة في الآية السابقة ٥١ إلا صيحة واحدة فإذا هم مجموعون محضرون لدى رب العزة.

٢ـ جاء بالفاء وإذا الفجائية للدلالة على مفاجأة الجمع والإحضار بعد الموت؛ لأنّ الفاء تدل على الحدث بلا تراخ، وإذا تفيد المفاجأة واجتماعهما يدل على المفاجأة والسرعة.

٣ـ ومعنى ﴿جَمِيعٌ﴾ أي مجموعون ، ولكنه لم يقل: مجموعون، كما قال في [الواقعة ٥٠ـ وهود ١٠٣]، وهي قوله تعالى :

ـ ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة:٥٠].

ـ ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾ [هود:١٠٣].

والسبب أنّ كلمة (جميع) تأتي بمعنيين:

أـ بمعنى مفعول: أي مجموعون.

ب ـ بمعنى مجتمعين.

وبيان ذلك :

أولاً: جاء بـ﴿مُحۡضَرُونَ﴾؛ ليدل على أنّهم مجموعون لا مجتمعون أي لم يجتمعوا بخيارهم، وأمّا كلمة (مجموعون) فهي تدل تنصيصاً على اسم المفعول، أي جُمعوا جمعاً؛ ولذا لم يحتج إلى نحو: محضرون.

ثانياً: وكلمة (جميع) على وزن فعيل، وهي بمعنى مفعول، كما تقول: قتيل، وهو مقتول.

لكنّ صيغة (فعيل) لا تقال إلا لما وقع، كقولك: قتيل، لمن قتل، وأمّا صيغة (مقتول) فتقال لمن قتل ولمن سيقتل؛ أي أنّ :

أـ صيغة (فعيل) تقال لما وقع فعلاً، كما في هذه الآية التي تتحدث عما وقع من أحداث يوم القيامة، فقال: ﴿جَمِيعٌ﴾.

ب ـ صيغة (مفعول) تحتمل الحال والمستقبل، كما في آيتي الواقعة وهود فإنهما في سياق المستقبل، فجاء بهما على صيغة مفعول، فقال: ﴿لَمَجۡمُوعُونَ﴾.

٤ـ وقوله: ﴿لَّدَيۡنَا﴾ يدل على الحضور والقرب، وهو أخص من (عندنا) فإنّ (عند) قد تكون للحاضر والغائب.

٥ـ وتقديم ﴿لَّدَيۡنَا﴾ يدل على القصر، أي محضرون إلينا لا لدى غيرنا.

والله أعلم.

﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ المقصود باليوم هو يوم القيامة، وفيه يُحضر الجميع للحساب، ولا تظلم فيه نفس شيئاً.

٢ـ نكّر﴿نَفْسٌ﴾ ليشمل كل نفس بَرَّة كانت أو فاجرة، فالتنكير أفاد العموم.

٣ـ نفى الظلم على الإطلاق، كما قال تعالى:﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾.

٤ـ قوله تعالى: ﴿شَيْـًٔا﴾ يحتمل معنيين :

أـ المصدرية: بتقدير: لا تظلمون شيئاً من الظلم، وإنْ قل.

ب ـ المفعول به بتقدير: لا تظلمون شيئاً من الأشياء.

وكلا المعنيين مراد، فلا تظلم نفس شيئاً من الظلم، ولا شيئاً من الأشياء ولذا أطلق كلمة﴿شَيْـًٔا﴾، ولم يقيدها.

٥ـ قوله تعالى:﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قيل فيه :

أـ هو خطاب للكافرين؛ ذلك أنّ المؤمن يجزى أضعاف ما كان يعمل وأمّا الكافر فلا يجزى إلا ما كان يعمل.

ب ـ وقيل إنّ الخطاب عام؛ لأنّ المقصود به الجنس، بمعنى أنّ الجزاء من جنس العمل إنْ خيراً فخير وإنْ شراً فشر.

٦ـ الفاء في قوله: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ﴾ هي للتعقيب؛ أي يجمعون في يوم القيامة للحساب والجزاء مباشرة.

٧ـ قال: ﴿وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ولم يقل: عين ما كانوا يعملون والسبب أنّ:

أـ المراد أنّ الجزاء من جنس العمل، فإنّ (ما) غير راجعة إلى الخصوص، وإنما هي للجنس.

ب ـ هو أنكم تجزون بمقدار ما كنتم تعملون.

والأرجح أنّ الخطاب في عموم الخلق، وأنه يعني أنّ الجزاء من جنس العمل باستثناء المؤمنين، فإنّ جزاءهم أكبر من عملهم فضلاً من الله ورحمة منه.

وبيان ذلك :

أولاً:

القرآن يستعمل الباء مع الجزاء للمؤمنين والكافرين، كما في قوله تعالى:

﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴿٣١﴾﴾ فكلاهما جعل جزاءه بالباء.

ثانياً :

يستعمل مع الكافرين أنه يجزيهم بما عملوا، كما في قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الأعراف:١٤٧].

ـ ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف:١٨٠].

ـ ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٠﴾ [النمل:٩٠].

ـ ﴿ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٦﴾ [الطور:١٦].

ـ ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٥٤﴾ [يس:٥٤].

ثالثاً :

يستعمل مع المؤمنين، فيذكر أنه يجزيهم بالحسنى وليس بما عملوا، كما في قوله تعالى :

ـ ﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢١﴾ [التوبة:١٢١].

ـ ﴿لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾ [النور:٣٨].

فاتضح الفرق بين التعبيرين. والله أعلم.

❊❊❊❊

﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ٥٥ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ٥٦ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ٥٧﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

الآية: ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ٥٥﴾.

١ـ قد يكون هذا الكلام موجهاً للكافرين زيادة في حسرتهم، وقد يكون كلاماً جديداً وإخباراً عن أصحاب الجنة ونعيمهم لنقتدي بسيرتهم، وقد يراد المعنيان.

٢ـ نكّر (شغل) ههنا، ولا يحسن التعريف؛ لأنّ الشغل غير معلوم ولا معروف، وإنما هو شغل آخر، يكفي أنْ يقال: إنهم فاكهون فيه.

٣ـ التعبير يحتمل عدة معان: أنهم في شغل، أنهم فاكهون على العموم سواء كان ذلك في الشغل أم في غيره، أنهم فاكهون في الشغل.

ومعنى (فاكهون) أي متنعمون ومتلذذون بما يحصل لهم.

٤ـ قدّم ﴿فِي شُغُلٍ﴾ على ﴿فَٰكِهُونَ﴾ للاهتمام.

الآية: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾

١ـ هم مبتدأ وما بعده خبر بتقدير كلام جديد مستأنف للإخبار عن أصحاب الجنة.

٢ـ ويحتمل ﴿هُمْ﴾ تأكيد للضمير المستتر في (فاكهون) بتقدير: إنّ أصحاب الجنة في شغل فاكهون هم وأزواجهم.

٣ـ ثم أخبر عنهم جميعاً بأنهم في ظلال على الأرائك متكئون.

٤ـ قدّم ﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ على ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾ كما قدّم الشغل على (فاكهون) في الآية السابقة، فقابل بين الشغل ومكانه، وبيّن حالتهم في الموطنين، علاوة على مراعاة الفاصلة.

الآية: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾

١ـ معنى ﴿يَدَّعُونَ﴾ يطلبون.

٢ـ قدّم ﴿لَهُمْ﴾ على ﴿فِيهَا﴾ وأخّر الفاكهة؛ وذلك لأنّ الكلام عنهم. نظير قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل:٣١].

٣ـ قال هنا : ﴿يَدَّعُونَ﴾ وقال في مكان آخر: ﴿مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ﴾ والفرق بينهما أنّ ما تدعيه هو ما تطلبه بالقول، بينما ما تشتهيه هو ما تريده النفس سواء طلبته أم لم تطلبه.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما دلالة استعمال الوصف ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾ لأهل الجنة خاصة؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الكهف٣١.

السؤال الثالث :

ما معنى الظل في الجنة حيث لا شمس فيها وإنما يكون الظل حيث تكون الشمس؟

الجواب:

ظل أشجار الجنة من نور العرش؛ لئلا تبهر أبصار أهل الجنة فإنه أعظم من نور الشمس، وقيل من نور قناديل العرش.

وفرّق أهل اللغة بين الفيء والظل، فقالوا: الفيء ماكان بالعشي أي بعد الظهر؛ لأنه الذي نسخته الشمس، والظل ما كان بالغداة؛ لأنه لم تنسخه الشمس. وفي الجنة ظل وليس فيء؛ لأنه لا شمس فيها، قال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الواقعة:٣٠].

وأنشدوا :

فلا الظل من برد الضحى يستطيعه   ولا الفيء من برد العشي يذوق

السؤال الرابع :

كرر﴿فِيهَا﴾ في فصلت ٣١ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيَ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ولم يكررها في يس ٥٧، فما الفرق؟

الجواب :

١ـ آية فصلت الكلام فيها قبل دخول الجنة، وهو عند الموت عندما تتنزل عليهم الملائكة تبشرهم بالجنة، فكرر (فيها) ليعلمهم أنّ كلا الأمرين في الجنة، ولو قال: ولكم ما تدعون، بدون (فيها) لاحتمل أنْ يكون ذلك قبل دخول الجنة عند الخطاب، فأعلمهم أنّ ذلك إنما يكون في الجنة.

٢ـ أما آية يس فالكلام فيها عمن في الجنة، فلم يكرر لأنهم فيها، فلا يحتاج إلى ما كرر في فصلت.

٣ـ قال في يس: ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾، وقال في فصلت ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيَ أَنفُسُكُمْ﴾والسبب أنّ آية يس في أصحاب الجنة عموماً، وأمّا آية فصلت فهي في صنف معين من أهل الجنة وهم ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾وهؤلاء أعلى منزلة من عدد غير قليل من أهل الجنة؛ لأنهم استقاموا على الشريعة واستمروا على ذلك، وليس كل أهل الجنة كذلك، فإنّ منهم من لم يلتزم كل حياته، ولكنه دخل الجنة تفضلاً منه سبحانه.

فقال في الذين استقاموا ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيَ أَنفُسُكُمْ﴾ فكان الجزاء أعلى من مجرد الفاكهة؛ لأنّ الفاكهة ليست إلا جزءاً مما تشهيه النفس.

٤ـ قال في يس ﴿يَدَّعُونَ﴾وفي فصلت ﴿مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ﴾ والفرق بين (ما تدعي) و (ما يشتهون) هو أنّ ما تدعيه؛ أي ما تطلبه بالقول، وأمّا ما تشتهيه فهو ما تريده النفس، سواء طلبته أم لم تطلبه.

والله أعلم.

❀❀❀❀

﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ المعنى: أي سلام حالة كونه من رب رحيم، وليس بلاغاً عن الله من أحد. واختار هنا لفظ الربوبية التي تقتضي أنّ المربي يحب المربَّى، فما بالك إذا وصفت الربوبية بالرحمة﴿مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾.

والسلام من الله تعالى هو السلام المطلق الذي يحميك من كل جوانبك، فلا ينفذ إليك شيء يضرك.

٢ـ السلام هو التحية ويحتمل أن يكون معنى (سلاماً) أي: خالصاً لهم لا شوب فيه.

٣ـ قد تقول: ولِمَ لمْ يقل: سلام عليكم، والجواب أنه لم يقل ذلك ليشمل المعنيين: التحية وأنه خالص لهم.

السؤال الثاني :

قال هنا في يس ٥٨ : ﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ وقال في فصلت ٣٢: ﴿ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾ فما الفرق؟

الجواب :

أنّ آية يس فيمن هو في الجنة، وأنّ آية فصلت فيمن لم يدخلها بعد وإنما يبشر بها، فقال في فصلت: ﴿ نُزُلٗا﴾ ؛ لأنّ النزل ما هُيىء للضيف من طعام ومكان.

كما قال: ﴿مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾ فذكر المغفرة؛ لأنّ الحساب لم يحصل بعد وهم يخافون من ذنوبهم، فطمأنتهم الملائكة بقوله: ﴿مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾ .

أمّا آية يس فهي في أهل الجنة وهم يتنعمون بها وقد انتهى الحساب وليس ثمة ذنوب ولا معاصٍ يرجون مغفرتها، فقال: ﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ فذكر (الرب)؛ لأنها الأنسب، فالرب هو المربي وهو متولي أمرهم يرعاهم ويكرمهم، ووصفه بالرحمة؛ لأنّ رحمته مما يحتاجون إليها دائماً والجنة هي مستقر رحمته، فلا تنقطع رحمته عنهم أبداً.

والله أعلم.

السؤال الثالث :

ما إعراب كلمة ﴿قَوۡلٗا﴾ في الآية؟

الجواب :

مفعول مطلق.

﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ المعنى العام: تميزوا أيها المجرمون عن المؤمنين وانحازوا بعيداً عنهم. وقيل إنّ المعنى: انفردوا أيها المجرمون بعضكم عن بعض، فيكون لكل كافر بيت من نار يكون فيه لا يرى ولا يُرى.

٢ـ ويبدو ـ والله أعلم ـ أنّ التمايز أول ما يكون بين المجرمين و المؤمنين ثم يكون بينهم فيما بعد، فيجمع الله عليهم عذاب النار وعذاب الفرقة والوحدة، بخلاف المؤمنين، فيتنعمون بنعيم الجنة ونعيم الاجتماع.

❊❊❊❊

﴿ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ كأنّ سائلاً يسأل: وهل يستحق الكفارُ كل هذا العذاب وهذا الغضب من الله تعالى؟

فيجيب الحق: نعم يستحقون؛ لأنّ الله نبههم وحذّرهم من مداخل الشيطان وبيّن عداوته للإنسان وعداوته المسبقة مع آدم عليه السلام منذ أنْ أُمر بالسجود فأبى.

ولم ينته أمره بذاك إنما أغوى آدم، وأراد أنْ ينتقم منه ومن ذريته من بعده ، بل وأقسم على ذلك أمام خالقه فقال بجبروت الإغواء كما حكى القرآن: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لكنه تذّكر عبوديته للرب الأعلى، فقال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾فهؤلاء لا مدخل لي إليهم، أي بمعنى أنّ الخصومة ليست بيني وبينك يارب، وإنما هي بيني وبين بني آدم.

٢ـ سحرة فرعون عندما أقسموا قالوا: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾أمّا إبليس فيعرف جيداً كيف يقسم، فقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ يعني: باستغنائك عن خلقك ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ وهذا هو الباب الذي سأدخل منه إليهم، أمّا من تريده أنت يارب، فلا أستطيع أن أقترب منه.

٣ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ﴾ يعني آمركم أنْ تحذروا مكايد الشيطان وشباكه وخططه.

٤ـ قوله تعالى: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ أي: طاعة نزغاته ووسوسته والعلة في ذلك ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ أي عدو بيّن العداوة.

٥ـ بعد أنْ نهانا الله عن عبادة الشيطان وجهنا إلى العبادة الحقة، فقال: ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

ونلاحظ أنّ القياس بعد ذكر عدواة الشيطان أنْ يذكر مثلاً: لأنني حبيبكم كما جاء في الحديث القدسي « **يا ابن آدم أنا لك مُحِب فبحقي عليك كن لي محباً** » لكنّ الله سبحانه لم يعُلل عبادته بالمحبة، إنما علّل أنْ اعبدوني لأني أدعوكم إلى الصراط المستقيم النافع

لكم في حياتكم وأخراكم، فينبغي اتباع هذا الصرط سواء كنت أحبكم أو لا، لأنكم أنتم المستفيدون من ذلك.

٦ـ الصراط المستقيم هو الطريق العَدل الذي لا اعوجاج فيه وأقصر مسافة بين نقطتين، وهما الدنيا والآخرة.

السؤال الثاني :

ما نوع العداوة بين إبليس والبشر؟

الجواب :

هي عداوة عامة لا تنحصر بشيء، فتشمل :

١ـ التحريش بين المؤمنين وإثارة الفتن: [يوسف ٥ـ٤٢ الإسراء ٥٣].

٢ـ الإغواء لفعل المعاصي للعبد حتى يورده موارد التهلكة؛ وحتى يُدخله النار في الآخرة: الحج٤.

فالعداوة عامة لا تنحصر في شيء.

السؤال الثالث :

ما اللمسات البيانية في الآيتين؟

الجواب :

١ـ بعد أنْ خاطب المجرمين وأمرهم بالانفراد خاطب عموم بني آدم وذكّرهم بما عهد إليهم من ترك عبادة الشيطان، وأمرهم بعبادة الله وحده لأنّ عاقبة المجرمين تلك كانت بسبب عبادة الشيطان وعدم طاعة الله.

٢ـ ومعنى ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ﴾أي: ألم أوص.

٣ـ العهد والوصية متقاربان، لكنّ العهد أقوى من الوصية، والعهد بمعنى الموثق واليمين.

كما أنّ العاهد هو صاحب الشأن، وأمّا الموصي فقد يوصي بشيء من باب النصح، كما تقول لصديقك: أوصيك باستشارة فلان، بخلاف ما لو قال: أعهد إليك أمر فلان.

٤ـ ومعنى عهد إليه: كلفه وحمّله الأمر وجعله مسؤولاً عنه.

٥ـ ولم يسند فعل (العهد) في القرآن إلى غير الله تعالى، كما في الآيات: [البقرة ١٢٥ـ طه ١١٥ـ آل عمران ١٨٣].

في حين أسند فعل (الوصية) إليه وإلى غيره، كما في الآيات:[البقرة ١٣٢ـ النساء ١٢ـ النساء ١٣١].

٦ـ وهنا أسند الله هذا العهد إلى نفسه لأهمية هذا الأمر؛ وليحملوه محمل الجد والطاعة والعمل به على أتم وجه.

﴿أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾

١ـ أي لا تطيعوه فيما يوسوس به إليكم ويزينه في قلوبكم.

٢ـ عبّر عن ذلك بالعبادة لا بالطاعة؛ لأنّ الطاعة قد تكون عن طريق الإكراه، بينما العبادة تعني الطاعة مع الاستسلام والانقياد للأمر والتذلل.

٣ـ عبادة الشيطان لا تختص بالسجود له أو تعظيمه، وإنما بتنفيذ مقاصده واتباع خطواته، فكل ذلك عبادة له، وكل عبادة لغير الله إنما هي عبادة للشيطان، كما في قوله تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾ [مريم:٤٢].

﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ ﴾ [مريم:٤٤].

﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾

١ـ هذا تعليل للنهي، فإنّ ذلك يوجب الابتعاد منه لا عبادته وطاعته.

٢ـ العدو قسمان: ظاهر في عداوته، ومخفٍ لها. والعداوة قسمان: ظاهرة وخفية.

والشيطان عدو ظاهر العداوة ومظهر لها غير مخفيها، وقد أظهر هذه العداوة وذكرها لربه صراحة، فقال: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف:١٦-١٧]. وقال: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾ [النساء:١١٩].

فكيف يتعبد من دون الله مع كل ذلك؟

٣ـ قدّم الجار والمجرور ﴿لَكُمْ﴾ على ﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ وذلك لغرض الاختصاص، فهو عدو لنا خاصة وكل همه أنْ يضلنا ويبعدنا عن طاعة ربنا.

ولو قال: (إنه عدو مبين لكم) لأظهر الإبانة، أمّا العداوة فليست نصاً، بل ربما كانت لنا أو لغيرنا.

﴿وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١﴾

١ـ كانت العلة في النهي عن عبادة الشيطان ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ وكان القياس بعدها (وأنْ اعبدوني لأنني حبيبكم) كما جاء في الحديث القدسي «**يا ابن آدم أنا لك محب فبحقي عليك كن لي محباً**».

لكنّ الحق سبحانه لم يُعلل عبادته بالمحبة، وإنما اعبدوني لأني أدعوكم إلى الصراط المستقيم النافع لكم المنظم لحياتكم، ومن صالحك اتباع هذا الصراط المستقيم؛ لأنك المستفيد منه بغض النظر عن المحبة وجدت أم لا.

٢ـ وصف الطريق بالاستقامة؛ لأنّ الاستقامة هي المطلوبة، وقيل إنّ التنكير للمبالغة، بمعنى أنّ الصراط بالغ في استقامته.

والإنسان لا بدّ له من الصراط المستقيم يسير على وفقه في حياته الدنيا لئلا يشقى، وليفضي به إلى الجنان في الآخرة عند الرحمن الرحيم.

بمعنى أنّ الإنسان لا بد له في حياته من طريق ومنهج، فإنْ لم يكن هو منهج الله كان طريق الشيطان الذي فيه الهلاك؛ ولأنّ عبادة الله وطاعته تفسد إذا داخلتها عبادة الشيطان وطاعته، وعبادة الله لا تؤتي ثمرها إلا بترك عبادة الشيطان

٣ـ وبالنظر إلى الآيتين: ٦٠ـ٦١ تدلان على أنّ فيهما تقديم النهي على الأمر، كما أنّ التخلية قبل التحلية.

و كذلك لتتصل عبادة الله بـ ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ لتدل على أنّ عبادة الله تعالى هي معروفة في الصراط المستقيم فقط.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الجِبِلّ: هو الخلق الكثير والأمة العظيمة. وتعني الآية أنّ الشيطان أضل خلقاً كثيراً، ثم وصفه مع ذلك بالكثرة؛ ليدل على المبالغة في الكثرة. فقوله: ﴿جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ معناه: الكثرة الكاثرة، ولو قال: (خلقاً كثيراً) لأفاد الكثرة دون المبالغة فيها.

٢ـ إن مادة (جبل) التي أُخذ منها لفظ (الجِبِل) تجمع ثلاثة معان :

أ ـ الكثرة.

ب ـ الغلظة والقساوة.

ج ـ القبح، فقولك: أنت جِبل. أي قبيح.

ولعلّ القرآن اختار هذه اللفظة دون (الخلق)؛ ليجمع هذه المعاني كلها ليدل أنّ هؤلاء الذين أضلهم الشيطان إنما هم عتاة غلاظ قساة القلوب كحجارة الجبال، متجبرون على خلق الله كتجبر الجبال على السهول المجاورة.

كما أنّ جرس الكلمة وبناءها يوحيان بالثقل، ثقل الضلال وثقل الغلظة وثقل القبح على النفوس.

٣ـ قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾ ولم يقل: تعلمون؛ لأنّ من كان عنده مسكة من العقل ابتعد عن طريق الشيطان وأخذ حذره منه، حتى ولو لم يكن عنده من العلم شيء، فإنّ وجود العقل كافٍ للابتعاد عن الضرر ومصدره.

٤ـ إسناد الإضلال إلى ضمير الشيطان؛ لأنه المباشر للإغواء.

٥ـ وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾ عطف على مقدّر يقتضيه المقام، أي كنتم تشاهدون آثار عقوباتهم، أفلم تكونوا تعقلون أنّ هذه العقوبات كانت بسبب ضلالهم فترتدعوا عما كانوا عليه، كيلا يحيق بكم العذاب الأليم كما لحق بهم، فأين كانت عقولكم؟ ؟

❁❁❁❁

﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب :

١ـ بعد أنْ ذكر الذين أضلهم الشيطان ذكر مآلهم وأوقفهم على شفير جهنم وقرّعهم قائلاً لهم: انظروا هذه جهنم التي كنتم توعدون فكذبتم بها واتبعتم الشيطان فاصلوها وقاسوا حرها.

ولذلك قال: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ﴾، ولم يقل (تلك) للدلالة على قربها، وهذا من صور التقريع المخيف.

٢ـ قال: ﴿جَهَنَّمُ﴾ باسمها العلم، ولم يقل: (النار)، كما قال في آية الطور ١٤: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾ لأنه سبقها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾ فذكر النار في الطور.

٣ـ قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ولم يقل: التي وُعدتم، للدلالة على استمرار الوعد وتطاوله، ولو قال: وُعدتم، لم يفد الاستمرار.

كما بنى الفعل ﴿تُوعَدُونَ﴾ للمجهول، ولم يذكر الواعد للدلالة على كثرة الواعدين وهم رسل الله والمبلغون عنهم.

٤ـ قال في يس٦٣: ﴿تُوعَدُونَ﴾، وقال في الطور١٤: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ لأكثر من سبب :

أ ـ سبق في الطور قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ فناسب ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ في الطور و﴿تُوعَدُونَ﴾ في يس.

ب ـ ورد في يس الوعد في أكثر من آية :

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [يس:٤٨].

﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٢﴾ [يس:٥٢].

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٦٣﴾ [يس:٦٣].

فناسب قوله: ﴿تُوعَدُونَ﴾ في يس.

﴿ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

١ـ ﴿ٱصْلَوْهَا﴾: فعل أمر من الفعل: صلى النار، أي قاسى حرها.

٢ـ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ يعني العذاب حاضر، فهو لمّا ذكر الوعد قبلها وهم كانوا يكذبون بهذا الوعد ويسخرون منه، قال لهم: اليوم تنفيذ الوعد الذي كنتم توعدونه، فلا تأخير.

٣ـ قال: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ للدلالة على استمرار كفرهم، ولم يقل: بما كفرتم، فإنّ ذلك لا يفيد الاستمرار والدوام.

وقوله: ﴿تَكْفُرُونَ﴾ يفيد الإطلاق، فهو لم يقيد الكفر بأي قيد. والكفر قد يكون نقيض الإيمان، وقد يكون نقيض الشكر، وكلاهما موجب للنار، ولو قيده لتعين معنى واحد دون آخر، وهم كانوا يكفرون بالله ويكفرون بنعمه.

والسياق يقتضي هذا الإطلاق وإرادة المعنيين؛ ذلك لتقدّم ذكر رسل الله وما دعوهم إليه فكفروا وكذّبوا، كما أنه عدّد عليهم نعمه فكفروا بها وجحدوا.

٤ ـ أوجز في يس، وفصّل في الطور: الآيات ١١ـ١٦، حيث فصّل صفات أصحاب جهنم، وفصّل في عقوباتهم وأكثر من تبكيتهم وتقريعهم والسبب أنّ المذكورين في الطور أكثر ضلالاً وكفراً من المذكورين في (يس) وذلك:

أ ـ أنهم مكذبون على العموم ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾.

ب ـ أنهم في خوض يلعبون.

ج ـ أنهم يكذبون بالنار ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤﴾.

فناسب في الطور أن يزيد في عقوباتهم ويفصّل في ذكرها.

والله أعلم.

❊❊❊❊

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ٦٥﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ في يوم القيامة يختم الله على أفواه الناس وخاصة الكفار فلا يستطيعون الكلام، وكان قد ختم على قلوبهم في الدنيا. والمقام هنا مقام حساب لا عمل، فلا جدوى من الاستغفار أو الاعتذار، فقد انتهى أوان الكلام ولم يعُد للسان دور، فاليوم تُغلق الأفواه وتُقيد الألسنة لتنطق الجوارح.

٢ـ بعد الختم على الأفواه تتكلم الأيدي والأرجل طوعاً لا أمراً، وإنما هي تطوعت بالشهادة، مع أنها هي نفس الجوارح التي بُوشرت بها المعاصي والذنوب في الدنيا؛ لأنه في الآخرة تكون قد تحررت الجوارح من تبعيتها للنفس الواعية، وأصبح الملك كله والتفويض كله لله تعالى، فالآن تتكلم الجوارح وتشهد بما كان أمام الرب الأعلى.

٣ـ الذي أنطق اللسان وهو قطعة من لحم ودم قادر على أن يُنطق باقي الأعضاء.

٤ـ قوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾، ولم يقل: بما كانوا يعملون؛ لأنّ هناك فرقاً بين إنسان يُقبل على المعصية بدون فرح بل يندم بعدها ويعاقب نفسه على ارتكابها، وآخر يعتبر ارتكاب المعصية مكسباً فيفرح بها ويتحدث عنها ويتباهى بارتكابها.

٥ـ من حيث اللغة مادة (كسب) تدل على الربح في البيع والشراء بشكل طبيعي لا تكلف فيه، وغالباً ما يُستخدم هذا الفعل في الخير.

ويأتي هذا الفعل مزيداً بالهمزة والتاء (اكتسب)؛ ليدل على الافتعال والتكلف، وتُستخدم هذه الصيغة في الإثم؛ لأنّ الإنسان في عمل الشر والإثم يتلصص له ويحتال ويبذل الجهد ليؤدي ذاك العمل الشرير.

فإذا جاءت (كسب) محل (اكتسب) فاعلم أنّ صاحب المعصية قد تعود عليها وألفها حتى كاد يجاهر بها ولا يستحي منها، فعدّ الاكتساب في حقه كسباً.

السؤال الثاني :

ما اللمسات البيانية في هذه الآية؟

الجواب :

١ـ جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم والنسائي عن أنس رضي الله عنه قال: «**كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه قال: أتدرون مم ضحكت؟ قلنا: لا يارسول الله. قال: من مخاطبة العبد ربه يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى. فيقول: إني لا أجيز علي إلا شاهداً مني فيقول: كفى بنفسك عليك شاهداً وبالكرام**

الكاتبين شهوداً فيُختم على فيه ويُقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يُخلى بينه وبين الكلام فيقول: بعداً لكُنّ وسحقاً فعنكُنّ كنت أناضل».

٢ـ أسند الله فعل الختم إلى نفسه، فقال: ﴿نَخۡتِمُ﴾ وأسند الكلام إلى الأيدي والشهادة إلى الأرجل؛ لأنّ الأفعال تُسند إلى الأيدي، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡ﴾ و ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ﴾ أي بأنفسكم فالأيدي كالعاملة، وقوله: ﴿يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ﴾ و ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾.

والشاهد ينبغي أنْ يكون غير العامل فجعل الأرجل والجلود من جملة الشهود لبعد إضافة الأفعال إليها.

السؤال الثالث :

قد تقول: لقد جعل الله الألسنة تشهد عليهم في آية النور ٢٤ في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢٤﴾، بينما ختم على الأفواه في آية يس، فلماذا؟

الجواب :

١ـ ليس كل أهل الحشر يختم على أفواههم وأنهم يحاسبون على نمط واحد، بل كل صنف يحاسب بما يقتضي الأمر، وتكون الشهادة عليه بما ينبغي.

٢ ـ المقام في سورة النور هو في قصة الإفك ورمي المحصنات وما لاكته الألسنة من بهتان، فكان المناسب أنْ يستنطقها؛ لأنها هي التي قامت بالجرم، وجمع إليها الأيدي والأرجل، والشهادات إنما تكون بالألسنة فناسب أيضاً استنطاقها، إضافة إلى أنه تكرر في السورة ذكر الشهادات والشهود.

٣ـ قال في يس: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾، وقال في النور: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ ذلك أنّ سورة النور قد شاع فيها العمل، كما في الآيات: [٢٨ـ ٣٨ـ٣٩ـ٥٣ـ٥٥ـ٦٤] فناسب ذكر العمل.

بينما شاع في سورة يس الكسب، كما في الآيات :[٣٣ـ٣٥ـ٤٢ـ٤٧ـ٧١ـ ٧٢ـ٧٣] فناسب فيها ذكر الكسب.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الطمس إذهاب الشيء وأثره جملة واحدة حتى كأنه لم يوجد، وطمس العين ذهابها فلا يبين لها شق ولا جفن، فكأنّ الطمس بمنزلة المسخ للشيء.

٢ـ ومعنى الآية أنّ الله لو يشاء لذهب بأعينهم وأزالها، حتى لا يبقى لها شق ولا جفن، وهذا عمى ومسخ ، ولم يقل: لأعميناهم؛ وذلك ليشمل العمى وزيادة، وهو ذهاب العين وأثرها.

٣ـ قال: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ﴾ ولم يقل: ولو شئنا، للدلالة على أنّ عدم الطمس لاستمرار عدم المشيئة؛ لأنّ الفعل المضارع ﴿نَشَآءُ﴾ يفيد الحال والاستقبال، وقد يفيد الاستمرار، بينما الفعل الماضي (شئنا) يفيد المضي.

٤ـ قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ﴾ يفيد ثلاثة معان :

أـ تسابقوا إلى الصراط، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾.

ب ـ بادروا إليه، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾.

ج ـ جاوزوه وتركوه فلم يهتدوا إليه، كما في هذه الآية.

٥ـ قوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ أي كيف يبصرون، و﴿فَأَنَّىٰ﴾ تحتمل معنى آخر، وهو: من أين؟

٦ ـ ونلخص ما مضى بالتالي :

قال: ﴿لَطَمَسْنَا﴾ بدل (أعمينا) وهو يشمل العمى وزيادة.

قال: ﴿عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾وهو يشمل الطمس وزيادة الشدة.

قال: ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟﴾وهو يشمل المسابقة وزيادة، والمبادرة وزيادة، والضلال.

قال: ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ولم يقل (إلى الصراط)؛ ليشمل معنى (إلى) والتعدية المباشرة.

قال: ﴿فَأَنَّىٰ﴾وهو يشمل معنى: كيف، وزيادة.

السؤال الثاني :

قال في يس٦٦ : ﴿لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾ فعدّى الفعل بـ (على)، بينما عداه بنفسه في آية القمر ٣٧ فقال: ﴿فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ ، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

هما عند أهل اللغة واحد، لكنّ الحقيقة أنّ بينهما اختلافا في المعنى وذلك لأنّ :

أ ـ الحرف (على) يفيد الاستعلاء، فالختم على الشيء أشد من ختمه بقصد تغطيته بما يمنع الدخول إليه والخروج منه، وكذلك طمسه وطمس عليه فإنّ الطمس على الأعين يدل على شدة المسخ والطمس، وهو مناسب للمسخ العام الذي ورد في الآية التي تلي هذه الآية.

ب ـ السبب في الاختيار أنّ ما ذكره في آية يس أشد؛ ذلك أنه قال: ﴿فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ﴾ في حين لم يزد في القمر على قوله: ﴿فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ﴾.

ج ـ ثم إنه مناسب لورود ﴿عَلَىٰٓ﴾ في الآية السابقة﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ ومع ذكر العقوبات الخاصة الخارجة عن المألوف في الآيات السابقة ﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾.

والله أعلم.

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ المسخ: هو تحويل صورة إلى صورة أخرى أقبح منها، فقد يكون التحويل إلى حجر أو حيوان.

٢ـ المكانة: هي المكان أو المنزلة.

٣ـ المعنى: لمسخناهم على أمكنتهم، فلا يستطيعون مغادرتها أو فيجمدون في أمكنتهم.

٤ـ قال: ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ليشمل المكان والحال التي هم عليها.

٥ـ قدّم المضي على الرجوع لأكثر من سبب:

أـ المضي أهم من الرجوع؛ وذلك أنّ الناس يريدون المضي إلى أعمالهم فبدأ بما هو أهم.

ب ـ المضي أصعب من الرجوع؛ فإنّ الرجوع ينبىء عن معرفة الطريق ذلك لأنه سيعود في الطريق التي جاء فيها، وأمّا المضي فقد يكون في طريق غير مألوفة.

ج ـ المضي فيه ابتعاد عن محل الإقامة بعكس الرجوع فيكون الرجوع أسهل، فبدأ بالأصعب.

٦ـ جمع في هذه الآية والآية التي قبلها:

أـ عدم الإبصار بسبب تعطيل آلة الرؤية، وليس بسبب خارجي.

ب ـ عدم الحركة بسبب ما حصل للجسم، وليس بسبب خارجي.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما المعنى اللغوي لكلمة﴿لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ في الآية؟

الجواب :

أشارت الآية التي قبلها يس ٦٦ : ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾ إلى طمس الأعين وفقد البصر، فكيف يبصرون وهم يُسابقون إلى الصراط.

ثم جاءت الآية ٦٧: لتبين أنّ الأمر لا ينتهي عند العمى والطمس على الأعين، إنما هناك ما هو أشد، وهو المسخ.

والمسخ أن يصيروا كالمساخيط وكالجماد لا يتحركون، أي لحولنا صورهم إلى صور قبيحة إذلالاً وإهانة لهم.

والمعنى الأول أوجه لقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ فقد تجمدوا فلا حركة لهم إلى الأمام ولا حتى العودة إلى الخلف.

السؤال الثالث :

قال في الآية ٤٧ ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ بدون لام التوكيد، بينما قال في الآية ٦٧: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ مع لام التوكيد، فما دلالة ذلك؟

الجواب :

القاعدة اللغوية: يستعمل القرآن الكريم اللام كحرف توكيد فيضعها في المكان الذي يحتاج إلى توكيد أكثر.

وهنا قال في الآية ٤٧: ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ بدون لام التوكيد، بينما قال في الآية ٦٧: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ مع لام التوكيد.

والسبب - والله أعلم- أنّ الإطعام أيسر من المسخ، فجاء باللام في الموضع الذي تستحقه، ونزعها من الموضع الذي لا يقتضي ذكرها.

❁❁❁❁

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ المعنى أن الذي يُعمر لا بدّ أنْ يتنكس في خلقه إلى أسفل، فبعد أنْ كان يرتقي إلى الأعلى في النمو والقوة والعقل يبدأ بالضعف والوهن في الجسم والعقل حتى يُرد إلى أرذل العمر، فلا يعلم بعد علم شيئاً.

٢ـ قوله: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ معناه: فأين عقولكم من هذه المسألة؟ ! وجاءت بأسلوب الاستفهام لا بأسلوب الإخبار؛ ليقروا على أنفسهم بعدم التعقل.

وجاء بالفاء الدالة على السبب، أي أفلا يكون ذلك سبباً لأنْ يعقلوا ويتفكروا.

٣ ـ أسند التعمير والتنكيس إلى ذاته سبحانه للدلالة على أنّ هذا من فعله وقدرته في البدء والختام.

ولو قال: ومن يُعمر يُنكس، بصيغة المجهول لم يدل على أن ذلك من فعله سبحانه.

٤ـ قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ هذا على أمر مشاهد حاضر يرونه في حياتهم يعيشونه ويعيشون معه، فناسب ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾.

بينما في آية يس السابقة ٦٢ قال: ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ لأنّ الكلام من رب العزة يوم القيامة عما فعله بنو آدم في الدنيا، فناسب ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب:

١ـ لمّا ذكر الله تعالى جهنم والختم على الأفواه وتكليم الأيدي وشهادة الأرجل وغير ذلك مما هو مستغرب وغير مألوف، قد يظن ظان أنّ هذا من خيال الشعراء وتصويراتهم وليس من الحقائق، فقال: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾.

٢ـ نفى بـ﴿وَمَا﴾ ولم ينفه بـ (لم)؛ وذلك لقوة (ما) في النفي، و(ما) إذا نفت الفعل الماضي كانت بمنزلة جواب القسم.

وأمّا النفي بـ(لا) فإنها تدخل عادة على الفعل المضارع، وأكثر ما تكون للاستقبال، وقال بعض النحاة: إنها للاستقبال فقط، كما جاء في الآية على لسان سيدنا سليمان عليه السلام في آية سورة ص ٣٥: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾فإن ذلك دال على المستقبل، فقد قال: ﴿مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾. .

٣ـ ومعنى ﴿وَمَا يَنبَغِي لَهُۥٓ﴾ أي: ما يصح له ولا يليق ولا يتأتى له لو أراده فنفى بذلك كون الرسول ﷺ شاعراً.

فقد نفى أولاً تعليمه للرسول الشعر فقال: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ولربما ظن ظان أنه ربما كان في ذلك خير حُرم منه، ولو علمه إياه لكان أكمل، فقال: ﴿وَمَا يَنبَغِي لَهُۥٓ﴾؛ لأنّ مهمة النبي غير مهمة الشعر، فلا يليق بالنبي أن يكون شاعراً. والسبب أنّ الشاعر قد يزيد في الحقائق أو ينقص منها، أو يعتني بتزويق الكلام على حساب المعنى، أو يضع الكلمة في غير موضعها لضرورة الشعر.

والشعر إنما هو قول بشر، والشعر له نظير، والشعراء لهم نظراء.

أمّا القرآن فإنه يضع التعبير في أعلى مراتب البلاغة، وهو كلام الله ليس له نظير.

٤ ـ وأما إنشاد الرسول في غزوة حنين :

أنـــــا النبــــــي لا كــــــذب   أنــــا ابــــن عبــــد المطلــــب

فهو قول صادف وزناً شعرياً، وليس شعراً خاضعاً للوزن والقافية، وفرق بين الشعر وكلام يصادف وزناً دون قصد.

٥ـ قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ أي هذا الذي تسمعونه منه وتسمونه شعراً، ما هو إلا ذكر وموعظة من الله وقرآن مبين واضح لكل أحد. إنه ليس شعراً وإنما هو قرآن يتلى أنزله الله.

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

١ـ قوله:﴿لِّيُنذِرَ﴾ قد يكون القرآن أو الرسول، فكلاهما منذر.

٢ـ قوله: ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ أي: من كان عاقلاً حي القلب والبصيرة متأملاً يقبل الحق ويأبى الباطل ، والإنذار في أصله عام لكل الخلق مؤمنهم وكافرهم.

٣ـ ومعنى ﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: تجب عليهم كلمة العذاب بعد أنْ أنزل عليهم الرسل وبلغوهم وألزموهم الحجة، فيحق القول بعد الإنذار.

٤ ـ في مقابلة: الكافرين بالحي، إشارة إلى أنّ الكفار أموات، كما قال ربنا: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام:١٢٢].

السؤال الثاني :

في هذه الآية يس ٦٩ نفى وأثبت بـ [إنْ وإلا] ، بينما قوله تعالى في آية القلم ٥٢ :﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ فنفى وأثبت بـ [ما وإلا]، فما الفرق؟

الجواب:

١ـ أنّ النفي بـ (إنْ) أقوى من النفي بـ (ما) فنفى بما هو أقوى.

٢ ـ والسبب في ذلك أنه في سورة القلم لم يكن السياق عن القرآن، ولم يذكر عنه إلا آية واحدة، فنفى بـ (ما).

بينما الكلام في يس عن القرآن، كما في الآيات ٦٩ـ٧٠، وهو أطول مما في سورة القلم، فنفى بـ (إنْ).

٣ـ ونظير ذلك الآيات التالية :

ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف:١٠٤].

ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [ص:٨٧].

❁❁❁❁

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآيات؟

الجواب :

١ـ بعد أنْ ذكر القرآن أنه ليس بشعر وأنّ الرسول ليس بشاعر لفت نظرهم إلى آيات الله في خلقه، فذكر أقرب شيء لهم والصقه في حياتهم وهو: الأنعام.

٢ـ الواو في ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ بعد همزة الاستفهام هي واو العطف، وهي تعطف على مذكور، وقد تعطف على مقدر في المعنى.

وقد يرد في القرآن ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ بدون واو، وهذا أيضاً نظير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ﴾ و ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

٣ـ (الواو) في هذه الصيغ تستعمل فيما كثر أمثاله في الحياة مما هو مُشاهد، وأمّا من دون(واو) فهو من باب ما لا يكثر مثله.

٤ـ قوله: ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم﴾ فأسند الخلق إلى نفسه ولم يبنه للمجهول، وهذا من باب التفضل والإنعام، والقرآن يسند النعمة والتفضل والخير إلى الله سبحانه، ولا يناسب بناؤه للمجهول؛ لأنه قال بعدها: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ فإذا كان الفاعل مجهولاً فالناس لا تعرف الجهة التي ينبغي أنْ يقدّموا لها الشكر.

٥ ـ أسند في يس الخلق لله بضمير المتكلم فقال: ﴿خَلَقْنَا﴾ وأسنده إلى ضمير الغائب في آية النحل ٥، فقال: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا﴾.

والسبب أنّ السياق في سورة النحل مبني على الإسناد إلى ضمير الغيبة بل إنّ جو السورة مبني على ذلك، بينما السياق في سورة يس وجو السورة كذلك مبني على الإسناد إلى ضمير المتكلم، فناسب كل تعبير مكانه الذي ورد فيه.

٦ـ قوله تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ أي مما أبدعناه وعملناه من غير واسطة ولا شركة. وأسند العمل إلى الأيدي مبالغة في الاختصاص والتفرد بالخلق، كما يقول الواحد منا: عملته بنفسي، للدلالة على تفرده بعمله.

٧ـ (ما) تحتمل الموصولية، أي من الذي عملته أيدينا، وتحتمل المصدرية: أي من عمل أيدينا، وكلاهما مراد. وهذا من باب التوسع في المعنى، ولو عبّر بـ (الذي) لأفاد الموصولية فقط.

وقال: ﴿مِّمَّا﴾ بـ (من) التبعيضية، ولو قال: ما عملته أيدينا، لاقتصر العمل على الأنعام.

وقال: ﴿أَيْدِينَآ﴾ بالجمع؛ لأنه ذكر نفسه بالجمع.

٨ـ قوله: ﴿أَنْعَـٰمًا﴾ جمع (نَعَم) وهي البقر والغنم والإبل، وهو مفعول: خلقنا.

٩ ـ قدّم الجار والمجرور ﴿لَهُم﴾ على المفعول به للاهتمام بتكريمهم وهو ﴿لَهُم﴾ أي: لأجلهم.

١٠ـ قوله: ﴿فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾ قدّم الجار والمجرور ﴿لَهَا﴾ على ﴿مَـٰلِكُونَ﴾ للاهتمام بشأن المملوك؛ وذلك لأنها من أهم أموالهم وأكرمها عليهم فقدّمها للاهتمام بها، ولا يفيد هذا التقديم قصراً.

وقال: ﴿مَـٰلِكُونَ﴾ بالاسم، ولم يقل: يملكون، للدلالة على ثبات الأمر، ولو استعمل الفعل لدل على أنهم سيملكونها في المستقبل.

﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾

١ـ قوله: ﴿وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ﴾ هو من زيادة الإنعام، فإنّ المملوك إذا كان أبياً متمرداً لا ينفع، فذكر ما به تمام النعمة.

٢ـ قوله: ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ والركوب اسم مفعول أي مركوب، فهي اسم وصفة، كما تقول: رسول ومرسل، فهي ناقة مذللة وناقة أمون؛ أي تُؤمن في الركوب.

والفاء للتفريع فهي فرعت أحكام التذليل إلى ما يركب وإلى ما يؤكل و(من) للتبعيض.

٣ـ الأنعام لا تركب كلها، فالبقر والغنم لا تركب، وإنما تركب الإبل لذلك قال هنا مع ذكر الأنعام ما معناه : لتركبوا منها، بينما قال في آية النحل ٨: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ لأنها كلها تركب.

٤ـ قوله: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ أي تاكلون منها على معنى الابتداء أو على معنى التبعيض، والتبعيض ليس واقعاً على جنس الأنعام، بل على أجزاء منها أي اللحوم والشحوم، فإن أجزاء منها لا تؤكل كالجلود والصوف والشعر وغيرها.

٥ ـ غيّر الأسلوب في الأكل إلى الفعلية، قال: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ مع أنّ قبلها بالاسمية؛ ذلك لأنّ الفعل يدل على التجدد، أي: ومنها يأكلون عادة.

ثم إنّ الناس كلهم يأكلون، وليسوا كلهم يركبون، فالأكل حاجة يومية متكررة بخلاف الركوب، فاقتضى ذلك المغايرة بين الركوب والأكل.

كما قدّم الركوب على الأكل؛ لأنه ذكر التذليل قبلها، وأهم مظاهر التذليل الركوب.

٦ ـ ذكر الركوب في يس، فقال: ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ وذكر حمل الأثقال في النحل، فقال: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ والسبب أنه في يس ذكر الركوب في الآيتين (٤١ـ٤٢) فذكر هنا

الركوب، بينما ذكر حمل الأثقال في النحل كما في الآيات (١٤ـ ٢٥) فناسب ذلك ما ورد في النحل.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

١ـ قدّم الضمير في ﴿وَلَهُمْ﴾ على ضمير الأنعام ﴿فِيهَا﴾؛ لأنّ الكلام إنما هو عنهم، وهي مخلوقة لهم، وهم العلة المسببة لخلقها.

٢ـ ثم ذكر أنّ لهم فيها منافع عدا الركوب والأكل، كالجلود والأوبار والأصواف وغيرها كالحراثة وما إلى ذلك.

٣ـ المشارب تعم: اللبن وأدوات الشرب، فإنّ من الجلود ما يُتخذ أواني للشرب، فجمع بذلك معنيين. ولو قال :(لهم فيها شراب) لم يفد إلا معنى واحداً وهو اللبن.

وذكر المشارب بعد المنافع، من باب ذكر الخاص بعد العام لأهميتها واعتناء العرب بها.

٤ـ قوله: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ أي ألا يكون ذلك سبباً لشكرهم لاستدامة النعم. وقال ذلك بصيغة الاستفهام - لا الإخبار- لاستثارة النفوس إلى مقابلة النعم بالشكر.

٥ ـ وجاء بالفاء الدالة على السبب، وأطلق الشكر؛ ليتناول المنعم والنعمة.

والله أعلم.

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

السؤال الأول:

ما دلالة هاتين الآيتين؟

الجواب:

١ـ بعد أنْ ذكر لهم ما خلق لهم من الأنعام وأسبغ عليهم من النعم التي تستدعي عبادة الخالق وشكره، ذكر أنهم اتخذوا من دون الله آلهة، وفي ذلك من التوبيخ والتقريع على مقابلة الإحسان بالإساءة.

٢ـ أقبلواعلى عبادة من لا يضر ولا ينفع، وتوقعوا منه النصرة، وفي الحقيقة لا هي ناصرة ولا منصورة.

وأطلق النصر والجهة التي ينصرون عليها، فهم يريدون النصر في كل موطن يستدعي النصر، وأنْ ينصروهم عند الله بأنْ يكونوا شفعاء لهم عنده يقربونهم إليه.

٣ـ قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾، ولم يقل: لا ينصرونهم؛ لأنّ ذلك قد يدل على أنهم قادرون على النصر ولكنْ لا يفعلون ذلك؛ ولذلك قال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾؛ ليدل على عجزهم وضعفهم.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾أي الكفاروالمشركون هم عابدوها وهم لهم جند يدافعون عنهم وينصرونهم، فهم بدل أنْ ينتصروا بهم صاروا جنوداً لهم؛ لأنهم عاجزون عن الدفاع عن أنفسهم. وهذا أسوأ ما يكون من خيبة الأمل.

وهذا على تقدير أنّ الضمير ﴿وَهُمْ﴾ للمشركين وضمير ﴿لَهُمْ﴾ للآلهة.

٥ـ وقيل إنّ المعنى: أنّ المشركين جند للآلهة محضرون للعذاب في الآخرة، وذلك أنّ هذه الآلهة توقد بها النار يوم القيامة، فتتقدمهم إلى النار وهم يتبعونهم إليها كما يتبع الجند قائدهم.

٦ـ في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ معانٍ متعددة :

أـ أنْ يكون العابدون جنداً لما اتخذوه آلهة، فالآلهة عاجزة وهم لها جند.

ب ـ أنهم وآلهتهم سيكونون محضرين للعذاب في النار.

ج ـ أنّ الآلهة لا تستطيع أنْ تنصرهم ولو كان لها جند، فكيف وهي ليست كذلك؟

فجمع هذا التعبير كل هذه المعاني.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

قوله تعالى في يس٧٤ ومريم٨١: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وفي الفرقان ٣ ﴿مِن دُونِهِۦ﴾، فما السبب؟

الجواب :

١ـ أنّ آية مريم ويس وردتا بعد ضمير المتكلم، كما في قوله تعالى في مريم ٨٠:﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ ﴾ وفي يس ﴿ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ ﴾ ٧٢ فناسب الإظهار.

٢ـ وأمّا آية الفرقان فوردت بعد تكرار ضمير الغائب في قوله تعالى في الآية الثانية: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ فناسب الإضمار للغائب لتناسب الضمائر. والله أعلم.

❊❊❊❊

﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾

السؤال الأول :

متى يقدم السر على العلن في القرآن الكريم؟ ومتى يقدم الجهر على الإخفاء؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة ٢٨٤.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ نهاه أنْ يحزن لما يقولونه فيه وفي دعوته، وأطلق القول؛ ليشمل كل ما يقولونه فيه وفيما يدعو إليه.

٢ـ ثم استأنف معللاً بقوله: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فالله يعلم سرهم وجهرهم، وهو قادر على إبطال ما يظهرون أو يضمرون.

٣ - ﴿مَا﴾ في الآية تحتمل الموصولية والمصدرية؛ أي: الذي يسرونه أو إسرارهم، والمتبادر الأول هو الأولى.

٤ـ قدّم السر على العلن؛ لأنّ مرتبة السر مقدمة على مرتبة العلن ، كما أنّ السر يدل على الإحاطة بالمعلومات كلها، فمن كان يعلم السر فهو يعلم العلن من باب أولى.

٥ ـ الملاحظ في القرآن الكريم أنه لا يقتصر على تقديم السر، فهو كما يقدم السر على الإعلان قد يقدم الجهر على الإخفاء، كما في قوله تعالى :

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾.

﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾.

وهو أحياناً يكتفي بذكر أحدهما دون الآخر فيكتفي بذكر الإسرار دون الإعلان، كما في قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ المقصود هو التعجب من حال الإنسان بعدما خلقه الله، فإذا هو مخاصم لربه مفرط في جحود نعمه، وكيف له ذلك مع دناءة أصله ومهانة أوله أنْ يتصدى لمخاصمة الجبار.

٢ـ قوله:﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ أي: مبالغ في الخصومة والجدال.

٣ـ بدأت الآية بهمزة الاستفهام للتعجب والإنكار، فهي تنكر عليه فعله وتتعجب من أنْ يقابل الإنسان الإحسان بالإساءة والنعمة بالجحود.

٤ـ وجاء بالواو﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ ليدل على كثرة الوقوع، وذكر الإنسان صراحة؛ ليخص كل إنسان فينظر في نفسه وفي أصله وماذا عليه الآن.

وهذا التعبير ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ هو كلام عام؛ لأنه مع جنس الإنسان، وهو مع جمع منهم من كفر بالله واتخذ من دونه آلهة.

٥ـ قوله: ﴿خَلَقْنَـٰهُ﴾بإسناد الخلق إلى ضمير المعظم نفسه؛ ليبين الفاعل وقدرته وإنعامه.

٦ـ قوله:﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾حتى لا ينسى الإنسان نفسه؛ ليذّكره بقدرة الخلاق العليم.

٧ـ قوله: ﴿فَإِذَا﴾ ليجمع بين معنيي التعقيب؛ لأنّ الفاء للتعقيب، وهي تفيد السبب أيضاً.

و﴿فَإِذَا﴾ الفجائية، وهي للدلالة على أنّ موقفه هذا مفاجىء، وليس متوقعاً أنْ يفعل ذلك مع من أحسن إليه.

٨ـ قوله: ﴿خَصِيمٌ﴾أي مبالغ في الخصومة، و﴿مُّبِينٌ﴾ أي: مفصح عما في نفسه من الخصومة، فجمعت الآية بين أضعف شيء في طور خلق الإنسان وهي النطفة وأبلغ شيء فيه وهو الخصيم.

وجاء بالجملة الاسمية الدالة على ثبوت هذا الأمر في الإنسان.

٩ـ اختار (الخصيم) مكان الناطق؛ لأنه أعلى أحوال الناطق؛ لأنّ كلامه لغيره خصماً أعلى من الكلام العادي، أو من الكلام مع نفسه، كما اختار ﴿مُّبِينٌ﴾ إشارة إلى قوة عقله بعدما كان نطفة.

والله أعلم.

❃❃❃❃

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾

السؤال الأول:

الجواب:

١ـ الضرب في الأصل إيقاع جسم على جسم بعنف، ويُشترط أنْ يكون الضارب أقوى من المضروب، وإلا كانت النتيجة عكسية.

وضرب المثل هو إيجاد شيء يُوقع على شيء؛ ليبين لك الأثر الحاسم الفعال، فيقربه إلى ذهنك.

٢ـ قوله: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾ هو من لطيف التذكير والاحتجاج، فإنه لو كان ذاكراً لم يسأل ولم يعجب.

ولم يكتف بهذا التذكير، بل أجاب بحجة ظاهرة ملزمة، فقال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.

٣ـ قوله: ﴿عَلِيمٌ﴾ صيغة مبالغة على وزن فعيل، فإنه لمّا قال: ﴿بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ اقتضى ذلك المبالغة في العلم.

٤ـ العدول من الصيغة الفعلية ﴿يُحْيِيهَا﴾ إلى الصيغة الاسمية ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ للتنبيه على أنّ علمه سبحانه بما ذكر مستمر ليس كإنشائه للمنشآت.

السؤال الثاني:

قال في آية الأنبياء ٨١: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ وفي آية يس ٧٩ ﴿عَلِيمٌ﴾، فما السبب؟

الجواب:

أـ وصف الله تعالى نفسه بكل صفات العلم وأحواله، فوصف نفسه ﴿يَعْلَمُ﴾ بالفعل الدال على الحدوث والتجدد، ووصف نفسه بأنه ﴿عَٰلِمُ﴾ على صيغة اسم الفاعل، وهو أثبت من الفعل، ووصف نفسه بأنه عليم وعلام بالمبالغة فجمع لنفسه كل صفات العلم، إلا أنه يضع كل وصف أو لفظ في مكانه.

ب ـ في آية الأنبياء: جاء السياق في مسألة خاصة، وهي مسألة داود وسليمان إذ يحكمان في الحرث، وتعليم داود صنعة الدروع وتسخير الريح لسليمان، وهذا أخصّ من

خلق الإنسان وخلق السماوات والأرض وإحياء الموتى والبعث، وهذا يشمل العلم بكل الخلق وذرات ترابهم، فناسب في يس ﴿عَلِيمٌ﴾ وفي الأنبياء ﴿عَٰلِمِينَ﴾ وصيغة فعيل أقوى من صيغة فاعل.

والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ عندما استبعد الكافر الإحياء بعد الموت، لفت الله نظره إلى أمر أدعى إلى الاستبعاد، وهو أنْ جعل لهم من الشجر الأخضر ناراً يوقدون منه وهو أمر مستبعد في المألوف؛ لأنّ الماء تطفىء النار، فذكر قدرته على ما هو مستبعد في تفكيرهم مما يألفونه.

٢ـ المقصود بالشجر هنا عموم الشجر،وفي أمثالهم: [في كل شجر نار واستمجد المرخ والعَفار]، حيث يؤخذ قضيب كالمسواك من كل شجرة فيسحق المرخ وهو ذكر، على العفار وهو أنثى، وهما يقطران ماء فتنقدح النار بإذن الله.

٣ـ قال: ﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾بالفعل، ولم يقل: موقدون، بالاسم؛ لأنّ هذا مما يفعلونه عند الحاجة، فجاء بما يدل على الحدوث.

والله أعلم.

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ بدأ بالاستدلال بخلق الإنسان من نطفة، ثم استدل بما هو مستعجب مما حولهم، وهو اتقاد النار من الشجر الأخضر، ثم ترقى إلى خلق السماوات والأرض وهو أعظم وأعجب، فيكون المعنى أنه لا داعي لاستبعاد البعث بعد الموت، فإنّ أجزاءهم موجودة وإنّ جمعها وإعادتها أيسر من خلق شيء ليس له مادة ولا وجود ابتداء وهو خلق السماوات والأرض، فذكر ما هو أبعد في الخلق وأعسر من الإعادة.

٢ـ قوله: ﴿أَوَلَيْسَ﴾ الهمزة للإنكار، والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام.

أي أليس الذي خلق السماوات والأرض مع كبر جرمهما وعظم شأنهما ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ﴾ أي مثلهم في الصغر والحقارة بالنسبة إليهما؟

٣ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ فذكر ههنا صفتين له سبحانه :

أـ صفة العلم بالمخلوقات كلها.

ب ـ صفة الخلق، فذكر أنه هو الخلاق العليم.

وجمع بين الصفتين؛ لأنه قد يعلم المرء شيئاً، لكنه لا يستطيع فعله، فذكر العلم والخلق.

٤ـ قال: ﴿ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ ولم يقل: خلاق عليم؛ لئلا يشاركه في هذين الوصفين أحد، فإنّ الإنسان قد يكون خالقاً على أحد معاني الخلق، وهو: التقدير، وهو يوصف بأنه عليم، كما قال تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

ولكن لا يوصف بـ (الخلاق العليم) غير الله، فجاء بالألف واللام الدالة على القصر والكمال في هاتين الصفتين.

٥ـ قد تقول: لكنه وصف نفسه بأنه عليم في آية سابقة ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾.

فالجواب أنه لمّا قال ﴿بِكُلِّ خَلۡقٍ﴾ عُلم أنّ ذلك لا يكون لغير الله؛ لأنه لا يكون عليماً بكل خلق الله غير الله.

٦ـ قال: ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ فجاء بالباء الزائدة المؤكدة؛ لأنّ الموطن موطن إنكار فجاء بما يؤكد قدرته على خلق مثلهم وإعادتهم.

٧ـ لمّا ذكر في آية يس ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُم﴾ ناسب أنْ يختم الآية بـ ﴿وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

و لمّا ذكر في آية الأحقاف ٣٣ قوله تعالى: ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ﴾ ناسب أن يختم الآية ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين استعمال ﴿قَادِرٌ﴾ و ﴿بِقَـٰدِرٍ﴾ بزيادة الباء؟

الجواب :

القاعدة اللغوية:

أنه تدخل الباء الزائدة على أخبار ليس وما ولا وكان المنفية لتأكيد النفي لأنّ العرب استعملت الباء لتأكيد النفي، واستعملت اللام في تأكيد الإثبات.

١ـ في آية الإسراء٩٩ ﴿قَادِرٌ﴾ خبر: أنّ الله.

٢ـ في آية يس ﴿بِقَـٰدِرٍ﴾٨١ هو خبر ليس في أول الآية، فدخلت الباء في خبرها.

٣ـ في آية الأحقاف٣٣ لّما أكد النفي بنفي ثان، وهو﴿وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ ناسب دخول الباء في ﴿بِقَـٰدِرٍ﴾.

السؤال الثالث :

ختم آية يس ٨١ بـ ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾، وختم آية الأحقاف٣٣ بـ ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، فما السبب؟

الجواب :

لّما ذكر في آية يس﴿بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ ناسب أن يختم الآية بـ ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

و لّما ذكر في آية الأحقاف ٣٣ قوله تعالى: ﴿بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ ناسب أن يختم الآية﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

والله أعلم.

السؤال الرابع :

ما دلالة الحرف (بلى) في الآية ٧١ في قوله تعالى ﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ؟

الجواب :

انظر الجواب في آية البقرة (٨١).

❁❁❁❁

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾

السؤال الأول :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ ذكر في هذه الآية قدرته التي لا تحد في كل وقت، في الماضي والحال والاستقبال؛ لئلا يظن أنّ ذلك الأمر قد انتهى، فذكر أنه إذا أراد شيئاً قال له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ كما أمر وكما أراد سبحانه وتعالى.

٢ـ جاء بالفاء فقال: ﴿فَيَكُونُ﴾ ولم يقل: ثم يكون، للدلالة على التعقيب وأنه يكون مباشرة بدون تراخ أو مهلة.

السؤال الثاني :

ما الفرق بين ﴿يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾، كما في آية الحج ١٤، و ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ في آية الحج ١٨، و ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾ كما في آية يس ٨٢؟

الجواب:

انظر الجواب في آية الحج ١٤.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين الإرادة والمشيئة؟

الجواب :

الإرادة :

الإرادة لا تقتضي وجود الشيء، وبالتالي لا تقتضي الإلزام. وهناك إرادتان إرادة إلزام وإرادة أخرى هي مناط التكليف.

* شواهد قرآنية :

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ الأحزاب ٣٣ هذا ما أراد ونفذ.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ الذاريات ٥٦ الله أراد أنْ يعبدوه لكنهم لم يفعلوا ذلك، بل يعصونه وهو لا يريد المعصية، والمعصية وقعت خلاف ما أراد الله؛ لأنها ليست إرادة إلزام.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل:٩٠] الله يحب أنْ نفعل ذلك، وهذه ليست ملزمة، فالبعض لا يفعل هذه الأمور.

المشيئة :

المشيئة ملزمة، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فالمشيئة لا تتخلف كقوله تعالى:

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢]هذه إرادة ملزمة.

فالمشيئة ملزمة، والإرادة نوعان: إرادة ملزمة وأخرى مناط التكليف.

لمزيد من التفصيل، انظر آية النحل ٤٠. والله أعلم.

❁❁❁❁

﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٣﴾

السؤال الأول:

ما اللمسات البيانية في هذه الآية؟

الجواب:

١ـ قرّر الله في هذه الآية التوحيد بقوله: ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ ليدلّ على أنه واحد لا شريك له، كما قرّر الحشر بقوله: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

٢ـ نزّه الله سبحانه من بيده الملك، وهو يعني ذاته العلية، عن كل نقص ليُعلِم خلقه أنه خالق مقتدر بيده ملكوت كل شيء.

٣ ـ الملكوت مبالغة في الملك، وهو بمعنى الملك التام مع العز والسلطان وليس مجرد الملك فقط.

٤ ـ جاء بالفاء ﴿فَسُبۡحَٰنَ﴾ للدلالة على السبب.

٥ ـ قال: ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ ليدل على أنه المالك المتصرف في ملكه كما يشاء؛ ولئلا يظن ظان أنه خلق الخلق وتركهم كلٌ يتصرف وفق هواه ليس لله عليه قدرة ولا حكم ولا مشيئة، فقال: ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾.

٦ـ قدّم ﴿بِيَدِهِۦ﴾ وهو الخبر على المبتدأ ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لإفادة القصر له وأنه ليس لآخر فيه نصيب.

٧ـ ثم قال ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ليدل على أنّ ما ذكره من التصرف في الملكوت ليس مقصوراً في الدنيا، وإنما بيده الملكوت في الآخرة، كما هو في الدنيا وأنه إليه المصير والمرجع.

٨ـ قدّم الجار والمجرور ﴿وَإِلَيْهِ﴾ على الفعل لإفادة الحصر، أي أنّ الرجوع إليه حصراً لا إلى غيره. والله أعلم.

السؤال الثاني :

ما دلالة هذه الآية؟

الجواب :

١ـ الله سبحانه إذا قال: (كُنْ) انفعلت له الأشياء وأطاعت، أمّا إذا قالها الإنسان فلن يستجيب له شيء. فقادرية الله هي التي فعلت، ومقدورية الأشياء هي التي انفعلت.

٢ـ ختمت السورة بقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾يعني تنزيهاً له عن أن يُشبهه أحد، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

٣ـ كلمة (ملكوت) من مادة (ملك)، والتي لها أربعة معانٍ، وهي :

أ ـ مالك: وهو من يملك شيئاً، ولو كان يسيراً.

ب ـ مَلِك: وهو الذي يملك أنْ يتصرف في ملكه وفي إدارة حركته.

ج ـ مُلك: وهو ما يملك من الأمور الظاهرة للناس.

د ـ ﴿مَلَكُوتُ﴾ ويُراد بها المُلك المستور غير الظاهر، وهو أقوى وأعم من المُلك، وقد يكون الشيء من عالم الملكوت ثم يصير إلى عالم المُلك، مثل الأشياء التي كانت غيباً واكتشفها الإنسان فصارت مشهودة. وهناك أشياء تبقى في عالم الملكوت لا نعرف شيئاً عنها إلا في الآخرة.

وكلمة ﴿مَلَكُوتُ﴾ تحمل معنى المبالغة، مثل: رحموت، وجبروت ورهبوت.

٤ـ قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي يوم القيامة، والفعل مبني للمجهول، ولم يقل (تَرجعون) أي باختياركم، وإنما تُرجعون قهراً.

والله أعلم.

السؤال الثالث :

ما الفرق بين الملك والملكوت؟

الجواب :

انظر الجواب في آية الأنعام ٧٥.

رابعاً ـ تناسب بداية يس مع خاتمتها :

١ - قال سبحانه في أول السورة :

﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ .

وقال في أواخرها: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩﴾ [يس:٦٩].

فذكر القرآن في البدء والختام. ووصفه أولاً بأنه حكيم، ووصفه فيما بعد بأنه مبين. فهو حكيم مبين.

٢ ـ قال في أول السورة: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [يس:٦].

وقال في أواخرها: ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [يس:٧٠].

فبدأ بإنذار قومه وانتهى بإنذار من كان حياً من المكلفين، وهو الأمر الطبيعي، فيبدأ أولا بالأقرب إليه ثم ينتهي بعموم الخلق.

٣ ـ قال في أول السورة: ﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾.

وقال في أواخرها: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾.

فالله هو العزيز، أمّا آلهتهم فلا تستطيع لهم نصراً.

وقال في آخر السورة: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

فالذي بيده كل شيء هو العزيز الرحيم.

ومن مظاهر رحمته ما ذكره في أواخر السورة: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

ومن ذلك ما ذكره في قوله: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

فالذي بيده ملكوت كل شيء هو العزيز.

ومولي هذه النعم هو الرحيم، فهو العزيز الرحيم.

٤ ـ قال في أول السورة: ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾.

وقال في آخرها: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾.

فقد ذكر أولاً أنه حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون.

ثم ذكر عقيدتهم بعد ذلك، فذكر أنهم مشركون اتخذوا من دون الله آلهة. فهم مصرّون على اعتقادهم.

٥ ـ قال في أول السورة: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾.

وقال في آخرها: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾.

فذكر في أول السورة أنه يحيي الموتى.

وقال في آخرها إنّ الذي يحيي العظام هو الذي أنشأها أول مرة، وهو بكل خلق عليم.

فكانت المناسبة من أكثر من جهة.

والله أعلم.

فهرس المحتويات

سورة لقمان........................ ٣
سورة السجدة........................ ١٦١
سورة الأحزاب........................ ١٩٦
سورة سبأ........................ ٢٨٢
سورة فاطر........................ ٣٣٤
سورة يس........................ ٣٩٠